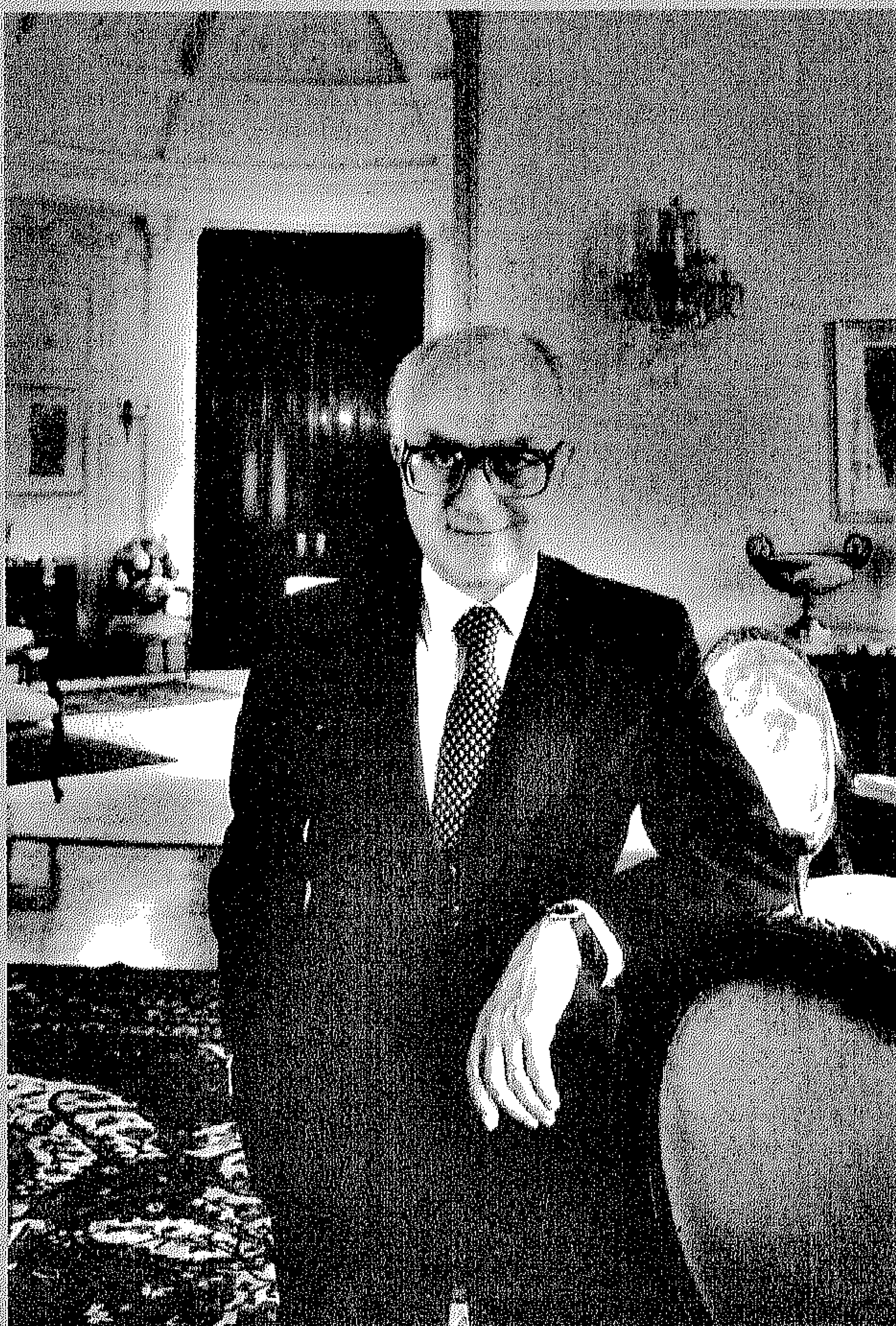
مذكرات
أشرف غربال

صعود وانهيار
علاقات مصر وأمريكا

الاتصالات السرية مع عبد الناصر والسادات








مركز الأهرام للترجمة والنشر

إهـــــداء ٢٠٠٨

أسرة المرحوم الأستاذ/ محمد إدريس

جمهورية مصر العربية

مذكرات

أشرف غربال

صعود وانهيار
علاقات مصر وأمريكا

الاتصالات السرية مع عبد الناصر والسادات

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون: ٥٧٨٦٠٨٣ - فاكس: ٥٧٨٦٨٣٣

تصميم الغلاف :
الفنان هشام بهجت

إهـــــــداء

إلى زوجتى آمال وأولادى ناهد وعمر
وأحفادى دينا وأشرف الذين وهبونى أجمل ما فى الحياة

المحتويات

الصفحة

كلمـــــــة

اعترف بأنه كان المفروض أن يصدر هذا الكتاب بعد عودتى من واشنطن فى نوفمبر ١٩٨٤. بالفعل بدأت فى ١٩٨٥ بتسجيل بعض ما بدأت أستعيده من ذكريات، وكنت فى شرفة سكنى أتكلم والجهاز يسجل وزوجتى شريكة حياتى آمال أحمد عامر، وهى تنتمى مثلى للأسكندرية، تقول: بطل دبلوماسية أنت خلاص طلعت على المعاش واكتب بصراحة.

وضعت القلم جانبا، قلت لها ربما كان الحق معك، ربما أكون مازلت أسير مهنتى فلنترك بعض الوقت يمر أولا.

ومر الوقت وطال ولم أنجز ما كانت زوجتى وأولادى ناهد وعمر يصممون عليه: أن أكتب مذكراتى، وكان كثير من الزملاء والأصدقاء من داخل وخارج الوزارة يطلبون منى الا ابخل على الدبلوماسيين الجدد بالوقوف على تجاربى مما عاصرته وما نجحت أو فشلت فيه ولماذا؟

كانت السيدة الفاضلة نوال المحلاوى - رحمها الله التى كانت مديرة مركز الترجمة والنشر بالأهرام - تسألنى كل فترة: متى ستأتى لى بمذكراتك لنشرها؟

واعترف بأن كل هذا شغل بالى فترة. وأخيرا رضخت، فقد طلبنى الأخ العزيز عاطف الغمرى الكاتب بالأهرام بعد أن انتهى من معاونة الدكتور مراد غالب فى تحرير مذكراته، واتفقنا على أن نجرب، وأنا مدين له بالفضل فى إنجاز هذا العمل. وجربنا وها هى نتيجة تجربتنا لعل القارئ يخرج منها بشىء.

وأؤكد أن هذا العمل يمثل آرائى، وتفكيرى دون غيرى، وأتحمل أنا مسئوليته بالكامل. والله ولى التوفيق.

اشرف غربال

مقدمة

تقاس قيمة المذكرات التى يكتبها أى شخص عايش وشاهد وشارك الأحداث، التى يعيد تذكرها وتسجيلها، بمدى الدقة والنظرة الحيادية فى روايته للأحداث، لكن ما وجدته فى رواية السفير الدكتور أشرف غربال لمذكراته، إن هناك عنصرا مضافا، وهو أن عددا من الشخصيات من الساسة والدبلوماسيين المصريين الذين اتيحت لهم فرصة الاطلاع على رسائل سفراء ومبعوثين مصريين التقوا مع رؤساء وقادة وسياسيين فى دول أخرى من العالم، اتفقوا على أن أشرف غربال كان فى رسائله لا يضيف ولا ينتقص مما دار من حوار فى لقاء أو مهمة كلف بها. ولا يجمل روايته، أو حتى يضيف إلى كلامه شيئا لم يقله. وهذه الدقة والحرص فى رواية الحقيقة، كانت أول نقطة تعطى هذه المذكرات مصداقيتها.

لمست ذلك بنفسى فى اللقاءات الطويلة التى زادت مدتها على العامين، وهو يتذكر أحداثا، فإذا ما ساوره الشك فى معلومة، فهو يتأنى فى ذكرها لحين الوثوق بها، فإذا لم يستوثق فهو يحذفها ويتجاهلها.

ربما يكون من جوانب الأهمية الراهنة لاستخلاص الأحداث التى كان أشرف غربال قريبا منها أو فى قلبها، أنها تتصل بالسياسة الخارجية الأمريكية وعلاقات مصر بالولايات المتحدة، فى وقت صارت فيه السياسة الخارجية الأمريكية وتحولاتها وانقلابها بعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، هى محور اهتمام العالم كله، وانتهاء العمل بالسياسة الخارجية للأعوام الخمسين السابقة منذ عام ١٩٤٧ تحت اسم استراتيجية الاحتواء، والتى أدير على أساسها صراع الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، فى أنحاء العالم بأكمله، لتحل محلها الاستراتيجية الجديدة للأمن القومى للولايات المتحدة التى أعلنها البيت الأبيض فى العشرين من سبتمبر ٢٠٠٢.

ومادامت المحطات الرئيسية فى عمله، كانت متصلة بالسياسة الأمريكية، والعلاقة المصرية الأمريكية، فى مراحل صعودها وهبوطها، فقد استقر الأمر على أن يكون مسار هذه العلاقة هو منهج المذكرات، فهو قد بدأ حياته العملية فى سلك الدبلوماسية المصرية، وعمل فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر رئيسا لبعثة رعاية المصالح المصرية فى أمريكا من عام ١٩٦٨، وعاد إلى القاهرة عام ١٩٧٢ ليكون مساعد مستشار الأمن القومى، وطرفا فى الاتصالات

التى جرت بين هنرى كيسنجر وحافظ إسماعيل، ثم مستشارا صحفيا للرئيس أنور السادات ضمن الدائرة التى شهدت عن قرب الإعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣، وما جرى وراء كواليسها، ثم فترة المعارك فى سيناء إلى أن انتهى القتال، وهى الفترة التى شهدت تحولا فى الموقف الدبلوماسى الأمريكى من الحل السلمى وشروطه، ومن العلاقة مع مصر.

وكانت المحطة الثالثة فى ديسمبر ١٩٧٣، حين قرر الرئيس السادات تعيينه سفيرا لمصر فى واشنطن، وكانت فترة مليئة بالأحداث، اقترب فيها من مفاتيح صناعة قرار السياسة الخارجية، والأبواب الموصلة إلى التأثير على هذا القرار.

وأود الإشارة هنا إلى أن الجزء الخاص بممارسة مهمته الدبلوماسية فى فترة حكم الرئيس عبد الناصر كانت قد تمت روايتها فى المذكرات، إلى أن توقف الدكتور غربال أمام اسم لشخص أمريكى كان قد لعب دور قناة اتصال سرية بين الرئيس عبد الناصر والبيت الأبيض فى عام ١٩٦٨. وتاه الاسم فى زوايا الذاكرة. ثم انتهى الأمر إلى أن يبعث برسالة إلى السفير الأمريكى السابق ريتشارد باركر يسأله عن الاسم، فباركر كان فى تلك الفترة رئيسا لقسم مصر بالخارجية فى واشنطن، ولابد أنه يعرف. ومن جانبه فإن السفير غربال ظل طوال السنوات من ١٩٦٨ وحتى الآن تربطه علاقة صداقة واتصال مستمر مع باركر.

والسفير باركر كنت قد تعرفت عليه أثناء عملى رئيسا لمكتب الأهرام فى واشنطن فى الفترة من ١٩٩٥ - ٢٠٠٠، وجمعت بيننا لقاءات لحوارات متبادلة عن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، أو لأحاديث صحفية أجريتها معه نشرت فى الأهرام، كما حضرت ندوات شارك فى بعضها، وأدار بعضها الآخر، وكانت مواقفه تتسم بالموضوعية المتناهية، التى يحكمها التزامه كدبلوماسى وكمواطن أمريكى، بحدود المصالح الوطنية وحسابات الأمن القومى لبلاده، دون خضوع لتأثيرات جماعات وقوى الضغط والمصالح التى تترك أثرها على مواقف سياسية عديدة فى الولايات المتحدة.

وبينما نحن مشغولان باستكمال مراحل المذكرات، جاءه رد من باركر على رسالته يحيطه علما بأنه سوف يبعث إليه بالمعلومات الكاملة عن اتصالات عبد الناصر بالإدارة الأمريكية، والتى لم يكن قد كشف عنها من قبل، وذلك بعد رفع الحظر عن الوثائق السرية للبيت الأبيض، والخارجية، بعد مرور ثلاثين عاما عليها، وذلك حسبما يقرره القانون الأمريكى.

وكانت الوثائق السرية التى يذاع أمرها للمرة الأولى قد وصلت وهى عبارة عن أكثر من سبعين ورقة باللغة الإنجليزية.

وحرصا على دقة العرض والتجرد من أى شبهة تداخل فى مضمون ومحتوى الرسائل المتبادلة بين القاهرة وواشنطن، وما تتحدث به الوثائق عن قنوات الاتصال وما قيل فيها، فقد كان من الأفضل نشر نصوص هذه الوثائق كما هى ودون أى تدخل بالتفسير أو التعليق بحيث تشكل معا فصلا مكتملا، وهو شكل من أشكال مناهج كتابة المذكرات.

وإن كان الواضح من سياق هذه الاتصالات، أن عبد الناصر أراد بعد الكارثة العسكرية فى ١٩٦٧ الا يترك بابا دون أن يطرقه، وأن يختبر جدية ما تعلنه الإدارة الأمريكية عن رغبتها فى الوصول إلى تسوية سلمية بين العرب وإسرائيل بعد الذى جرى فى ١٩٦٧. ورغم بعض التضارب فى أقوال بعض من لعبوا دورا فى هذه الاتصالات، فإنه كان من الواضح أن مصر فى سعيها للحل السلمى، لم تتزحزح عن موقفها فى استعادة كل الأراضى التى احتلت فى الحرب.

كانت المحطة الأخيرة فى المهام الدبلوماسية للسفير أشرف غربال هى فترة عمله سفيرا فى واشنطن من ديسمبر ١٩٧٣، والتى عاصر فيها خمسة رؤساء: جونسون، ونيكسون، وفورد، وكارتر، وريجان. وتعامل مباشرة مع صناع القرار الذين كانت أيديهم توجه دفة السياسة الخارجية – وعلى رأسهم فى تلك الفترة هنرى كيسنجر، وعايش عن قرب ما الذى كان يجرى فى كواليس صناعة السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وعلاقتها بمصر، والعالم العربى، وأيضا بإسرائيل. يمكن أن يقال إن أشرف غربال مارس مهمته فى واشنطن، استنادا إلى خبرته الدبلوماسية منذ بدأ عمله بالخارجية فى يوليو ١٩٤٩، لكن من المهم أن يقال أيضا أنه أضاف إلى الخبرة الدبلوماسية، تجربة الاتصال المباشر بالأمريكيين فى مرحلتين، الأولى عند ذهابه للدراسة بجامعة هارفارد عام ١٩٤٦، وحصوله منها على الدكتوراه عام ١٩٤٩، والثانية فى فترة عمله رئيسا لبعثة رعاية المصالح المصرية فى واشنطن عام ١٩٦٨– ١٩٧٢ فى وقت تدنت فيه علاقة مصر بأمريكا.

فقد أدرك أن الولايات المتحدة ساحة عامة ينبغى للسفير أن ينزل إليها، إذا أراد لمهمته أن يكون لها معنى وأثر. ورأى أن مهمته أن يجعل الأمريكيين ينظرون إلى مصر فيرونها فى صورة غير الصورة التى رسمت لهم. وهو باعتباره قد درس فى الولايات المتحدة. وفى واحدة من أبرز جامعاتها (هارفارد) التى لاسمها بريق لدى الأمريكيين، فقد عرف طريقة التحدث إليهم، وضرورة أن يتحرك هو إلى الأمريكيين فى أماكنهم ويتكلم معهم، عن الأهمية البالغة للرأى العام، أن يكون له اتصال بالإعلام ليس فقط فى العاصمة، وإنما بالاتصال أيضا

بالصحافة الإقليمية المقروءة على أوسع نطاق فى الولايات التى تصدر فيها. ولم يترك تيارا مؤثرا دون أن يتصل به ويحاوره، بما فى ذلك جماعات اليهود الأمريكيين، حتى أنه يقول عن نفسه: «لقد كنت معتمداً لدى الإعلام والمجتمع الأمريكى بأكثر مما كنت السفير المعتمد لدى حكومة الولايات المتحدة. وإن جزءا رئيسيا من عملى كسفير فى واشنطن الوصول للرأى العام ومحاولة التأثير على صورتنا لديه من زاوية فهمى أن سياستنا الخارجية يصنعها رئيس الدولة، ووزير الخارجية، وأنا كالعازف الذى يعزف نفس النغمة – يساعدنى على أداء دورى أن وجودى فى واشنطن يوفر لى فرصة الوصول إلى أماكن مطلوب الوصول إليها فى المجتمع الأمريكى وإقامة علاقات مع نواب وشيوخ من أعضاء الكونجرس، والاستفادة من رجال أعمال أمريكيين لهم مصالح فى مصر، وبالذات شركات البترول، والذين فتحوا أمامى الأبواب إلى أعضاء الكونجرس، وأفادونى فى ترتيب إلقاء محاضرات فى جامعات، ومنتديات متعددة فى الولايات القريبة والبعيدة عن واشنطن».

لقد كان اهتمامى بمذكرات السفير أشرف غربال، نابعا من عوامل عديدة اجتمعت كلها معا منها: أنه لم يسبق أن كتب مذكراته، وهناك إغراء ما هو معروف عنه ومتفق عليه بشأن التزامه بأن يروى ما جرى دون زيادة أو تحريف، وأهمية الفترة التى عايشها وشارك فيها متصلة بحركة الهبوط والصعود فى العلاقة المصرية الأمريكية، وخبرته فى رصد مفاتيح الدخول إلى أبواب دائرة التأثير على قرار السياسة الخارجية فى الولايات المتحدة.

وكانت حصيلة لقاءات فترة تجاوزت السنتين، وقراءة مئات الملفات التى تضم وثائق ومراسلات ومحاضر اجتماعات مغلقة، هى هذه المذكرات.

عاطف الغمرى

الفصل الأول

اتصالات عبد الناصر السرية مع أمريكا

بعد أشهر من قطع مصر علاقتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، نتيجة حرب ١٩٦٧، أراد الرئيس جمال عبد الناصر أن يفتح قنوات اتصال مع الإدارة الأمريكية، كانت لديه قناة الاتصال الرسمية تمثلها بعثة رعاية المصالح الأمريكية فى إطار سفارة أسبانيا فى القاهرة ويرأسها الدبلوماسى الأمريكى دونالد بيرجس. ثم ظهرت قنوات أخرى غير رسمية وغير معلنة، عن طريق أشخاص عاديين فى البداية، وشخصيات أخرى لها مكانتها فى المجتمع الأمريكى، لكنها خارج دائرة الحكم والمسئولية، وكان عبد الناصر يعطى أهمية كبرى لهذا الجانب من الاتصالات الخاصة، والذى ظهرت فيه أسماء عديدة مثل يوجين بلاك، وجون ماكلوى رئيس البنك الدولى، وروبرت أندرسون وزير الزراعة، وديفيد روكفلر رئيس بنك شيس مانهاتن، ورجلى المخابرات المركزية السابقين مايلز كوبلاند، وكيرمت روزفلت، وأسماء مصرية مثل علوى حافظ، وحسن صبرى الخولى.

كان عبد الناصر يريد فتح مجال للمناقشة مع الولايات المتحدة يساعد على التفاهم وتحسين العلاقات، لكن هذه المحاولات لم تنجح لعدة أسباب منها:

١- إن بعض الذين قاموا باتصالات بين عبد الناصر والإدارة الأمريكية، ضخموا من التوقعات التى ستسفر عن التفاهم بين الجانبين، والتى لم تكن تتفق مع الظروف القائمة، ومع مواقف وسياسات كل جانب، من الجانبين المصرى والأمريكى.

٢- إن عبد الناصر كان يجد صعوبة فى اتخاذ خطوات أبعد مدى من إصلاح العلاقات بين الولايات المتحدة، لأن عينه كانت فى تلك الفترة على الاتحاد السوفيتى، فما الذى يستطيعه عبد الناصر ويقبله السوفيت فيقدم عليه، وما الذى لا يقبله السوفيت فيتجنبه، لأنه يحتاج الاتحاد السوفيتى لإعادة بناء قواته المسلحة، ووقوفه معنا فى وقت الأزمة التى واجهناها نتيجة حرب ١٩٦٧.

٣ - الانحياز الشديد لإسرائيل من الرئيس الأمريكى جونسون، وتمسك الإدارة الأمريكية بإقامة سلام كامل بين مصر وإسرائيل، عن طريق مفاوضات مباشرة، لإيجاد حل سياسى، بينما يصر عبد الناصر على إنهاء حالة الحرب وليس قيام سلام. وكانت تصرفات إدارة جونسون تحمل رسالة للعرب بأن عليهم تحمل نتائج هزيمة ١٩٦٧، فرغم بشاعة الهزيمة وضعف مصر عسكريا بشكل لا يمثل أى تهديد لإسرائيل لمدة طويلة، فقد سارعت واشنطن ببيع طائرات الفانتوم الحديثة لإسرائيل، تطبيقا لمبدأ توفير التفوق

العسكرى لإسرائيل على الدول العربية مجتمعة، وكان جونسون قد أفصح عما يحكم تفكيره الذى لم يتغير، وذلك عندما زاره رئيس الوزراء السوفيتى كاسجين بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة، وقال إن موسكو اضطرت فى ضوء ما حدث للعرب فى ١٩٦٧، إلى بيع أسلحة للجيش المصرى، لأنه لم يكن ممكنا ترك الوضع على ما هو عليه، ورد عليه جونسون بقوله: دع العرب يقاتلون بقبضة يدهم. وهذا الكلام نقلته الصحافة الأمريكية. وكان جونسون بهذا يوجه رسالة للعرب بأنهم مهما فعلوا فستظل إسرائيل هى المسيطرة على الموقف.

شاهدت عن قرب اتصالات عبد الناصر السرية مع واشنطن

رغم ذلك فقد أراد عبد الناصر فتح قنوات الاتصال مع الولايات المتحدة، وفى تقديرى أن عبد الناصر لم يكن معاديا للولايات المتحدة، لكن الظروف هى التى قادت إلى التدهور الذى أدى فى النهاية إلى قطع العلاقات. وقد شهدت محاولات عبد الناصر لفتح قنوات الاتصال، أثناء فترة عملى فى واشنطن التى وصلت إليها فى نوفمبر ١٩٦٧، بعد حرب يونيو بستة أشهر، رئيسا لبعثة رعاية المصالح المصرية فى إطار سفارة الهند فى واشنطن. وأذكر أن محمود رياض وزير الخارجية قال لى، انه ذهب إلى الرئيس عبد الناصر بعد قطع العلاقات مع واشنطن فى يونيو ١٩٦٧، وسأله عن نوع العلاقة التى ستكون بيننا وبينها، فنصحه عبد الناصر بأن يبقى على اتصال مصرى معها، وقال له إن الولايات المتحدة دولة عظمى، وعضو دائم فى مجلس الأمن وسوف نحتاج إلى وجود اتصالات معها.

وفى تقديرى وبناء على الوثائق السرية المرفقة، فإن الرئيس عبد الناصر أراد أن يفتح قنوات اتصال مع الولايات المتحدة فى محاولة للتوصل من خلال الحوار الهادئ وبعيدا عن أجهزة الإعلام، إلى تبادل وجهات النظر، وتوصيل وجهة نظره للإدارة الأمريكية وللرئيس الأمريكى، دون تدخل من أطراف أخرى فى هذا الحوار، وحتى تكون قضيته واضحة دون لبس أو تشويش، فهناك واقع قد طرأ على المنطقة، يمثله احتلال إسرائيلى تم بالقوة العسكرية لأراض عربية، وهناك أحاديث عن الرغبة فى السلام، كسبيل للخروج من هذا الواقع، وأنه لا

يمكن لمصر أن تقبل السلام بدون انسحاب إسرائيل التام من الأراضى التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧.

كان عبد الناصر يدرك أنه يرتبط بعلاقات قوية مع الاتحاد السوفيتى الذى يسانده سياسيا، ويدعمه فى إعادة بناء قوته العسكرية، وأنه فى الوقت نفسه لا يريد أن يضيع فرصته حتى ولو كانت بابا مواربا وليس مفتوحا لجهد دبلوماسى تملك الولايات المتحدة مفاتيحه. وكانت تلك فترة صراع حاد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، على مستوى العالم، وعلى النفوذ فى منطقة الشرق الأوسط على وجه التحديد. ولهذا من أجل أن يحقق عبد الناصر التوازن لموقفه، فقد كان الاتصال سرا وبعيدا عن العلانية، هو السبيل الأنسب، ولاستطلاع الرغبة الحقيقية للولايات المتحدة فى القيام بدور للوصول إلى حل حقيقى للواقع المأسوى فى الشرق الأوسط، واختبار جدية ما يصدر عنها من بيانات وتصريحات تتحدث عن رغبتها فى إنهاء هذا النزاع وإيجاد حل سلمى له وإسقاط دعاوى إسرائيل بأنها فعلا تريد السلام.

وكنت قد حضرت لقاء لأول مرة مع الرئيس عبد الناصر وجها لوجه، بعد أن أصدر الرئيس قرارا بتعيين الأستاذ محمد حسنين هيكل وزيرا للإعلام، فقد عرض هيكل على الرئيس أن يلتقى مع الأشخاص المعاونين لوزير الخارجية محمود رياض ويتكلم معهم، وذهبنا فعلا إلى استراحة الرئيس فى المعمورة. فى صحبة هيكل - وكنا مجموعة تضم السادة محمد حسن الزيات، ومحمد رياض، وأحمد عثمان، وأسامة الباز، وتحسين بشر، وأشرف غربال. وقد عاد محمود رياض إلى مصر ليحضر الاجتماع، وقطع إجازة راحة فى بلغاريا بعد فترة عمل بذل فيها جهدا شاقا، بعد أن اتصل به محمد رياض وأبلغه بالاجتماع.

جلسنا مع الرئيس عبد الناصر، الذى طلب أن يقدم كل منا نفسه، وأنه يريد أن يسمع منا جميعا، إلى أن وصل إلى وقدمت إليه نفسى، فعقب بقوله: إننى أقرأ برقياتك وتقاريرك. ودارت مناقشة انتهى فيها الرئيس إلى ملاحظة بأننا نبدو أكثر ميلا للغرب، عن ميلنا للكتلة الشرقية، مع أن الاتحاد السوفيتى يزودنا بمساعدات عسكرية ضخمة تمكننا من الوقوف فى وجه عدوان إسرائيل.

وتحدثت وذكرت أننى لا أحظى بمقابلة السيد الرئيس كلما أردت ذلك، ولهذا فسأركز على نقطة واحدة، وهى أننا مدينون للولايات المتحدة بنحو ١٢٠ مليونا من الدولارات قيمة مواد

غذائية أشتريناها منذ سنوات. فرد الرئيس عبد الناصر ليس لدينا أموال تسمح بسداد هذا المبلغ، فقلت إن ما سأقترحه لا يعنى أننا سندفع أى مبالغ. وبينت أنه يمكن لنا توقيع اتفاق مع الولايات المتحدة يعطينا فترة سماح ثلاث سنوات ثم تقسيط المبلغ على دفعات، وإذا حدث بعد ذلك تحسن فى علاقات البلدين، فسوف تجد واشنطن مخرجا لنا من أزمتنا الاقتصادية، أما إذا لم تنصلح العلاقات السياسية، فلن يكون الحال أسوا مما هو عليه.

ورد عبد الناصر بأنه لا يعارض فى ذلك. واكتفيت بهذه النقطة وشعرت من مجمل كلامه بما يوحى بأنه لم يكن يعارض من حيث المبدأ إقامة علاقات سياسية مع الولايات المتحدة.

لكن وجودى فى واشنطن مسئولا عن رعاية المصالح المصرية، فى الفترة من نوفمبر ١٩٦٧ حتى ١٩٧٢، أتاح لى أن أشهد عن قرب الاتصالات الخاصة والسرية التى كانت تجرى بين الرئيس عبد الناصر والإدارة الأمريكية، وما كان يدور فيها من مناقشات، من خلال مختلف الشخصيات وقنوات الاتصال التى لم يكن دورها مقصورا فقط على نقل الرسائل المتبادلة بين الجانبين، بل أيضا مشاركتها أحيانا بالمناقشة وطرح الرأى، والاستماع إلى وجهات النظر، من الرئيس عبد الناصر من ناحية، ومن الرئيس الأمريكى والمسئولين فى الإدارة الأمريكية من ناحية أخرى.

مايلز كوبلاند وكيرمت روزفلت
يطلبان مقابلة عبد الناصر

من هذه القنوات تلك التى كان يمثلها رجل المخابرات الأمريكى مايلز كوبلاند الذى ذاع صيته بعد نشر كتابه الشهير والمثير بعنوان «لعبة الأمم»، وكيرمت روزفلت الذى كان رجل المخابرات المركزية فى الشرق الأوسط وكان كوبلاند قد أصبح حلقة الصلة بين عبد الناصر والولايات المتحدة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢، كما أن روزفلت جاء بعدها إلى مصر والتقى بعبد الناصر. وكان عبد الناصر عقب نجاح الثورة، مهتما بإقامة علاقة حسنة مع الولايات المتحدة، خاصة وأن القضية الوطنية الأولى كانت تتمثل فى الخلاص من الاحتلال البريطانى الذى كانت قواعده لا تزال قائمة على جزء من أرض مصر.

وفى يوم ٦ يونيو ١٩٦٨ اتصل بى كيرمت روزفلت ودعانى على غداء يحضره معنا مايلز كوبلاند، والتقينا وأبدى الاثنان رغبتهما فى أن توجه القاهرة دعوة لروزفلت لزيارتها، والالتقاء بالرئيس عبد الناصر. وقالا إن مايلز سيسافر إلى القاهرة لمدة أسبوع، فى الفترة من ٢٠-٢٦ يونيو ١٩٦٨، وأنه سوف يتصل بالسيد سامى شرف بعد وصوله.

وفى اليوم التالى ٧ يونيو أرسلت إلى السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات خطابا أبلغه بما جرى. وقلت فى خطابى إن مايلز حدثنى عن الاتصالات التى ينوى القيام بها مع اليهود غير الصهاينة، ممن لهم مكانة فى المجتمع الأمريكى، وتأثير على سير الأمور، وإنه ينوى أن يكشف لهم ما أصاب العرب من ضرر على يد السياسة الأمريكية، وما تركه ذلك من أثر سلبى لدى العرب.

وبعد إرسالى هذا الخطاب بأيام تلقيت اتصالا تليفونيا من روزفلت يقول لى: «أرجو أن ترسل للقاهرة تبلغهم أننى قابلت الناس "The people" وتكلمت معهم. وهم مرتاحون».

وكان ردى عليه أن هذه كلمات لا أستطيع أن أرسلها برقيا. وعليك أنت أن تتصرف وعلمت بعدها أن روزفلت سافر إلى القاهرة، والتقى بالرئيس عبد الناصر.

فى ٧ فبراير ١٩٦٨ أرسلت خطابا شخصيا وسريا للغاية إلى السيد سامى شرف، قلت فيه أن لوشياس باتل وريتشارد باركر احاطانى علما بموضوع المحامى بيرتزول الذى حمل رسالة مكتوبة وأخرى شفوية من الرئيس عبد الناصر إلى الرئيس جونسون. وأنهما أفادانى بمضمون هذه الرسائل. وإن الاثنين أضافا أن بيرتزول اتصل بهما بعد بضعة أيام يبلغهما أنه سيسافر إلى القاهرة يوم ١٥ فبراير فى زيارة أخرى، وأنه قال إن طلب استئناف العلاقات مع الولايات المتحدة يتوقف على دعوة الرئيس جونسون للرئيس عبد الناصر لزيارة الولايات المتحدة. وأنهما خرجا من كل ما قاله بيرتزول فى مختلف المرات التى اتصل بهما فيها، بانطباع بأنهما لا يشعران باطمئنان كاف لما ينقله. ويعتقدان أنه يضيف كلاما من عنده، بما لا يتفق مع ما يعرفانه عن الرئيس عبد الناصر وأسلوبه وسياسته. وأنهما لهذه الأسباب وغيرها لم يشجعا بيرتزول فيما يحاول القيام به كوسيط فى الاتصال بين الرئاستين.

وقد طلبا منى أن أنقل رغبتهما المشار إليها لكم راجيين أن يكون قرار القاهرة متفقا مع هذه الرغبة أيضا، مفضلين أن يكون الاتصال من خلال القنوات المتوافرة حاليا بين العاصمتين والرئيسين.

وللعلم فقد ذكر لهما بيرتزول انه على اتصال بباكستانى يدعى «صديقى» وأن الأخير على اتصال بالسيد علوى حافظ عضو مجلس الأمة.

وبعـد أيام من إرسـالى هذا الخطاب إلى سـامى شـرف قـابلت باركر بمقـر الخـارجيـة الأمريكية وقال لى إن الرئيس عبد الناصر ذكر لبيرتزول: «أنكم - أى الأمريكيين - تقولون إن اتصالاتكم هذه معى محاطة بالسرية، بينما علمت أن أشرف غربال علم بهذه الاتصالات من وزارة خارجيتكم فى واشنطن، كما أنه بعث إلى وزير الخارجية فى القاهرة بتقرير يتضمن وقائع هذا الاتصال بالتفصيل».

وثائق جونسون السرية تكشف اتصالات عبد الناصر بعد رفع الحظر عنها

ولم يكن فى تقديرى ونحن فى سياق كتابة هذه المذكرات، أن الظروف ستفتح أمامنا بابا كنا نظنه مغلقـا، تأتينا منه ٧٥ ورقـة رسـمـيـة، من الوثائق السـرية للبيت الأبيض والخـارجـيـة الأمريكية، كلها تخص الاتصالات السرية للرئيس عبد الناصر بالولايات المتحدة.

ففى الأسـبوع الثانى من ديسـمـبـر ٢٠٠١، أرسلت إلى ريتشـارد باركـر على عنوانه فى واشنطن – وكانت قد ربطتنى به عـلاقـة قـوية منذ وصلت إلى واشنطن فى ١٩٦٧، وكـان هو رئيسا لقسم مصر بالخارجية الأمريكية – أستفسر منه عن اسم قد نسيته لشخص أمريكى، كان باركر قد أبلغنى فى عام ١٩٦٨، أنه ينقل رسائل بين عبد الناصر وجونسون.

وفى يوم ١٨ ديسـمـبـر ٢٠٠١، أى بعد أيام، وصلنى خطاب من باركـر يـخطرنى فـيـه أن تطورات مـفاجـئة حدثت هذا الأسـبوع كشـفت عن معلومـات جديدة فى هذا الموضـوع. فـقد أرسلت إليه باحثة أمريكية تدعى ليزا لاسى تقول إنها أثناء إعدادها رسـالة مـاجسـتير عن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، استطاعت أن تحصل من مكتبة ليندون جونسـون فى مسقط رأسه، على الوثائق الرسمية الخاصة بمراسلات البيت الأبيض، بعد رفع الحظر عنها لمرور ٣٠ عـامـا عليها بمقتضى القـانون. وبعد اطلاعها على هذه الوثائق فإنها تستفسر منه (أى من باركر) عن الأسباب التى جعلت الولايات المتحدة لا تستجيب لمحاولات الرئيس عبد الناصر تحسين العلاقات بين مصر والولايات المتحدة، وتوصد الباب فى وجه هذه المحاولات.

وقال باركر فى خطابه لى إنه كتب إلى الباحثة يجيب عن استفساراتها من وجهة نظره، وأحاطها علما بأنه سيرسل صورا من إجابته إلى السفراء لوشياس باتل، وهارولد سوندرز، وأشرف غربال، وأيضا نسخا من الوثائق التى وصلته منها.

وكانت إجابة باركر على ليزا لاسى كما يلى:

عزيزتى ليزا...

ردا على سؤالك لماذا لم نهتم بمتابعة اللقاء الثانى الذى أجراه بيرتزول مع ناصر، وهو سؤال مهم، فإن الإيضاح التالى من وجهة نظرى قد يساعدك.

فأنا أولا كنت أعمل مستشارا سياسيا بالسفارة الأمريكية فى القاهرة فى وقت زيارة بيرتزول لمصر فى أكتوبر ١٩٦٦. وكنت قد أحطت علما بحديثه مع ناصر الذى أبلغه للسفير لوشياس باتل. وبالمناقشة التى تمت بين باتل وناصر فى ديسمبر ١٩٦٦. وعندما قطعت مصر علاقتها معنا فى يونيو ١٩٦٧، عدت إلى واشنطن، وتوليت مسئولية إدارة شئون مصر بالخارجية الأمريكية، حتى ربيع عام ١٩٧٠. وعلمت بلقاء بيرتزول بعبد الناصر فى ٩ ديسمبر ١٩٦٧، الذى أبلغ به دونالد بيرجس، المسئول عن رعاية المصالح الأمريكية فى مصر فى هذا الوقت، وبردنا عليه. ولقد كنت واحدا من عدد قليل من الأفراد الذين اطلعوا على هذا السيناريو بأكمله، ومازال هناك ثلاثة أشخاص آخرون على قيد الحياة ممن كانوا ضالعين فى هذه الاتصالات وهم والت روستو، وهارولد سوندرز، ولوشياس باتل.

وكان التحسن فى العلاقات المصرية الأمريكية الذى بدأ عام ١٩٥٨، قد أصابه الفتور بعد أن أصبح ليندون جونسون رئيسا. فالمصريون يذكرون موقفه الموالى لإسرائيل عام ١٩٥٧، ومعارضته لجهود ايزنهاور لحمل إسرائيل على الانسحاب من سيناء، ولم يقدم فى عهده على ما كان قد جرى أيام سلفه جون كنيدى من تبادل للرسائل الشخصية مع ناصر.

وخلت خطاباته لمصر من الكياسة فى التخاطب. ومرت العلاقات بمراحل من الأحداث المؤسفة، والتى وصلت إلى استخدام ناصر عبارته «من لا يعجبه فليشرب من البحر».

وحين ذهبت إلى القاهرة فى يوليو ١٩٦٥، كانت المشاعر المعادية لناصر فى المراكز الاستراتيجية فى واشنطن، قوية للغاية، وكنا نستخدم المعونة كوسيلة للضغط السياسى، لمحاولة تصحيح سلوك عبد الناصر. وكان يدفعنا فى هذا الاتجاه أصدقاؤنا فى المنطقة مثل إسرائيل وبعض العرب.

ولم نكن نعرف ما الذى جعل عبد الناصر يعتقد بأننا قد دبرنا خطة لاغتياله، وكان لديه اقتناع بأننا نسعى وراءه. وأصبح واضحا بحلول مايو ١٩٦٧ أننا نتجه إلى طريق صدام فيما بيننا.

وعندما اتهمنا ناصر بالمشاركة مع إسرائيل فى الهجوم العسكرى فى يونيو ١٩٦٧، وقطع العلاقات معنا فقد كانت تلك هى القشة الأخيرة التى قصمت ظهر العلاقات بيننا، ولم يكن لدى واشنطن اى اهتمام بالحوار مع ناصر، أو أى ثقة بما يقوله، خاصة أنه خسر الحرب.

ولقد شعر بيرتزول، وهو رجل رقيق وصادق، بأنه قد يستطيع المساعدة على استعادة الحوار بيننا وبين ناصر. وإن كان الشعور فى واشنطن وقتها يميل إلى عدم الحاجة إلى وسطاء، لوجود القنوات العادية التى يستطيع المصريون الاتصال عن طريقها معنا.

ولم يكن الجو السائد يساعد على شىء من هذا، فكان من الواضح عدم وجود اهتمام لدى جونسون بالتصالح وتسوية الخلاف. وكنت أشعر بأن التنافر بين جونسون وناصر متأصل فى كل منهما، وكانت مشاعر جونسون الموالية لإسرائيل عنصرا فى نقص اهتمامنا، لكننى لا أستطيع أن أحدد بالضبط مدى تأثير هذا العنصر. وهذه الاعتبارات كان يمكن ألا تكون لها هذه الأهمية الكبيرة لو أننا اعتقدنا أن ناصر كان جادا فيما يقوله لبيرتزول، والأكثر أهمية لو أننا نظرنا إليه كرجل مهزوم تماما، ليست لديه قدرة على تهديد إسرائيل، ونتيجة لهذا لم نأخذ مصر بالجدية التى كانت يجب أن نأخذها بها.

أول خيط لبداية الاتصالات السرية

كان هذا خطاب باركر للباحثة ليزا لاسى، والذى وصلتنى نسخة منه فى يناير ٢٠٠٢، مرفق بها الوثائق الرسمية لهذه الاتصالات، التى كانت الباحثة قد أرسلتها إلى باركر، تبنى عليها استفساراتها التى بعثت بها إليه وهى:

وثيقة رقم (١):

الوثيقة الرسمية المودعة بالخارجية الأمريكية بتاريخ أول نوفمبر ١٩٦٦، والموجهة من جيمس بيرتزول وتقول:

«إننى تلقيت فى ٦ مايو ١٩٦٦ طلبا من دونالد تشامبرلين نائب رئيس الشركة الدولية الكو alco، لاجتماع مع ممثلى وزارة الخارجية، للتحقق من موقفهم من معونة تمويل إنشاء مصنعين للأسمدة فى مصر، وذلك بناء على طلب مسئولين بالحكومة المصرية. وتم هذا الاجتماع وأعرب المسئولان بالخارجية اللذان اجتمعت بهما، وهما ايرل رسل، وجورج بنسكى، عن تشاؤم بالغ إزاء إمكان الموافقة على هذا التمويل وأبلغانى أن اتفاقات قروض شراء المواد الغذائية السارية حتى ٣٠ يونيو ١٩٦٦ لن تجدد. وقالا إن من الممكن أن يعاد النظر فى هذا الموقف الأمريكى فى حالة حدوث تحسن ملموس فى العلاقات.

ونقل تشامبرلين هذه النتائج لممثلى الحكومة المصرية الذين اجتمع بهم فى القاهرة. وبعد عودته طلب منى الاجتماع مع رسل، واقتراح القيام باتصال غير رسمى بين الحكومتين وكان رد رسل أنهم يفضلون أن تجرى الاتصالات عبر القنوات الرسمية، ولكن نظرا لرغبة حكومتنا فى تحسين العلاقات مع مصر، فسيكون سعيدا لترتيب اجتماع يحضره علوى حافظ عضو مجلس الأمة المصرى، ومسئول بالخارجية الأمريكية، بغرض مناقشة الحالة الراهنة للعلاقات المصرية الأمريكية. وإن كان رسل قد ظل متشائما من إمكان أن يسفر هذا الاجتماع عن أى نتائج.

وأرسل تشامبرلين إلى السلطات المصرية يبلغها بأن الخارجية لا تريد الإعراب عن أى تفاؤل، لأنها لا تتوقع نتائج من هذا الطريق.

وفى ٢٣ اغسطس ١٩٦٦، تم ترتيب اجتماع حضره دونالد بيرجس مدير إدارة مصر بالخارجية، وعلوى حافظ، وصديقى "Seddiqi" وهو الممثل الخارجى لشركة الكو alco. ثم عقد اجتماع ثان بالخارجية فى اليوم التالى حضره ديفيز نائب مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط، وبيرجس، وصديقى، وعلوى حافظ، وتشامبرلين.

ومضت الأمور إلى أن سافرت فى أول أكتوبر إلى أوروبا وبينما كنت فى لندن تلقيت اتصالا من صديقى، يفيد بأن علوى حافظ طلب ترتيب اجتماع لى مع الرئيس عبد الناصر بهدف مناقشة التقرير الذى قدمه حافظ للرئيس عن اجتماعاته فى واشنطن. وأن الدعوة شخصية من الرئيس المصرى وأن اعتبر نفسى ضيفا على الحكومة المصرية، وطلبت منه إبلاغ الرئيس بأنه يسعدنى مقابلته يوم ١٢ أكتوبر، على أساس هذه الشروط:

١ - إننى لن أخطر الخارجية الأمريكية بالدعوة حتى لا يفهم أننى أتصرف بعلمها أو موافقتها.

٢ - الا يعلن عن هذا الاجتماع فى الصحافة المصرية.

٣ - ان يكون الاجتماع غير رسمي، ولا يحضره غير الرئيس وعلوى حافظ.

وتمت الموافقة على هذه المطالب. وسافرت للقاهرة واستقبلنى الرئيس ناصر فى بيته يوم ١٢ اكتوبر، ودام اللقاء ساعتين. وكان ناصر يتكلم الإنجليزية بطلاقة.

وقال ناصر إنه تلقى تقرير علوى حافظ عن مناقشاته مع بيرجس وديفين، وإنه يود أن يعرب عن وجهة نظره لى، وليس على المستوى الدبلوماسى الرسمى.

وشرح عبد الناصر مسيرة العلاقات بين مصر وأمريكا ابتداء من ثورة ١٩٥٢، ورفض أمريكا تسليح مصر، وسحب عرض تمويل السد العالى، وتاميم قناة السويس. وأشار إلى قضية مصطفى أمين. واعترف بانه ظل لبضع سنوات يطلعه على معلومات، لكنه توقف عن رؤيته لفترة السنتين السابقتين لإلقاء القبض عليه باتهامه بالتخابر مع المخابرات المركزية. وأنه - أى ناصر - ابلغ السفير الأمريكى أن المعلومات التى كان عميل المخابرات الأمريكية فى القاهرة يتلقاها من مصطفى أمين مدة العامين الماضيين ليس لها أى اساس، لكنه خرج بانطباع قوى بأن السفير الأمريكى لم يقبل هذا الإيضاح، وأنه ظل يصدق تقارير مصطفى أمين.

وقال ناصر فى لقائى معه، إن لديه دليلا لا يقبل الشك على أن عملاء للمخابرات المركزية، شاركوا خلال الأشهر القليلة الماضية فى مؤامرة مع مصريين هدفها اغتياله، والإطاحة بنظام حكمه بالقوة.

وطلب الرئيس ناصر منى أن أعرض وجهة نظرى فيما طرحه، وقد عرضت وجهة نظرى فى كل ما ذكره وبالنسبة للمؤامرة عليه فقد استبعدت أن تشارك الحكومة الأمريكية فى مؤامرة كهذه وأن المنطق يشير إلى أن الدليل الذى تحدث عنه هو من اصطناع إما قوى شيوعية أو دول عربية لا تشعر بالود نحوه. وأوضحت له مشاعر الأمريكيين بعد حرب السويس، وهى أن الشعب الأمريكى يشعر أنه أعطى للاتحاد السوفيتى كل الفضل فى منع القوة العسكرية لبريطانيا وفرنسا وإسرائيل فى عام ١٩٥٦ من الإطاحة به، بينما الولايات المتحدة لم تؤيد هذه الدول الثلاث وهى حليفة لها.

وأوضح ناصر أنه مهتم بإغلاق ملف الماضى مع الولايات المتحدة، ووعد بإيقاف الحملات المضادة للولايات المتحدة، وأنه بمجرد أن تستأنف أمريكا قروض المواد الغذائية، فسوف يعلن صراحة امتنانه للولايات المتحدة، وإذا وصلت هذه المعونه قبل يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٦٦ (وهو موعد افتتاح دورة البرلمان المصرى) فسوف يتضمن خطابه اعترافه بالمعونة الأمريكية.

ولقد أوصيت فى مذكرتى للخارجية الأمريكية بأن من مصلحة الولايات المتحدة استثناء برنامج قروض المواد الغذائية لمصر والتى تعتبر فى حاجة ماسة وملحة لها، وأن يصدر عن مسئولين أمريكيين بيان - لا يوافق بالضرورة على السياسة الخارجية المصرية - لكن يعترف بأن ناصر كان يعمل خلال توليه الحكم من أجل مصالح الشعب المصرى، واقتناعا منا برغبته فى أن يكون محايدا فى سياساته مثل الهند وباكستان ويوغوسلافيا، ينبغى بذل جهود لدعوته إلى واشنطن لمؤتمر حول الوضع فى الشرق الأوسط.

جيمس بيرتزول

عبد الناصر يحاول المحافظة على استقلاله عن الروس الذين يريدون أخذ مكانه فى اليمن

وثيقة رقم (٢):

«فى يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٧ كتب والت روستو مذكرة خاصة موجهة إلى الرئيس جونسون (محفوظة ضمن الوثائق السرية للبيت الأبيض)، قال فيها:

إن رجل الأعمال الأمريكى بيرتزول ذا العلاقة القوية مع القاهرة، يحمل رسالة إليك من ناصر. ومن الممكن أن ناصر يريد الاقتراب منا، فى الوقت الذى يحاول فيه الروس أن يحلوا محله فى اليمن، وأنه يريد أن يحافظ على استقلاله عن موسكو. وقد ذكر لى بيرتزول أنه يحمل رسالة رسمية من ناصر، على الا تسلم لأحد غير الرئيس جونسون. وقد ابلغ ناصر بيرتزول أنه لم يبلغ أحدا، حتى وزير خارجيته، بوجود بيرتزول فى مصر. ومن خلال مناقشات ناصر مع بيرتزول التى دامت ساعتين، يبدو مؤكدا أنه ضمنها محتويات رسالته الرسمية. ويعتقد ناصر أن الروس يزيدون من ضغوطهم عليه، وأن قدرته على المقاومة تزداد

ضعفا، فى حالة عدم وجود علاقات له مع الولايات المتحدة. وألمح ناصر إلى الضغوط الروسية القوية لإعادة استخدام ميناء الإسكندرية، وأن تكون لهم تسهيلات دائمة لتزويد سفنهم بالوقود وثكنات لرجال البحرية السوفيت. وسوف يغادر بيرتزول القاهرة اليوم إلى لندن وينوى العودة إلى نيويورك يوم ١٤ ديسمبر، ويطلب لدى وصوله موعدا مع الرئيس. ويتلخص تفكير بيرتزول فى أن الولايات المتحدة يجب ألا تقف مكتوفة اليدين فى مواجهة قيام الاتحاد السوفيتى ببسط نفوذه على مصر، ودول عربية أخرى فى شرق البحر المتوسط. وإننى - أى روستو - أوصى بأن يستقبل الرئيس جونسون، بيرتزول ولو لبضع دقائق قبل أن يحيله إلى المستشارين فى البيت الأبيض أو الوزارات الأخرى.

والـــــت

وثيقة رقم (٣):

فى يوم ١١ ديسمبر ١٩٦٧، كتب هارولد سوندرز مذكرة سرية إلى والت روستو، تقول:

إن وزارة الخارجية تقوم الآن بصياغة توصياتها النهائية، بشأن كيفية التصرف مع طلب بيرتزول تحديد موعد لمقابلة الرئيس جونسون وقال رغم أننا لا نريد قطع هذه الاتصالات فإننى أتحفظ إزاء قيام ناصر بإرسال رسالته هذه إلينا بدون علم حتى وزير خارجيته.

ولقد حان الوقت لكى يكف المصريون عن إعطائنا إشارات غامضة. وفى هذا الصدد فإننا كان يمكن أن نوقع أنفسنا فى مأزق حاد لو أننا قمنا بالرد على بعض هذه الإشارات فى الصيف الماضى، مما كان يمكن أن يربطنا بمؤامرة «عامر» بأكملها. ويضاف لأسباب القلق هذه من جانبنا، طلب دونالد بيرجس بأن نعتبره حلقة الاتصال الأساسية لنا مع استبعاد الآخرين.

وثيقة رقم (٤):

وفى اليوم التالى ١٢ ديسمبر ١٩٦٧، وصلت إلى البيت الأبيض مذكرة سرية إلى والت روستو من هارولد سوندرز، يقول:

إن لوشياس باتل وأنا لا نستطيع أن نوصى بأن يقابل الرئيس بيرتزول فإن هذا سيضع ناصر فى موقف اختيار قنواته التى يتكلم من خلالها إلى الرئيس جونسون. كما أننا لسنا

متأكدين من ماهية الرسالة التى يحملها بيرتزول. كما أننا لسنا واثقين من جدية ناصر فى هذا المسعى (مادام لم يحط وزير خارجيته علما بما يفعله) وعلى هذا نقترح أن تلتقى فى مكتبك مع بيرتزول بحضور باتل. ولا نريد أن نكون فى موقف من يرفض الاستماع إلى ما يريد ناصر قوله، وبهذه الطريقة يمكن أن نعرف ما إذا كان الأمر يستحق أن يأخذ بعضا من وقت الرئيس.

وثيقة رقم (٥):

وفى ١٨ ديسمبر ١٩٦٧، تسلم الرئيس جونسون مذكرة سرية من والت روستو بأنه قابل توا جيمس بيرتزول، أنه يحمل رسالتين:

إحداهما خطاب خطى من الرئيس عبد الناصر، يعرب فيه عن رغبته فى استئناف العلاقات الطبيعية مع الولايات المتحدة.

والثانية رسالة شفهية ينقلها بيرتزول إلى الرئيس. وقد شرح لنا بيرتزول أنه وعد ناصر بنقل الرسالة الشفهية منه إلى جونسون دون أى شخص آخر. وأن السبب - حسب رأى بيرتزول - فى إصرار ناصر على أن تكون الرسالة شفهية، يتعلق بأمنه الشخصى his personal security، لاتخاذه مثل هذه الخطوة.

وقد أصر بيرتزول على أن ينقل الرسالة إليك وحدك، ولن يستغرق ذلك من وقتك أكثر من ثلاث دقائق. وإذا لم يتمكن من مقابلتك، فسوف يعود لإبلاغ المصريين أنه فشل فى نقل الرسالة. وأنه يعتقد أن ناصر سيعتبر ذلك إهانة من الولايات المتحدة لمصر وله شخصيا».

وثيقة رقم (٦):

١٢ يناير ١٩٦٨ تلقى لوشياس باتل رسالة من جيمس بيرتزول يشير إلى لقائه السابق مع ناصر، والحلقات اللاحقة من لقاءاته مع المستويات الأمريكية الرسمية ويقول:

إنه علم أن الرئيس عبد الناصر كان مسرورا من الرد الذى تلقاه على الرسالة التى سلمتها منه إلى الرئيس جونسون فى ٨ ديسمبر، وإننى أخطرت بأنه يكون من الملائم لو أمكن ذلك - اتساقا مع التقاليد العربية - لو أن عبد الناصر تلقى رسالة تحمل توقيع الرئيس جونسون. وإننى كمحام ليس لدى عملاء عرب، لكن لدى العديد من العملاء اليهود وكثير منهم

صهيونيون شديدو التعاطف مع إسرائيل، وقد اتفق جميع من تحدثت إليهم ليس فقط على أن سيطرة السوفيت على الشرق الأوسط ستقوض مصالح الولايات المتحدة وحلف الأطلنطى، بل أيضا على أن هذه السيطرة قد تهدد وجود إسرائيل ذاته.

وفى رأيى أن ناصر هو الذى يستطيع مقاومة سيطرة السوفيت على بلاده. ولكنه قد لا ينجح بدون مساندتنا، وستكون تلك هزيمة كبرى للسياسة الخارجية الأمريكية.

وثيقة رقم (٧):

وفى ٦ فبراير ١٩٦٨، تسلم والت روستو رسالة سرية من هارولد سوندرز يقول:

إن باتل يريد أن تعلم أن بيرتزول يحاول العودة مرة أخرى لنشاطه فى الاتصال مع القاهرة. وقد يتصل بك. ويقول إنه أبلغ عملاءه بأن ناصر سيقابله يوم ١٥ فبراير. وأن باتل ليس مرتاحا لقناة الاتصال هذه، ويريد إغلاقها بهدوء. وإننا لدينا قنوات الاتصال من خلال بيرجس ويوجين بلاك، ولسنا فى حاجة لقناة بيرتزول.

معلومات أخرى من مجموعة وثائق الخارجية والبيت الأبيض

وفى ١٥ يناير ٢٠٠٢، وصلنى من ريتشارد باركر خطاب آخر يقول إن الوثائق التى وصلته من ليزا لاسى أثارت فضوله للبحث فى الملفات السرية لوزارة الخارجية فى المجلدات التى تحمل عنوان النزاع العربى الإسرائيلى ١٩٦٧- ١٩٦٨، والتى رفع الحظر عنها بعد مرور ٣٠ عاما عليها بمقتضى القانون. وإنه عثر على عدد من الوثائق التى تتعلق ببيرتزول، والتى قد تتضمن معلومات لم ترد فى الوثائق التى حصلت عليها السيدة لاسى من مكتبة ليندون جونسون.

ورغم تحفظاتنا فى وزارة الخارجية حول مدى دقة بيرتزول فيما نقله عن ناصر، فإن جونسون استقبله يوم ١٨ ديسمبر ١٩٦٨. وسلمه رسالة رسمية مكتوبة عبارة عن تحية

للرئيس وعائلته، وإعراب عن الأمل فى علاقات طيبة، بالإضافة إلى رسالة شفوية من ٤ نقاط هى:

- الإعراب عن غاية التقدير لجونسون، والأسف لقطع العلاقات، والرغبة فى استئنافها.
- الأمل فى أن يستخدم جونسون نفوذه لتحقيق الانسحاب الإسرائيلى، الذى سيؤدى إلى قبول ناصر حالة «لا حرب».
- يأمل ناصر فى حل لمشكلة اللاجئين يتفق مع إيجاد حل لوجود إسرائيل.
- يأمل فى بادرة تعبر عن الصداقة تجاه العرب بعد استئناف العلاقات وأنه سينظر بالتقدير لتوجيه دعوة إليه لزيارة الولايات المتحدة.

ورغم شكنا فى أن يكون ناصر قد قال كل هذه المعانى لبيرتزول، فإن جونسون رد برسالة مكتوبة قصيرة لناصر، ورسالة شفوية أطول سلمت مباشرة لبيرجس فى ٦ يناير ١٩٦٨، ومن المهم أن يتم قراءة التقرير الذى كتبه بيرجس عن مناقشته مع ناصر، قراءة متأنية، وهو التقرير الذى بعث به برقيا، والذى يمكن الوصول إليه فى الأرشيف القومى فى واشنطن، متضمنا تفصيلات هذه المناقشة. وهى توضح أن ناصر يظهر روحا ودية، لكنه غير مستعد لاستئناف العلاقات بخلاف ما قرره بيرتزول، وأنه لم يذكر لبيرتزول أنه يريد توجيه دعوة إليه لزيارة الولايات المتحدة. وهذا ما دفعنا للاعتقاد بعدم تشجيع بيرتزول على مواصلة جهوده.

ومع ذلك فقد ساعدته هذه الاتصالات على تحسين الجو إلى حد ما، وجعلتنا ننظر فى إمكان إيفاد مبعوث خاص إلى القاهرة. وبالرغم من عدم تعيين شخص بصفة رسمية لهذه المهمة، (وبالرغم من أن روبرت اندرسون وزير الخزانة السابق تطوع لهذا الدور) فإن يوجين بلاك رئيس البنك الدولى، وأندرسون، ومكجورج بندى رئيس مؤسسة فورد، ذهبوا لمقابلة ناصر، فى الأشهر اللاحقة، وحاولوا إجراء مناقشات جدية، حول استئناف العلاقات، من خلال محمد رياض المساعد الخاص لوزير الخارجية. كما أن لوشياس باتل الذى كان مساعدا لوزير الخارجية الذى كان فى القاهرة لحضور احتفالات نقل معبد أبو سمبل، أجرى مناقشة طويلة يوم ١٨ سبتمبر مع وزير الخارجية محمود رياض ولم يحدث رد إيجابى من المصريين بشأن استئناف العلاقات، بل كان واضحا أنهم يرحبون بالاتصالات، كما ورد فى ملفات الوثائق التى أشرت إليها.

وهذا الدفء في الجو لم يستمر، فقد أطلقت أول طلقة فيما عرف بحرب الاستنزاف عبر قناة السويس يوم ٨ سبتمبر وجاء قرار الولايات المتحدة تزويد إسرائيل بطائرات فانتوم اف - ٤، بالإضافة إلى استمرار قبول الولايات المتحدة احتلال إسرائيل الأراضي العربية، فإن هذا أقنع ناصر بأن من الصعب عليه سياسيا، بل من المستحيل، استئناف العلاقات معنا، وأن الحل العسكري هو الطريق الوحيد.

وأقول إننا قمنا بالتصرف بطريقة معقولة تجاه حوار عبد الناصر - بيرتزول، وإننا تابعنا هذا الحوار بما تقتضيه الظروف، لكن الحقيقة المرة أن ذلك كان يجرى بينما نحن مازلنا على التزام تام نحو إسرائيل.

واختتم باركر خطابه بقوله:

عزيزي أشرف،

إنني أرسل لك مع هذا الخطاب بعض الوثائق التي استخرجتها من ملف النزاع العربي الإسرائيلي ١٩٦٧- ١٩٦٨، وسوف تجد بينها ما يخص مصر والولايات المتحدة، ويخصك شخصيا، وإنني واثق بأنك وأصدقاءك ستجدون فيها الكثير مما يثير الاهتمام، وتستطيع انت أن تقرر ما إذا كنا قد نقلنا بأمانة ما كنت تقول لنا، أثناء عملك في واشنطن في تلك الفترة.

روستو لجونسون : ناصر غير قادر
على مقاومة ضغط موسكو في غياب علاقاته معنا

وثيقة رقم (٨):

من الأرشيف القومي، وسجلات الحكومة

تقرير من رستو إلى جونسون بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٦٨، يقول: بسبب محاولة الروس أن يحلوا محل ناصر في اليمن، فإن من الممكن أنه يريد توثيق علاقته معنا ليحافظ على استقلاله عن موسكو.

وأن جيمس بيرتزول الذي قابل عبد الناصر في أكتوبر ١٩٦٨، ثم زار مصر بدعوة من عبد الناصر في ديسمبر، يقرر أن ناصر يعتقد أن الروس يزيدون ضغوطهم عليه، وأنه في غياب

علاقات له مع حكومة الولايات المتحدة، فهو يزداد شعورا بعدم قدرته على مقاومة هذا الضغط.

وقد أوصى بيرجس بإعادة تقويم السياسة الأمريكية تجاه ناصر.

ملخص وثيقة رقم (٩) :

وثيقة من ملفات مجلس الأمن القومى، وملف جمهورية مصر العربية بالخارجية.

مذكرة من هارولد سوندرز عضو مجلس الأمن القومى فى ١١ ديسمبر١٩٦٧، تقول إن القول بأن ناصر سوف يتبادل السفراء مع إسرائيل هو قول خارج سياق كل ما يجرى من أحداث، وبعيد عن التصديق.

وثيقة رقم (١٠) :

وثيقة من ملفات مجلس الأمن القومى، وملف جمهورية مصر بالخارجية

تقرير من مكجورج بندى عن نتيجة لقائه لمدة ٩٠ دقيقة مع ناصر فى القاهرة يوم ٣ يوليو ١٩٦٨، وخرج منه بانطباع بعدم وجود احتمال لتحسن قريب فى الموقف فى الشرق الأوسط.

ويقول بندى فى تقريره:

إنه وجد ناصر مسترخيا وودودا.

بدأت المناقشة السياسية بمحاضرة من ناصر حول الشرق الأوسط، وارتباط الناس بأرضهم، وأن عبد الناصر يشعر بأنه مرتبط بالرأى العام، ورغم إشارته إلى اليمين المتطرف، واليسار المتطرف فى مصر، فإن الانطباع الذى خرجت به هو أن قلقه الحقيقى راجع إلى أن المصريين يعانون من هزيمة، وأنها بالنسبة لهم قضية كرامة.

إن ناصر لم يبد ما يشير إلى اهتمامه بأى مبادرة دبلوماسية، وأنه يعتقد أن الموقف الدبلوماسى الحالى لمصر سليم. وأنها ليست مضطرة لأى مبادرات شكلية لمجرد التحرك.

أشار ناصر إلى أن سبب ربطه بين قناة السويس واللاجئين الفلسطينيين، هو انه لا يمكنه السماح لسفن ترفع العلم الإسرائيلى بالمرور فى قناة السويس، دون أن يكون هناك حل للمشكلة الفلسطينية. وقال ناصر إن المشكلة يجب أن تحل من جانب القادة الفلسطينيين.

قال بندى إن ملاحظات ناصر تشير إلى اعتقاده القاطع بعدم وجود حل سياسى فى الأفق. وقال ناصر هناك حل آخر وحيد. وعلق بندى بقوله هذا لسوء الحظ. (وكان يقصد الحل العسكرى).

وإن ما استخلصته من إجمالى المناقشة هو:

لم يركز ناصر على تحيز الولايات المتحدة لكنه قال أمريكا موالية بنسبة مائة فى المائة لإسرائيل. فعلق بندى بأنها نسبة ٧٧ فى المائة، فعاد ناصر يقول: بل ١٠١ فى المائة.

قال ناصر إن مصر ستقاتل بشكل أفضل فى المرة القادمة، وإنه بادر بإحضار مستشارين عسكريين سوفيت.

قال بندى إننى ذاهب لإسرائيل فهل تريد نقل أى رسالة إليهم فرد ناصر «قل نحن صبورون».

بالنسبة لذكر كل الذين قابلهم بندى من المصريين، فقد أشار ناصر فقط إلى هيكل بالاسم وبحرارة.

يعتقد ناصر أن الإسرائيليين يدركون أنه لن يكون هناك اتفاق ثنائى بينهم وبين مصر والسبب أن الإسرائيليين لا يريدون فعلا تسوية.

والخلاصة أن بندى وجد أن ناصر رجل مشغول بشدة بمشكلة لا حل لها. وأن وجود الاحتلال الإسرائيلى عبء ثقيل على معنويات مصر.

وثيقة رقم (١١):

من الأرشيف القومي وسجلات وزارة الخارجية.

كتبها ريتشارد باركر فى ٢١ ديسمبر ١٩٦٨، عن استقبال جونسون لبيرتزول والرسالتين الخطية والشفوية اللتين نقلهما إليه من ناصر واقتراحى بضرورة الرد بطريقة معقولة على ناصر، ولكن دون إيفاد مبعوث خاص لهذا الغرض.

وتقول الرسالة الموجهة إلى بيرجس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية فى السفارة الأسبانية فى القاهرة، إننا نعتقد - ما لم تر أنت أن ذلك غير سليم - أن تطلب لقاء عاجلا مع حسن صبرى الخولى (المبعوث الشخصى لعبد الناصر)، وتخطره بأن معك رسالتين خطية و

شفوية لتسليمهما لناصر وحده. وتلك صعوبة تواجهه بها نتيجة أن الخولى لا علم له على ما يبدو بزيارة بيرتزول، ولكن المفترض أن ناصر فى إمكانه معالجة هذا الأمر. وعليك الامتناع عن مناقشة محتويات الرسالتين مع أحد باستثناء ناصر. وحين تقابل ناصر فيجب أن تخطره أننا اتخذنا خطوة استثنائية لطلب لقائك معه، لأننا لا نعرف من الذى يعلم بمناقشاته مع بيرتزول من أعضاء الحكومة، ولا نريد أن نتسبب فى حرج له.

وثيقة رقم (١٢):

الرسالة الشفوية من الرئيس جونسون إلى الرئيس ناصر بتاريخ ٣٠ ديسمبر ويقول فيها:

إننى أشارك الرئيس ناصر الرغبة فى استئناف العلاقات وبالنسبة لطلبه استخدام نفوذى لحمل إسرائيل على الانسحاب، فإن حكومة الولايات المتحدة مستعدة، لوضع كل ثقلها وراء إيجاد تسوية معقولة للنزاع العربى الإسرائيلى وفق نصوص قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، والذى يسرنى أن مصر تؤيده.

وليس واضحا لنا اهتمام الرئيس ناصر بزيارة للولايات المتحدة، وسأكون مسرورا إذا أمكن ترتيب مثل هذه الزيارة عقب تسوية النزاع العربى الإسرائيلى.(*)

مادام علوى حافظ على علم برسالة ناصر، فربما يمكن استخدامه كقناة اتصال بدلا من الخولى إذا رغب الرئيس ناصر فى هذا.

(*) تأكد من تقرير بيرجس السابق الإشارة إليه أن ناصر لم يطلب زيارة الولايات المتحدة، وأن ذلك كان تزايدا من بيرتزول.

مناقشة مثيرة لعبد الناصر في تقرير دونالد بيرجس

وثيقة رقم (١٣):

برقية إلى وزارة الخارجية من دونالد بيرجس بتاريخ ٦ يناير ١٩٦٨، من الأرشيف القومى وسجلات الحكومة. ويقول بيرجس:

استقبلنى ناصر اليوم فى الساعة الثانية عشرة والنصف. دامت المناقشة أربعين دقيقة. وكان يبدو فى صحة جيدة وروح معنوية عالية. ولم تظهر منه علامات التوتر المعتادة مثل هز ركبتيه، أو طقطقة أصابعه، وإن ظل يقهقه أحيانا . كان لقاؤه وديا ، ويسأل الأسئلة المعتادة عن العائلة الخ..

سلمته نص رسالة الرئيس جونسون وقرأها بعناية. ثم شرحت له الرسالة الشفوية التى نقلها بيرتزول إلى جونسون. لاحظت أن عينى ناصر قد اتسعت وتزداد اتساعا وأنا أمضى فى قراءة مضمون الرسالة بنقاطها الخمس. وقلت إن أحد الأسباب الرئيسية لطلبى مقابلته شخصيا أننا لم نكن متأكدين مما إذا كانت هذه النقاط الخمس كلها لناصر، وما إذا كان بعضها من عنديات بيرتزول. عندئذ أطلق ناصر ضحكة كبيرة. ثم بدأت أقرأ ببطء رسالة جونسون الشفهية، وكان ناصر يستمع باهتمام.

وبدأ ناصر فى إبداء ملاحظات بأن سألنى: من يكون بيرتزول هذا؟ (وعرفت أنهم ينطقون اسمه بيردزويل) وسأل من هو صديقى؟ فأخذت أشرح أولا من هما ، مؤكدا أنهما ليسا مرتبطين بالحكومة الأمريكية.

وعلق ناصر بأنه كان قد استخلص أن بيرتزول هو مبعوث غير رسمى. وأنه كان قد سمع من بيرتزول أن الرد على رسالتيه للرئيس جونسون، سيأتيه عن طريق قناة أخرى وبدأ ناصر يقرأ من ملاحظات كتبها ردا على الرسالة الشفهية وقال: «إنه أولا لم يقدم أى مطالب من خلال بيرتزول، وإنه أبلغ بيرتزول أنه لا يعتقد أن هناك أى نزاع مباشر بين الولايات المتحدة ومصر، وأن مصر تكن نيات طيبة نحو الولايات المتحدة. ومع ذلك فهناك عدد من المشكلات غير المباشرة التى عكرت جو العلاقات المصرية الأمريكية».

وبالنسبة للعلاقات الدبلوماسية قال ناصر إنه أبلغ بيرتزول أن استئنافها سيكون مصلحة متبادلة لكن ذلك سيأخذ وقتا، رغم أن هناك نيات طيبة لتحسين جو العلاقات، وذكر بالتحديد عودة شخصيات أمريكية لمصر وفتح الجامعة الأمريكية، وتوقع إعادة نشاط مؤسسة فورد.

تطرق حديث ناصر إلى مشكلة اتهام الولايات المتحدة بالمشاركة عسكريا فى حرب يونيو ١٩٦٧، وأشار إلى أنه يعرف بالاقتراح الذى قدمته (أى بيرجس) إلى نائب الرئيس زكريا محيى الدين فى أكتوبر الماضى، بأن ينشر هيكل تكذيبا لهذا الاتهام فى الأهرام. وعندما نقل زكريا محيى الدين الاقتراح إليه، قال له ناصر: «وماذا هناك لكى نكذبه؟» واستطرد ناصر يقول إنه بخلاف ما نشر فى الصحف، فلم يصدر أى بيان رسمى يقول إن الطائرات الأمريكية شاركت فى الهجوم على مصر. وقال إن قيادته العليا طلبت منه ظهر يوم ٥ يونيو أن يصدر بيانا بأن طائرات أمريكية وبريطانية شاركت فى الهجوم. وأنه رد على القيادة العليا بأنه لن يصدر بيانا كهذا، إلى أن يتمكنوا من الإمساك بطيار أو طائرة أمريكية. ثم استعرض ناصر مكالمة تليفونية جرت بينه وبين الملك حسين وقال إنه نقل ما أبلغه به الملك حسين. وأن الملك حسين تراجع بعدها عن ذلك. وبالتالى فقد شعر إن المسألة مبالغ فيها. وأضاف أنه تظل هناك مسألة المشاركة غير المباشرة من جانب الولايات المتحدة بما قدمته الولايات المتحدة لإسرائيل من كميات ضخمة من السلاح والأموال.

وانتقل ناصر إلى الفقرة الخاصة بالتسوية وقال إن مصر أوضحت سياستها بشأن تسوية النزاع العربى الإسرائيلى، فإذا كانت إسرائيل مستعدة للانسحاب فإن مصر مستعدة لقبول إنهاء حالة الحرب. وإذا لم تكن إسرائيل راغبة فى الانسحاب فإن تحرير الأرض المصرية من الاحتلال الإسرائيلى، ليس فقط سياسة عبد الناصر، بل واجبه. وأعاد الإشارة إلى ارتباط قناة السويس بمشكلة العدالة للاجئين الفلسطينيين.

وانتقل إلى الفقرة التى تشير إلى فترة جديدة من الصداقة تقوم على الثقة، وإلى الشكوك المأساوية، والتى كان قد تحدث فيها مع بيرتزول فى مناقشته معه عام ١٩٦٦، والتى تقوم أساسا على الشك الذى خلقته قضية مصطفى أمين.

وعلقت على كلام ناصر بأننى أمضيت أكثر من خمس سنوات مهتما بتحسين العلاقات بين مصر والولايات المتحدة، واعتقدت أن الشكوك هى العقبة الرئيسية. وأننى ناقشت كثيرا

هذا الجانب مع أصدقاء مثل حسن صبرى الخولى، ووجدنا أن من الأفضل كلما ظهرت الشكوك أن نتحدث إلى بعضنا بصراحة كاملة.

ونفى ناصر أنه طلب من بيرتزول إبلاغ جونسون أنه يرغب فى زيارة الولايات المتحدة. وأضاف اننى أود أن أزور الولايات المتحدة، ولكننى أعرف أن ذلك مستحيل فى غياب علاقات دبلوماسية بيننا.

قال ناصر إنه مستعد دائما لمناقشة أى مشكلة ترغب الولايات المتحدة فى التعرض لها، وإنه مستعد لاستقبال مستر بيرجس فى أى وقت ترغب الولايات المتحدة فى ذلك.

تعليق من بيرجس للخارجية الأمريكية:

إننى سأبعث بتفصيلات الظروف التى تم فيها ترتيب الاجتماع. وإننى أكدت لحكومة جمهورية مصر العربية أن الرغبة فى استقبال الرئيس ناصر لى، ستظل محاطة بالسرية.

وفى يوم ٨ يناير أرسل بيرجس تقريرا إلى الخارجية فى واشنطن يقول إن ناصر ابلغ وزير الخارجية محمود رياض أنه مسرور للهجة ولمضمون رسالة جونسون إليه، وأن جونسون أشار إلى إمكان زيارة ناصر للولايات المتحدة.

لقاء مع زكريا محيى الدين
قبل السفر لواشنطن

وثيقة رقم (١٤):

من الأرشيف القومى وسجلات الإدارة الأمريكية.

برقية من الخارجية إلى قسم رعاية المصالح الأمريكية فى مصر كتبها باركر بتاريخ ١٣ يناير ١٩٦٨:

جاء إلى وزارة الخارجية يوم ١٢ يناير أشرف غربال المسئول عن رعاية المصالح المصرية لمناقشة طويلة وكان مجمل ملاحظاته أن العرب قطعوا شوطا طويلا فى الاستجابة لمطالبنا منذ

الصيف الماضى، لكن الولايات المتحدة مستمرة فى اتخاذ موقف ثابت مناصر لإسرائيل، فى كل مرة يظهر فيها العرب بادرة معقولة.

وقال غربال إنه قابل زكريا محيى الدين ومحمود رياض عشية مغادرته القاهرة، وأنهما فوضاه، أن يقول إن مصر مهتمة بإخلاص بتسوية سلمية، وأنه بمجرد انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة، تكون القضية الفلسطينية مهيأة للحل. وإنهم يريدون أن يعرفوا حقا ما الذى تريده الحكومة الأمريكية.

تمسك غربال بأنه لم يصدر منذ يونيو الماضى أى بيان علنى يعرب عن تقدير الولايات المتحدة، للاعتدال الذى أظهره العرب. بل إننا أعلنا أننا سنعطى إسرائيل طائرات هجومية، وذلك فور هجومها غير الإنسانى على السويس، والآن يبلغ الرئيس جونسون، ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل أنه يتفهم مشكلات إسرائيل فى محاولة الحصول على سلام فى الشرق الأوسط لأنه يواجه مشكلة مماثلة فى فيتنام.

وهذه مقارنة غير موفقة. والحقيقة أن الإسرائيليين هم الطرف الذى لا يريد السلام، وأن الإسرائيليين هم الذين غزوا مصر وليس العكس. ولقد كانت مصر هى التى تتطلع للسلام كمخرج من الورطة التى قامت فى ١٩٦٧، وكانت مستعدة لإرسال زكريا محيى الدين إلى واشنطن، لكن الإسرائيليين هاجموا مصر. واستجابت مصر لطلبكم بألا تكون البادئة بالهجوم، لكن إسرائيل لم تستجب، والآن فإن مصر تريد تسوية سلمية لكن إسرائيل تعزز من مكاسبها، ولا تفعل الولايات المتحدة شيئا لإيقافها. وبالنسبة لمصر فالتسوية السلمية تتم بانسحاب إسرائيل، وأن الولايات المتحدة وحدها هى التى تملك التأثير فى ذلك. وإذا لم تكن الولايات المتحدة مستعدة لاستخدام نفوذها لهذا الهدف، فسوف يفقد الغرب المنطقة كلها دون رجعة.

ورد روجرز ديفيز بأنه صحيح أننا لم نقم بأى ضغط على إسرائيل للانسحاب، ولن نفعل ذلك فى غياب مقترحات معقولة للتسوية، وأن إسرائيل تتمسك بالمنطق القائل إنها لا يمكن أن تظل تتوقع الدخول فى حرب كل عشر سنوات من أجل بقائها، ولا يمكنها أن تعود إلى حالة دائرة أمن غير مستقرة.

وقال غربال إن كلمات ديفيز تؤكد شكوك مصر، بأن الولايات المتحدة تؤيد الإسرائيليين فى سعيهم لفرض شروطهم.

وثيقة رقم (١٥):

بتاريخ ٢٠ يناير ١٩٦٨
مذكرة إلى الرئيس جونسون من مساعده الخاص والت روستو.

والمذكرة تتضمن ما دار فى لقاء بيرجس وناصر. ويسأل روستو عن الخطوة القادمة، مشيرا إلى أن روبرت أندرسون تطوع لمقابلة ممثل لناصر إما فى جنيف أو مالطة الأسبوع المقبل، وأن يوجين بلاك سيكون فى القاهرة فى زيارة عادية من يوم ٣١ يناير إلى ٦ فبراير، فهل نستخدم الاثنين؟ ويوصى روستو باستخدام بلاك، وأن نفوضه بأن يقول شيئين:

- حث ناصر على إحاطة وزارة خارجيته بالمناقشات مع بيرجس.
- إمكان إيجاد صيغة تلبى احتياجاتنا واحتياجات ناصر.

ويقول روستو إننى لست خاضعا لأوهام تحسين علاقاتنا كثيرا مع ناصر، رغم أننى أعتقد أن من الأفضل لو أن لنا وجودا أمريكيا فى القاهرة، لإظهار أننا لم نترك الميدان لموسكو. وأن استئناف العلاقات مع القاهرة سيمهد الطريق لاستئناف العمل مع العواصم العربية الأخرى كخطوة أولى نحو إصلاح الضرر الذى أصاب مركزنا فى أنحاء العالم العربى. ولن يتحرك أحد قبل أن يتحرك ناصر أولا.

ولسنا على يقين مما إذا كان ناصر يريد فعلا استئنافها. فهو يعتقد أننا نقف وراء إسرائيل بنسبة ١٠٠ فى المائة. وأنه اعترف صراحة لبيرجس أن شكوكه فينا كبيرة جدا بحيث لم يعد ممكنا بعد الانتقال إلى مرحلة من الصداقة القائمة على الثقة.

وعلق جونسون على المذكرة بعبارات مختصرة تقول:

- أوافق على أن يتحدث بلاك مع ناصر.
- أفضل أن يكتفى بلاك بالاستماع والتوقف عند العموميات.
- أوافق على الخط الذى اقترحته .

وثيقة رقم (١٦):

بتاريخ ٢٤ أبريل ١٩٦٨

برقية من الخارجية إلى قسم رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة بتوقيع دين رسك وزير الخارجية.

جاء أشرف غربال إلى وزارة الخارجية يوم ١٩ أبريل يشرح مباحثات يارنج (المبعوث الدولى جونار يارنج) الأخيرة فى القاهرة. وعرضنا عليه نص تصريح صادر من القاهرة وجدنا أنه غير مشجع. كما وجدنا أن ملاحظات محمود رياض ليارنج غير مشجعة، عن الدور الأمريكى. وأن انعدام ثقة رياض بنا تبدو عقبة رئيسية أمام تقدم مهمة يارنج.

وقال غربال إننا يجب أن نفهم أن المشكلة ليست فى انعدام ثقة رياض الشخصية، ولكن فى اقتناع مصر كلها بهذا.

وثيقة رقم (١٧):

بتاريخ ١٩ سبتمبر ١٩٦٨

برقية من مكتب رعاية المصالح الأمريكية بالقاهرة إلى وزارة الخارجية. مرسلة بتوقيع بيرجس.

لوشياس باتل موجود فى مصر لتمثيل الولايات المتحدة فى احتفالات إتمام مشروع نقل معبد أبو سمبل. وقد صحبته فى لقاء مع محمود رياض.

وأوضح باتل أنه لا العرب ولا إسرائيل يمكنهم تحمل جولة أخرى من العمل العسكرى. وأن الإسرائيليين يجب أن ينسحبوا فى إطار تسوية، وهذا هو دائما موقف الولايات المتحدة، لكننا لا نستطيع أن نقول ما هى الحدود التى يتفق عليها الطرفان.

وأجاب رياض أنه يوافق على الحاجة لتحديد الحدود، رغم أنه يشك فى أن تعبير «حدود آمنة» يمكن أن يكون له تعريف واضح. فإن ادعاءات إسرائيل عن الأرض وخرائطهم المنشورة تظهر فيها سيناء جزءا من إسرائيل، وهذا يجعل من الصعب تصديق أن إسرائيل لديها نيات طيبة. ويكفى أن تقرأ تصريحات ديان وغيره لتقتنع بما هى نيات إسرائيل.

وقد أجبت - أى بيرجس - بأن الإسرائيليين ابلغونا مرارا أنهم ليس لديهم أطماع إقليمية فى أراض مصرية، وعندئذ علق رياض بقوله: «نحن لا نصدقهم». ودعوت إلى أن تجد مصر وسيلة لاختبار نيات إسرائيل.

وثيقة رقم (١٨):

٩ أكتوبر ١٩٦٨

بيان من البيت الأبيض للرئيس جونسون يتعلق بتوقيعه قانون المساعدات الخارجية لعام ١٩٦٨.

ويقول إنه على ضوء قرار الكونجرس، فإننى طلبت من وزير الخارجية المبادرة بمفاوضات مع حكومة إسرائيل وأن يبلغنى بما تم.

ويتضمن قرار الكونجرس أن يتخذ الرئيس الخطوات اللازمة للتفاوض لإبرام اتفاق مع حكومة إسرائيل لتبيعها الولايات المتحدة، عددا من الطائرات أسرع من الصوت، لتوفر لإسرائيل قوة ردع مناسبة قادرة على منع أى عدوان عربى يقع عليها، ولموازنة الأسلحة التى حصلت عليها الدول العربية لاستعواض خسائرها فى حرب ١٩٦٧.

وثيقة رقم (١٩):

ريتشارد باركر عن مناقشة له مع أشرف غربال

فى نفس يوم ٩ أكتوبر. وتقول:

زار أشرف غربال اليوم ريتشارد باركر فى وزارة الخارجية ليرد على بيان البيت الأبيض وقال: إنه لا يجد الكلمات المناسبة التى يصف بها مأساوية هذا التصرف من الولايات المتحدة.

مصر مستعدة لعملية متبادلة
لنزع سلاح منطقة سيناء

وثيقة رقم (٢٠):

بتاريخ ٢٥ أكتوبر ١٩٦٨
برقية من وزارة الخارجية إلى قسم رعاية المصالح بالقاهرة بتوقيع دين رسك وزير الخارجية.

زار أشرف غربال وزارة الخارجية يوم ٢٤ أكتوبر وقابل ديفيز ليناقش ثلاثة موضوعات: نزع سلاح سيناء، ربط مسألة اللاجئين بقناة السويس، موقف مصر فى المباحثات مع يارنج.

وبالنسبة لنزع السلاح قال غربال إنه بناء على تعليمات من محمود رياض فإنه يود إيضاح موقف مصر، فهى وافقت على نزع السلاح على أساس تفهم بأن ذلك سيكون عملية متبادلة. فمصر ليست مستعدة لنزع سلاح كل سيناء، لكنها ستكون مستعدة لنزع سلاح المنطقة على طول الحدود، بشرط أن تنزع إسرائيل سلاح منطقة بنفس المساحة على جانب حدودها. وأن يكون عمق الجزء المنزوع السلاح متماثلا على كل جانب من جانبى الحدود. وأن مصر ترى أن التاريخ اثبت أنها أكثر عرضة للخطر من إسرائيل، وأنها لا تستطيع التخلى عن الوجود العسكرى فى سيناء.

وثيقة رقم (٢١):

برقية من البعثة الأمريكية فى الأمم المتحدة إلى وزارة الخارجية بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩٦٨.

عقد لقاء تم فيه استعراض مطول للشرق الأوسط بين وزيرالخارجية رسك ووزير خارجية مصر رياض. وأكد رياض أولوية مسألة الأرض، واستحالة نظر مصر فى انسحاب إسرائيل من سيناء، دون النظر فى الانسحاب من الأراضى العربية الأخرى.

وركز وزير الخارجية رسك على جوانب التسوية بين مصر وإسرائيل وعرض شرحا من سبع نقاط لوجهة النظر الأمريكية فى تفسيرها لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى مواجهة تفسير مصر للقرار. وأخرج رسك من جيبه ورقة تتضمن ما عرف فيما بعد النقاط السبع

لرسك. وذكر رسك إنه فكر فى هذه النقاط بنفسه، دون مناقشتها مع أى شخص فى البيت الأبيض أو وزارة الخارجية، وتشمل:

١- انسحاب إسرائيل من أراضى جمهورية مصر العربية.
٢- إنهاء حالة الحرب رسميا.
٣- يلحق بالنقطة الثانية، فتح قناة السويس للملاحة لجميع الدول.
٤- إيجاد حل لمشكلة اللاجئين على أساس اختيار شخصى وسرى للاجئين حول المكان الذى يفضلون العيش فيه.

وأوضح رسك بعد ذلك أن هذا يتضمن اختيار العودة إلى إسرائيل كأحد الأماكن المحتملة.

٥- وجود دولى فى شرم الشيخ.
٦- تفهم متبادل حول مستوى التسلح فى المنطقة، وذلك لتجنب سباق التسلح.
٧- أن تتضمن ذلك ورقة مكتوبة توقعها مصر وإسرائيل.

وسأل رياض هل يمكن نقل هذه النقاط إلى الدول العربية. ورد رسك بأن طلب أن يترك له مناقشة الأمر مع عبد المنعم الرفاعى رئيس وزراء الأردن. وأنه ترك مشكلة غزة معلقة، مفترضا أنه سيكون هناك اتفاق بشأن غزة. وقال رياض إن غزة مسئولية مصر. ومصر لابد أن ترى غزة وقد تحررت من احتلال إسرائيل. وأن مصر لم تسع أبدا لضمها. وقال رياض إنه يرى مما عرضه رسك عن السياسة الأمريكية بشأن قرار مجلس الأمن، أن ذلك يعنى أنه لن تكون هناك مكاسب بالنسبة للأرض. وأن إسرائيل يجب أن تنسحب من كل الأراضى العربية وليس من سيناء وحدها.

عبد الناصر يتعرض لضغوط داخلية
تقرير أندرسون عن لقاء ٣ ساعات مع ناصر

وثيقة رقم (٢١):

بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٦٨

برقية من السفارة الأمريكية فى إيران إلى وزارة الخارجية

أرسل والت روستو نسخة من هذه البرقية إلى الرئيس جونسون فى يوم ٢٠ نوفمبر مرفقا بها رأيه الذى يستخلص منه أن ناصر يبدو أنه يتعرض لضغوط سياسية متعارضة، وأنه غير قادر بسبب ذلك على أن ينفرد بالقرار. ولكن هناك عناصر داخل حكومته تشير إلى أنها تفتح طريقا فى اتجاه تسوية فى الشرق الأوسط.

والبرقية القادمة من السفارة فى إيران مرسلة إلى وزير الخارجية من روبرت أندرسون ويقول: «عندما كنت فى القاهرة أناقش مسألة شراء مصر ثمانى طائرات بوينج فقد طلب الرئيس ناصر أن أزوره فى بيته يوم الاثنين. وقد ظللت أتحدث معه لمدة ثلاث ساعات وكان ملخص كلام ناصر:

- أنه أكثر تلهفا عن ذى قبل للوصول إلى نوع من السلام، لأنه يعتقد أن الحرب لو قامت مرة أخرى فسوف تسبب دمارا واسعا على الجانبين. وقال إنه لن يكون وحده فى الجولة القادمة.

وقال إنه لم يعد يشعر بحرية كاملة فى التصرف بشكل استقلالى مثلما كان من قبل، وتأكيدا لذلك، أنه أولا يستمع إلى السوفيت، وثانيا أنه ملتزم بقرارات الخرطوم.

- وقال ناصر إن هناك إحساسا بإلحاح التعجيل بتحقيق سلام. وإنه يكرر ما سبق أن أعلنه من أنه لن يمكنه تحت أى ظروف الدخول فى مفاوضات مباشرة، علنية أو سرية وأنه يصر على أن يكون هناك جدول زمنى وخرائط تظهر ما الذى يدور التفكير فيه لأى توفيق للحدود" Adjustment" قبل أن يفعل شيئا، حتى أمام شعبه. وقال إن أى خطوة من جانبه توحى بأنها استسلام، ستجعله يفقد تأييد الجيش، وبدون الجيش فسوف يفقد السيطرة على البلد.

كان واضحا ان ناصر مسرور بالخطاب الذى وصله، ردا على خطابه من الرئيس المنتخب نيكسون، وتحدث عن إمكانية أن يكون ذلك مبررا لاستئناف العلاقات الدبلوماسية ، بشرط أن يكون هناك بيان من الحكومة الجديدة، يحد من أثر بيانات الحملة الانتخابية بالمحافظة على تفوق إسرائيل فى التسليح. وأنه يفكر فى كتابة خطاب إلى نيكسون يحمل وجهة نظره.

وهناك أمر آخر له مغزى مهم. فقد تحدثت مع وزير الخزانة حسن عباس زكى وأوضح لى أنه يريد إبلاغى بشكل خاص أن ناصر واقع تحت ضغط من جانبين. أحدهما يطلب سلاما عاجلا، والثانى يدعو لمواصلة التدريب وتطوير التسلح. وقال إنه على ضوء الأزمة القلبية التى ألمت بعلى صبرى، وغياب بعض الأشخاص غير المهتمين بالسلام، فمن المتوقع أن تكون فترة الأسبوعين أو الثلاثة أسابيع القادمة، حاسمة بالنسبة لما سيتخذه ناصر من قرارات. وذكر حسن عباس زكى أنه واحد من الذين يعتقدون أن السلام لا غنى عنه لمصر، وأنه يحث الرئيس للمضى إلى أبعد ما يستطيع لضمان السلام.

وثيقة رقم (٢٢):

مذكرة عن لقاء أشرف غربال مع ريتشارد باركر بتاريخ ٤ ديسمبر ١٩٦٨.

ناقش باركر رد مصر على النقاط السبع لوزير الخارجية رسك. وأنهم وجدوا الرد مخيبا للآمال. قال باركر إن الوزير رسك بهذه النقاط قام بمبادرة مهمة بعيدة المدى، وإنه ألزمنا بموقف لم يرض عنه أصدقاؤنا فى إسرائيل، وإنه سيجلب لنا صعوبات كثيرة فى تنفيذه. وإذا كان المصريون يريدون منا أن نساعدهم، فيجب عليهم أن يتعلموا شيئا عن التعامل مع حكومة الولايات المتحدة. فإن هذا النوع من الردود الغامضة التى تخصص فيها المصريون لا تؤدى إلا إلى إثارة الضيق.

والرد المصرى كانت قد تضمنته برقية من بيرجس فى ٤ ديسمبر وأرفق بيرجس تعقيبه على الرد بأن سياسة مصر لا تزال تركز على المطالبة بانسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضى العربية المحتلة.

ورد غربال فقال إننا يجب أن نفهم أن هذه الأراضى محتلة. وأن الرد المصرى ليس ردا على النقاط السبع لكنه إعادة تأكيد وتوضيح لما سبق أن أبلغه وزير الخارجية رياض للوزير رسك يوم ٢ نوفمبر. وقال إن الأمريكيين مازالوا يطلبون من المصريين تقديم تنازلات، بينما لم يقدم الإسرائيليون شيئا.

وقال باركر لغريال إن النقاط السبع ليست خطة سلام لكنها عبارة عن بيان بالموقف الذى يمكن أن نتبناه. وقال باركر أيضا إنه لا يضمن حتى أن توافق إسرائيل عليها. والحقيقة أن الإسرائيليين لم يرضوا عن النقاط السبع، وأدلى أشكول وديان بتصريحات متشددة عن الاحتفاظ بالأرض، وضم مرتفعات الجولان، وأراض أخرى، لإسرائيل، وعن حتمية الحرب. ونحن لا نتوقع أن يضع المصريون أيديهم فى أيدينا، فى ظل هذه الأمور التى لا تجعل أى شىء مؤكدا.

وقال باركر إن المصريين يطلبون منا الضغط على إسرائيل، لكنهم غير مستعدين ليسهلوا لنا أن نستخدم أى قوة تأثير لدينا.

وثيقة رقم (٢٣)

بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٦٨

برقية من الخارجية بتوقيع رسك إلى قسم رعاية المصالح فى القاهرة.

إن كان المصريون راغبين فى الأخذ بتوصية ويليام سكرانتون مبعوث الرئيس المنتخب نيكسون، بأن يمضى ناصر فى خطته لإرسال خطاب إلى نيكسون، وإذا كانوا يريدون إرساله مع مبعوث خاص، فاعتقد أن نيكسون سيسعده إيفاد ممثل مناسب عنه لاستقبال المبعوث المصرى.

وقد تجد أن تبلغ هيكل أسفنا، لما يشعر به من انطباع غير صحيح من أننا نسعى لتجاهله. فليس هناك شىء من هذا.

رسك

وثيقة رقم (٢٤):

بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٦٨

برقية من وزارة الخارجية بتوقيع رسك إلى قسم رعاية المصالح بالقاهرة.

بالإشارة إلى النقاط السبع المقدمة من الوزير رسك فى ٢ نوفمبر فى مناقشته مع الوزير رياض، وعلى ضوء كل الظروف، لا نعتقد أنه من المفيد الآن، أن تقدم ردا رسميا على الرد المصرى للنقاط السبع. ولا ننوى فى الوقت الحاضر إثارة الموضوع مع المصريين. أما إذا

أرادوا مناقشته، فسنكون مستعدين لذلك. وتستطيع بحكم وضعك أن تستفسر عن بعض الأمور مثل موقف مصر من مشكلة الجولان، وما الذى قاله رياض وناصر للحاكم سكرانتون بشأن إصرار مصر على الانسحاب الإسرائيلى من جميع الأراضى العربية كشرط للتسوية. ونود أن تكون مصر أكثر مرونة، حتى يمكن للأطراف أن تتقدم فى المفاوضات.

وثيقة رقم (٢٥)

بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨
برقية من وزارة الخارجية إلى قسم رعاية المصالح بالقاهرة.

بناء على طلبه زار أشرف غربال ديفيز بوزارة الخارجية، يوم ٢٧ ديسمبر وعلم منه بالاتفاق الذى أعلن ظهر اليوم مع حكومة إسرائيل ببيعها طائرات فانتوم.

وقد زاد انفعال غربال وهو يبدى رد فعله. ووصف القرار بأنه بغيض، وأنه أكثر الإجراءات التى تسبب أضرارا من جانب حكومة جونسون منذ حرب يونيو. وتوقع غربال أن تؤدى تلبية كل طلبات إسرائيل إلى جعلها أكثر تعنتا، وأن توقيت القرار ليس مناسبا على ضوء التقدم الذى ظهر أخيرا فى اتجاه استئناف العلاقات المصرية الأمريكية.

الفصـــل الثانى

تجربتى مشرفا على رعاية المصالح المصرية فى واشنطن بعد ١٩٦٧

كانت تجربة عملى كمشرف على رعاية المصالح قد علمتنى أن من الخطأ قطع العلاقات فى أوقات الأزمات، كتلك التى واجهناها لأن الأمور تستدعى اتصالات ومناقشات مستمرة ولرأب الصدع فى العلاقات.

ولهذا كنت شديد الحرص على أن تبقى أبواب الاتصالات مفتوحة من خلال بعثتى رعاية المصالح فى القاهرة وواشنطن. وكنا فى واشنطن نعمل كأننا سفارة، معلق عليها من الخارج لافتة تقول: «سفارة الهند – قسم رعاية المصالح المصرية».

وأذكر أن الرئيس عبد الناصر كان قد أوفد الدكتور محمود فوزى مبعوثا عنه ليقدم تعازيه فى وفاة أيزنهاور عام ١٩٦٩، ورافقت الدكتور فوزى عندما ذهب إلى البيت الأبيض ليقدم التعازى للرئيس نيكسون، الذى فاز فى انتخابات الرئاسة خلفا لجونسون، وكانت تلك أول مرة تتاح فيها الفرصة للبلدين للتباحث على مستوى عال فى موضوع الشرق الأوسط. وكما هو معروف فى مثل هذه الزيارات أن يبدأ مساعدو الرئيس فى الاجتماع تصاعديا بالمبعوث بدءا بوزير الخارجية، ثم مستشار الأمن القومى، وبعدها الرئيس نفسه. ولم يكن وزير الخارجية روجرز موجودا فى واشنطن فأوكل المهمة لمساعده للشرق الأوسط جوزيف سيسكو.

وكان المسئولون الذين يلتقون بفوزى يحاولون أن يستكشفوا ما إذا كان يحمل معه موافقة عبد الناصر على إعادة العلاقات الدبلوماسية. فقد تصوروا أنه جاء تحت ستار التعزية، فى مهمة تنتهى بإعادة العلاقات.

وبالفعل أرسل الدكتور فوزى من مقر بعثتنا فى واشنطن برقية إلى الرئيس عبد الناصر يوصى فيها بأن يوافق الرئيس على عودة العلاقات، إلا أن عبد الناصر رد ببرقية يعتذر فيها عن عدم اتخاذ هذه الخطوة، مبررا ذلك بأنه تحدث قبلها بيومين إلى أعضاء الاتحاد الاشتراكى، موضحا عدم وجود نية لدى مصر فى الوقت الحاضر لإعادة العلاقات مع الولايات المتحدة.

وفى اللقاء فى البيت الأبيض لم يكن هناك الكثير لدى نيكسون ليقوله. وبعد عودة الدكتور فوزى إلى القاهرة ذهبت لمقابلة سيسكو للوقوف على انطباعاتهم عن الزيارة فبادرنى بقوله من الواضح أن القاهرة لم تعد مالكة قرارها، وأن القرار فى يد موسكو.

وبدأت المس من تصرفات المسئولين بالخارجية الأمريكية أنهم قللوا من اتصالاتهم معى الأمر الذى دفعنى لأن أصارحهم برأيى فى انه لو كان هذا هو تقديرهم فمعناه أنهم بتصرفاتهم يعطون الاتحاد السوفيتى وضعا ليس له، وأن الأصلح لهم تعميق العلاقات مع مصر حتى تضيق مساحة الاختلاف بدل أن تتسع شقة التباعد.

وقد جرت بالفعل محاولات أمريكية لإعادة العلاقات، منها تلك التى قام بها ويليام أتوود رئيس تحرير مجلة «لوك»، عندما اجرى حديثا مع عبد الناصر، وكان مهتما بأن يحصل منه على تصريح باستعداده لإقامة سلام بين مصر وإسرائيل، لكن عبد الناصر كان مصمما على النص فى هذا التصريح على إنهاء حالة الحرب، وليس قيام سلام. ولم تنجح محاولات تقريب وجهات النظر.

ومن جانبى حاولت مع المسئولين الأمريكيين فى واشنطن أن أشرح لهم أن إنهاء حالة الحرب ستؤدى بطبيعة الحال إلى سلام، لكن كان هناك تصميم من وزارة الخارجية - التى كانت وراء مساعى أتوود - على النص صراحة على قيام سلام.

ولم تنجح محاولات أخرى، فى هذا الوقت، فى إقناع الجانب الأمريكى بالاكتفاء بما كان فى استطاعتنا تقديمه، كما لم ينجحوا هم فى إقناع مصر بقبول إعلان إقامة سلام.

الذهاب إلى أمريكا فى ١٩٦٧
مشرفا على المصالح المصرية

كانت بداية وصولى إلى واشنطن رئيسا لبعثة رعاية المصالح المصرية، فى نوفمبر ١٩٦٧، بعد حرب يونيو بستة أشهر. والغريب انه كان مقررا أن أغادر القاهرة إلى واشنطن يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، عندما عينت وزيرا مفوضا تحت رئاسة السفير أحمد حسن الفقى، الذى كان أستاذا لعبد الناصر فى الكلية الحربية.

وبينما كنت أضع حقائبى فى السيارة التى ستقلنى وزوجتى إلى المطار، سمعنا طلقات نيران، وبدا أن الأمر غير طبيعى، فتوجهت مباشرة إلى وزارة الخارجية لتلقى اى توجيهات قبل توجهى للمطار، فعلمت من مكتب الوزير أن الطائرات الإسرائيلية أغارت على مطاراتنا،

وأن أجهزة الدفاع الجوى تصدت لها، وأن المعارك مستمرة. وتوقف موضوع سفرى إلى واشنطن.

وبعد ذلك عينت عضوا فى الوفد المصرى فى الأمم المتحدة فى نيويورك التى تنعقد جلسات جمعيتها العامة لمدة ثلاثة أشهر من سبتمبر إلى ديسمبر. وفى نوفمبر ١٩٦٧، تلقيت مكالمة تليفونية من زوجتى من القاهرة، تبلغنى أن أحمد حسن الفقى طلب إبلاغى أن قرارا جمهوريا صدر فى اليوم السابق بتعيينى مشرفا على رعاية المصالح المصرية فى واشنطن، وهو ما انتهى إليه الأمر بعد قطع العلاقات مع الولايات المتحدة، ثم صدر هذا اليوم (أى اليوم التالى) قرار بتعيين الفقى سفيرا فى لندن بدلا من واشنطن التى لم تعد بها سفارة لمصر. وأن السفير الفقى يسألنى هل أفضل أن أكون معه بصفتى الرجل الثانى فى سفارتنا بلندن، وهو ما يريده، أم أن أكون مشرفا على رعاية المصالح المصرية فى واشنطن. وأن الأمر متروك لك.

قلت لها إن الخيرة فيما اختاره الله. ومادام قرار تعيينى فى واشنطن قد صدر أولا، فأفضل لى أن أنفذه، وهو ما كان.

وتلقيت هذا التعيين بارتياح، آملا فى أن أنجح فى عملى، فى وقت ليس مهيأ لعمل ناجح، نظرا لحال العلاقة بين البلدين. وكان همى أن أغير الصورة التى رسمت فى ذهن المجتمع الأمريكى عن مصر، وأوضح لماذا تتخذ ما تتخذه من سياسات. وأننا دعاة سلام ولسنا دعاة حرب. وصلت إلى أمريكا فى ٦ يناير ١٩٦٨، رئيسا لبعثة رعاية المصالح المصرية فى الولايات المتحدة، أى سفير مصر غير المتوج وكان الوضع يقتضى أن أكون ضمن أعضاء السفارة الهندية التى وافقت على أن تكون راعية للمصالح المصرية فى أمريكا، بينما كانت أسبانيا هى المشرفة على رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة.

كانت القواعد الدبلوماسية تقتضى أن يقدمنى سفير الهند إلى المسئولين بوزارة الخارجية، وفعلا ذهبت مع السفير لمقابلة رئيس البروتوكول الذى قدمنى بدوره لمساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط لوشياس باتل. وكان باتل سفيرا للولايات المتحدة فى القاهرة قبل عودته إلى واشنطن قبل حرب ١٩٦٧ بخمسة أشهر، وكنت أعرف باتل منذ وجوده فى القاهرة حتى مغادرته لها. وقد رحب بى باتل كصديق وكانت هذه آخر مرة يصاحبنى فيها السفير الهندى لوزارة الخارجية، فقد كانت الأبواب مفتوحة لى لمقابلة من أريد من المسئولين إنما

حرصت على أن اجتمع بسفير الهند مرة كل شهر لأعطيه صورة للوضع الخص له مقابلاتى مع المسئولين، وأتيحت لى الفرصة لمقابلة عدد من المسئولين الأمريكيين خارج وزارة الخارجية التى كان لها دور فى تسهيل لقاءات مع بعض المسئولين فى البيت الأبيض وأعضاء الكونجرس كلما كان ذلك ميسورا.

أذكر اننى بعد وصولى بوقت قصير لمدينة نيويورك، فى زيارة دعانى إليها يوجين بلاك رئيس البنك الدولى السابق لتناول الغداء معه فى العاصمة المالية، وجدت أن الدعاية الإسرائيلية نشيطة للغاية فى إعطاء مصر صورة الدولة المعتدية. فى الوقت الذى كانت فيه مصر ضحية الاعتداء والاحتلال. ولفت نظرى وأنا فى طريقى لموعدى مع بلاك، أربعة من الشبان فتاتان وفتيان يمسك كل منهم بطرف ملاءة لجمع التبرعات فى الشارع الخامس أمام محل «بى اولتمان» الشهير. ويصيحون وهم ينادون بالتبرع لإسرائيل ضحية العدوان. وكانت الصورة تبين أن السياسة لم تكن مقصورة على واضعيها لكنها متغلغلة بين الشباب الأمريكى الذى أجروا له غسيل مخ، وشعرت بأن الأمر يستدعى بذل جهد مع الإعلام، ومراكز البحث من جامعات ومعاهد بغية إعادة التوازن ووضع الحقيقة أمام المجتمع الأمريكى. وبعد أن قابلت يوجين بلاك – وكان عضوا فى مجلس إدارة بنك تشيز مانهاتن – أبلغنى أنه ينوى التوجه للقاهرة وللمنطقة، وأنه يطمع فى مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر. ووعدته بنقل هذه الرغبة إلى السيد الرئيس. وتمت الزيارة وقتها.

والطريف أننى حينما أبلغت وزارة الخارجية فى القاهرة بزيارتى لنيويورك، جاءنى على الفور خطاب من مدير شئون السلكين(*) بوزارة الخارجية ينبهنى إلى أن الوزارة ستتحمل نفقات سفرى لنيويورك هذه المرة فقط وإنما على أن أستأذن فى أى تحركات مماثلة مستقبلا قبل القيام بها.

والحقيقة أننى التمست عذرا لزميلى مدير شئون السلكين فيما طلبه، فتلك هى القواعد وقتها. ومن جانبى كتبت لوزير الخارجية محمود رياض أوضح له أن الوضع فى أمريكا يستدعى سرعة التحرك وبالتالى سرعة القرار. وفى مثل هذه الأوضاع فإن الاستئذان من الوزارة قبل التحرك، سيستدعى برقيات تذهب وبرقيات تعود. ناهيك عن دواعى السرية التى تقتضيها هذه الأوضاع. وأنتهيت إلى أنه ما لم تأتنى تعليمات من الوزير، فإننى سأستمر فى

(*) سلك القنصليات وسلك السفارات.

التوجه إلى أى جهة فى الولايات المتحدة بما تقتضيه مصلحة العمل، الذى تشرفت بتكليفى به ولقد كان محمود رياض حاسما وكريما فلقد أقر هذا التصريح ومازال هذا الوضع مطبقا للآن.

بدأت حلقة اتصالاتى تتسع بالتدريج لتغطى مختلف جهات اتخاذ القرار. إذ قام ريتشارد باركر رئيس قسم مصر بالخارجية بدعوتى للغداء مع هارولد سوندرز، وكان وقتها مساعدا لوالت روستو الذى كان مستشارا للأمن القومى بالبيت الأبيض. وكان أخوه يوجين روستو وكيلا لوزارة الخارجية أى الرجل الثالث بعد رسك.

كنت أتحدث مع المسئولين موضحا أن مصر لم تقم بأى عدوان على إسرائيل إنما إسرائيل هى التى اعتدت علينا واحتلت أراضينا. وأن مصر ليست لها مصلحة فى احتلال أراضى الغير. وأنها تسعى إلى سلام وليس إلى حرب، بشرط أن يكون الآخرون مدفوعين بنفس الروح. كانت تدور مناقشات مع المسئولين طويلا عن الفرق ما بين السلام وإنهاء حالة الحرب. وكنت من ناحيتى أبين أنه إذا كان من الصعب على مصر وهى ضحية العدوان الإسرائيلى والاحتلال أن تتكلم عن السلام فإن إنهاء حالة الحرب يعطى كامل الصورة بأن مصر لا تضمر سوءا لأى طرف.

كان واضحا من كلام المسئولين أن ما تهدف إليه الولايات المتحدة، وما يركزون عليه هو أن تقيم مصر وإسرائيل حالة سلام كامل نتيجة تفاوض مباشر يضعه الطرفان بوحى من إرادتهما. والملاحظ أنهم كانوا يسعون لتوجيه الطرفين إلى هذه النهاية وإن استدعت خطوات متعددة للوصول إلى هذا الوضع. وكان ذلك واضحا تماما فى كلمة نيكسون فى مؤتمر صحفى عقده فى مارس ١٩٦٩. أرسلت برقية تحليلية عنه للقاهرة، لاحظت فيه أنه ينظر إلى مشكلة الشرق الأوسط من زاوية العلاقات الأمريكية السوفيتية فقط. وأنه يلجأ إلى تبسيط المشكلة بالقول إنه لولا إعادة تسليح السوفيت للعرب ما كانت هناك مشكلة تستدعى قلق أمريكا. وبالتالى تجاهل نيكسون قضايا العرب والأرض واللاجئين، وتحدث عن الكراهية لإسرائيل على حدودها، دون ذكر لإنهاء الاحتلال.

فى نفس الوقت لم تكن الأوضاع الداخلية فى مصر بعيدة عن أنظار المسئولين فى واشنطن، وقد لاحظت أن موضوع مرض الرئيس عبد الناصر بدأ يشغل مختلف الدوائر، وقد أرسلت يوم ٣١ يوليو ١٩٦٨ برقية بهذا الشأن إلى وزارة الخارجية فى القاهرة ذكرت فيها أن

الإشاعات والتكهنات تتزايد وأن بعض الإذاعات أذاعت أن المرض خطير وميئوس منه. ويتفق الرأى فى الخارجية الأمريكية على أن علاج الرئيس فى موسكو التى وصل إليها سيستغرق أسبوعين أو ثلاثة تعقبها فترة راحة أطول فى مصر. وأبدى الذين تحدثوا معى فى الخارجية ارتياحهم لما علموا به من موسكو من أن العلاج يؤدى إلى تحسن ملحوظ.

أيضا كنت قد التقيت يوم ٢١ مارس ١٩٦٨ مع سوندرز وباركر، وتركز حديثهما معى على التغيير الوزارى الذى تم فى اليوم السابق فى مصر، وكان تعليقهما أن مجلس قيادة الثورة فى تشكيله القديم قد انتهى، وأن التغيير الوزارى انقلاب أبيض وأبديا اهتمامهما باستقالة زكريا محيى الدين من جميع مناصبه، وفسراها على أنها مؤشر إلى احتمال اتخاذ سياسة أكثر ميلا للاتحاد السوفيتى، وأن ذلك يؤكده استبعاد كل من الدكتور عبد المنعم القيسونى والمهندس محمود يونس. وكانا مهتمين بعدم وجود على صبرى فى الوزارة، إلا أنهما أضافا أنه مازال موجودا كأمين عام للاتحاد الاشتراكى. واعتبرا دخول عدد كبير من رجال الجامعة الوزارة له مغزاه، كانعكاس للمطالب التى رددتها مظاهرات الطلبة للتغيير. لكنهما اعتبرا استمرار عدد من الأعضاء الأساسيين فى الوزارة دليل على استمرار الخطوط العريضة لسياسة الدولة خاصة من الناحية الخارجية.

نفس الموضوع أثير معى فى واشنطن من زاوية أخرى، من السفير اليوغوسلافى فى واشنطن يوم ١١ أبريل ١٩٦٨، وأرسلت بمضمون ما قاله فى خطاب سرى وشخصى إلى السيد سامى شرف. وقلت إن السفير سترو بيريا، وكان مديرا لمكتب تيتو قبل تعيينه هنا، قد عاد أخيرا من بلاده لحضور اجتماع رأسه الرئيس تيتو مع سفراء يوغوسلافيا فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية فى الشهر السابق (مارس)، وأنهم بحثوا الأوضاع فى الشرق الأوسط والتطورات الداخلية الأخيرة فى مصر، وقال لى السفير إن يوغوسلافيا حريصة على عدم التدخل فى شئون مصر الداخلية، لكن التفكير اليوغوسلافى كان يتلخص فى أن مصر فى حاجة – فى المرحلة الحالية – إلى توسع قاعدة التلاقى فى الداخل أكثر من إبعاد بعض الأشخاص خاصة ممن لهم مكانة فى الثورة وفى البلد، وأنه من صالح مصر وجود السيد زكريا محيى الدين فى الحكم بصورة أو بأخرى لأن هذا يساعد على إيجاد الوحدة اللازمة فى هذا الوقت، خاصة وأن زكريا محيى الدين ترك خلال اتصالاته باليوغوسلاف انطباعا طيبا عن تفكيره وأسلوبه وتعاونه بهدف دفع أهداف الثورة قدما.

وذكر سترو بيريا أن الرئيس تيتو يؤمن بجمال عبد الناصر رئيسا وقائدا ويؤمن بسياسته وأسلوبه وزعامته، وأن الرئيس تيتو لم يكن يرغب فى التكلم مع الرئيس عبد الناصر فى هذه الأمور، رغم أن الرئيس كتب لتيتو يحيطه علما بتطورات الوضع الداخلى وما قام به. وأضاف سترو بيريا أنه نصح تيتو بإحاطة عبد الناصر بتفكير تيتو وتقديره وتحليله. وأن الصداقة بينهما تستدعى ذلك. وأضاف السفير أن تيتو استمع ولم يعلق.

وذات يوم طلبنى ريتشارد باركر ليبلغنى أن يوجين روستو يريد أن يقابلنى. فقد كان مهتما بأن يتعرف على نتيجة ما كان يقرؤه عن محاضر مقابلاتى مع مختلف المسئولين. ورحبت بمقابلته. وأبلغنى باركر أن يوجين روستو كان قد ألقى محاضرة فى تكساس منذ فترة قريبة عن الأوضاع فى الشرق الأوسط، واعتبر روستو أن ما قاله عن العرب يشكل ما يعتبره هو نفسه موقفا منحازا للعرب. واستعدادا لمقابلة روستو ذهبت إلى مكتبة جامعة جورج تاون لاستعارة بعض الكتب التى ألفها روستو. ولم أجدها فى المكتبة فقد كانت معارة لبعض الطلبة. وذهبت لمقابلة روستو، الذى استقبلنى بترحيب وقال إنه كان حريصا فى خطابه فى تكساس على إبراز وجهة النظر العربية إلا أنه قد بلغه أننى لم أجد فى خطابه ما يعتبر إنصافا للعرب. ولهذا فهو يقدم لى نسخة من خطابه وأنه وضع خطوطا تحت الفقرات التى يرى أنها تمثل ميلا لوجهة النظر العربية. شكرته على دعوته لى وبينت له أننى حرصت على أن أقرأ بعض كتاباته قبل مجيئى إليه. ويبدو أنه من المؤلفين الذين يقبل الطلبة على كتاباتهم فقد كانت المكتبة خلوا من كتبه التى استعيرت بكاملها. أما عن خطابه فى تكساس فقد اطلعت عليه وقرأته بإمعان. وكل ما خرجت به مما يمكن أن تتقبله وجهة النظر العربية هو سطر ونصف سطر كنت قد دونتهما فى ورقة صغيرة وأطلعته عليهما. أما باقى الخطاب فقد جاء متضمنا تأييدا صارخا لوجهة النظر الإسرائيلية. والحقيقة أن يوجين روستو وأخاه والت روستو كانا من أعتى الصهاينة، فى عهد جونسون.

وقد حدث بعد أن تنحى جونسون عن إعادة ترشيح نفسه للانتخابات، أن ذهبت لمقابلة والت روستو بناء على طلبه وتبين لى انه كان يطمع فى أن يسافر إلى القاهرة بدعوة من الرئيس عبد الناصر، وأبلغنى صراحة أنه كان قد تلقى هذه الدعوة قبل حرب ١٩٦٧، ولم يتمكن من الاستجابة لها لكثرة مشاغله. وفى إمكانه الآن القيام بها. وأبلغت وزارة الخارجية بما طلبه روستو، ولكنى أوصيت بعدم الاستجابة لطلبه فقد كان ذلك يعتبر فى نظرى تغاضيا عن موقفه المؤيد تأييدا صارخا لإسرائيل.

وفى تلك الفترة عين رويرت برنجر مساعدا لوزير الدفاع لشئون الشرق الأوسط، وتعرفت عليه والتقينا مرات عديدة، ووجدت تفكيره واتجاهاته طيبة بالنسبة لنا ولقضية الشرق الأوسط. وعلمت فى يوم أنه سيزور المنطقة، فدعوته على الغداء وسألته عن البلاد التى سيزورها فذكرها لى ولم يكن بينها مصر وسوريا، فسألته عن السبب فرد بأنه لم يتلق دعوة من مصر لزيارتها.

وفى الحال دعوته لزيارة مصر ثم أبلغت القاهرة بما فعلت وجاءنى كتاب من صلاح جوهر وكيل الوزارة يبلغنى أن محمود رياض استغرب قيامى بدعوة من يمثل البنتاجون فى ظل علاقات مقطوعة، بينما الروس يساعدوننا، والأمريكيون يساعدون إسرائيل.

ورددت على هذه الرسالة بأننى حرصت على أن يستمع محمود رياض إلى شخص له وجهة نظر مؤيدة لموقفنا ويعمل فى وزارة الدفاع الأمريكية، وتمت الزيارة وعلمت أن رياض أمضى ثلاث ساعات فى جلسة مع برنجر. وكان شديد الإعجاب بما سمعه منه إلا أن برنجر لم يطل به المقام فى منصبه فقد نجحت إسرائيل فى إبعاده عن الوظيفة التى كان يشغلها، ومن اى وظيفة أخرى عامة. وكنت قد علمت أن برنجر اعترض على اشتراك ضابطين إسرائيليين فى اجتماعات تعقد فى البنتاجون.

وفى أواخر ١٩٦٨ أجريت انتخابات الرئاسة التى فاز فيها نيكسون وأعترف بأننى كنت من المتفائلين للغاية بالنسبة لنظرة نيكسون للوضع فى الشرق الأوسط، آملا فى أن يأتى بسياسة جديدة تغير مجرى الأمور فى المنطقة. فقد كان معروفا عن نيكسون أن له إلماما واسعا بالمشاكل الدولية وقدرة على حل أكبر عدد من هذه المشاكل. ولكننى أتذكر كذلك معنى الجملة التى قالها لى ذات يوم ريتشارد باركر: يا أشرف فى الولايات المتحدة عنصر الاستمرار، أكثر حدوثا من عنصر التغير.

وجاء محمود رياض إلى نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وذهبت لمقابلته وعرضت عليه فكرة ارتأيتها، وهى أن نحث نيكسون عن طريق بعض معاونيه والقريبين منه على أن يتضمن خطابه بعد حلف اليمين فقرة عن الشرق الأوسط ترتاح إليها مصر، مما يفتح بابا جديدا فى العلاقات بين البلدين، الأمر الذى يمكن لمصر أن تستغله لإعادة العلاقات.

قال لى لا مانع إذا استطعت ذلك. وأعددت ورقة تتضمن هذا المعنى. وذهبت بها إلى يوجين بلاك الذى رحب بالورقة التى قدمتها إليه وقال إنه سيسلمها إلى مساعدى نيكسون.

وداعبنى بلاك قائلا إذا تحقق ذلك فيمكن لأحفادى أن يذكروا أن جدهم ساعد رئيس الولايات المتحدة فى كتابة خطابه وقت حلف اليمين. إلا أن نيكسون أضاع على أحفاد بلاك هذه الفرصة، فقد جاء خطابه متضمنا حديثا عن المبادئ العامة وليس المشاكل الدولية دون ذكر للشرق الأوسط.

وشكل نيكسون حكومته الجديدة فعين ويليام روجرز وزيرا للخارجية، وهنرى كيسنجر مستشارا للأمن القومى. وكان نيلسون روكفلر - الذى سبق أن رشح نفسه للرئاسة - هو الذى قدم إلى نيكسون، هنرى كيسنجر الذى لم يكن معروفا خارج النطاق الأكاديمى حيث كان أستاذا للعلاقات الدولية بجامعة هارفارد.

وعين جوزيف سيسكو مساعدا لوزير الخارجية للشرق الأوسط، وكان من قبل مساعدا لوزير الخارجية لشئون الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة، فقد حرص سيسكو على أن يدعونى لمقابلته كأول مبعوث عربى يقابله بعد تبوئه منصبه الجديد وكانت لفتة كريمة نظرا لأن سيسكو كان معروفا بأنه من مؤيدى إسرائيل. وكان سيسكو هو المعبر عن سياسة واشنطن فى ذلك الحين.

وهذه السياسة ليست من وضع الفنيين بقدر ما تمثل وجهة النظر السياسية التى يضعها كبار المسئولين فى الخارجية مع البيت الأبيض. وبمجرد أن حلف نيكسون اليمين، وبدأ يمسك بالأمور فى يده، اختار ويليام سكرانتون حاكم ولاية بنسلفانيا مبعوثا خاصا للشرق الأوسط. وجاء سكرانتون فى زيارة للمنطقة. ثم عاد منها وأدلى بتصريح قال فيه إن الإدارة الأمريكية ستكون أكثر توازنا مما مضى بالنسبة للشرق الأوسط.

The United States will adopt an even-handed policy in the Middle East.

وقامت الدنيا ولم تقعد فى الولايات المتحدة على سكرانتون، الذى اختفى فى الحال تماما من الحياة السياسية. وبدأت الصورة تتكشف بالنسبة لمعالجة الإدارة الأمريكية لقضية الشرق الأوسط. فهى تمشى فى اتجاهين الأول يتولاه روجرز، والغرض منه الإبقاء على العلاقات الودية قدر الإمكان مع العالم العربى، والثانى يتولاه كيسنجر، ويضع الشرق الأوسط ضمن القضايا الداخلية فى علاقات الحرب الباردة بين واشنطن وموسكو.

لكن هذا الأسلوب فى ممارسة السياسة الخارجية، أسفر عن خلافات بدأت تخرج إلى السطح بين الرجلين، واتضح هذا عندما تقدم روجرز بمشروعه الذى عرف باسمه، وأجمعت الصحافة الأمريكية على أنه يمثل وجهة نظر روجرز وليس البيت الأبيض.

وكان مشروع روجرز، يضم العناصر أو المبادئ التى تحكم قضية الشرق الأوسط، وفيها ما يرضى الطرفين ـ المصرى والعربى من ناحية، وإسرائيل من ناحية ثانية. وكما نعرف فقد انتهى الأمر برفض إسرائيل المشروع فى الوقت الذى وافق عليه جمال عبد الناصر وهو فى زيارة لموسكو.

وأذكر أننى ذهبت وقتها لمقابلة كيسنجر لأساله لماذا لا يلقى الرئيس نيكسون كلمة يؤيد فيها مشروع روجرز؟ ورد كيسنجر بقوله: إن روجرز هو وزير خارجية أمريكا. فقلت من باب أولى أن يظهر الرئيس الأمريكى تأييده له. فكرر كيسنجر نفس الرد. وهو ما أكد لى أن كيسنجر غير موافق على مشروع روجرز، وأنه أقنع نيكسون بألا يدخل نفسه فى هذا الموضوع. ولهذا فإن مشروع روجرز كان قد ولد ميتا.

وكان معروفا أن كيسنجر له أولوياته فى معالجة المشاكل، وهى مبنية كما سبق أن أشرت على أساس درجة حرارة كل مشكلة، فهو يعطى أولوية للمشكلة التى أصبحت مشتعلة، مادام يوفق فى إطفاء لهيبها، وتأجيل أو تجميد المشاكل غير الملتهبة إلى وقت لاحق مادام يستطيع أن يتحكم فيها. وكان يرى أن الوضع فى الشرق الأوسط متأزم لكنه غير مشتعل، ولهذا فإن وقت الاهتمام به لم يحن بعد.

فى يوم ١٦ فبراير ١٩٧٢، اجتمعت مع سوندرز وأشرت فى الاجتماع إلى ما نشرته مجلة «أفيشن ويك» المتخصصة فى شئون الطيران، عن أن البيت الأبيض أخذ موضوع الشرق الأوسط فى يده من وزارة الخارجية. بدليل إعلان معالجة موضوع الشرق الأوسط ضمن المشاكل الاستراتيجية التى تتعلق بالعلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، أثناء زيارة نيسكون المقررة لموسكو فى يونيو من نفس العام.

وذكرت له إننى سمعت نفس الكلام من عدد من الصحفيين، لم أذكر له أسماءهم، وكان منهم رولاند إيفانز الذى ذكر لى أن قضية الشرق الأوسط سحبت من يد سيسكو لتعالج فى البيت الأبيض، وأن سيسكو غير مرتاح لهذا الإجراء.

وكان رد سوندرز على ما ذكرته أن تلك مجرد تكهنات صحفية وأن سياسة أمريكا واحدة، سواء فى البيت الأبيض أو فى الخارجية.

وفى يونيه ١٩٧٢، اجتمعت بروجرز بحضور ستيرنر. حيانى روجرز بكلمات رقيقة عن تمثيلى لبلادى هنا. ذكر أنه يأسف لما تطورت إليه الأمور خلال عام مضى وأنه يتصور أن

الأمر يرجع إلى سوء تفاهم وأكد أنه لم يكن هناك أى قصد سيىء من جانبه أو من جانب بلاده للتغرير بمصر حسب ما ورد فى كلام السيد الرئيس وكان باديا عليه الألم.

وأعرب روجرز عدة مرات عن أسفه لأن الأمور لم تتقدم حسبما كان يرجو، ذكر أن سوء التفاهم ربما يرجع إلى:

أ - أن روجرز وسيسكو أوضحا لنا أنهما سيبذلان كل جهد وهو ما فعلاه بينما تصورنا نحن أن أمريكا تعد بأن تفرض خطا معينا وهو ما يتعذر عليها القيام به.

ب - أن إمكانيات واشنطن محدودة فى الضغط على إسرائيل بينما نتصور نحن أنه يمكنها فرض التسوية على الأطراف.

ج - أن موقف أمريكا وموقف إسرائيل غير متطابقين بدليل عدم موافقة إسرائيل على نواح كثيرة مما تضمنه مشروع روجرز فى ١٩٦٩، الذى وصفه بكونه تفسير أمريكا لقرار مجلس الأمن ويتضمن تحفظات ثلاثة عن شرم الشيخ والمناطق المنزوعة السلاح وغزة.

د - ورقة بيرجس التى كانت مجهودا شخصيا من جانبه وليس بتعليمات من واشنطن.

وأشار روجرز إلى خطوات قامت بها أمريكا لمعاونة الوصول إلى حل سلمى هى:

١ - مقترحاته فى ١٩٦٩.

٢ - وقف إطلاق النار وضغط أمريكا على إسرائيل التى كانت تعارضه وعاد فذكر أن الذى كان يعارضه هم بعض أعضاء الحكومة الإسرائيلية.

٣ - زيارة المنطقة وحرصه على أن يبذل كل جهده لدفع الحل السلمى وقد ظهر أن الرئيس نيكسون يرحب باتفاق مرحلى كخطوة نحو التسوية النهائية.

اضاف روجرز أن المشكلة تكمن فى تصميمنا على ضرورة التزام إسرائيل من البداية بالانسحاب الكامل وأنه يفهم أن يكون موقفنا من المطالبة بهذا الانسحاب الكامل كنقطة تفاوض، As negotiating position. كما أن لإسرائيل أن تتخذ الموقف الذى تراه كنقطة تفاوض ولكن يجب الا يعوق أى من هذا بدء المباحثات والتى يمكن عن طريقها الوصول إلى تسوية ترضيهما، إنما أن نصمم على الا تبدأ مباحثات حتى تلتزم إسرائيل من البداية بالانسحاب الكامل فهذه هى النقطة التى تحول دون التقدم.

وأشار روجرز إلى أننا أصبحنا فى عصر المفاوضات مدللا على ذلك بالمفاوضات الدائرة بين أطراف النزاعات فى العالم وبالتالى فإن واشنطن لا ترى حكمة فى موقفنا الذى أشار إليه أعلاه.

وأضاف أن واشنطن مازالت على استعداد لأن تلعب دورا فى تحقيق الاتفاق المرحلى وذلك ضمن الإطار الذى عرضه روجرز أمام دورة الجمعية العامة فى ١٩٧١. وأنه إذا كان الاعتراض على أمريكا فإنه يرحب أن تقوم بالدور أى دولة أخرى وقد قيل فى وقت ما إن رومانيا ربما أمكنها تولى هذه العملية، ولم يعترض روجرز مؤكدا أن المهم هو أن تبدأ المباحثات وليس كيف تبدأ.

وعاد يرجو أن أبلغ السيد الرئيس بما يلى:

أ - إنه يكن لسيادته كل التقدير والاحترام وأن نيكسون وروجرز ومعاونيه والجميع يعرف أن الرئيس رجل سلام ويريد الوصول إلى حل سلمى.

ب - إن إمكانياتهم فى التأثير على إسرائيل محدودة.

ج - إن واشنطن على استعداد، إذا ما رغبت القاهرة، فى أن تلعب دورا فى الوصول إلى الاتفاق المرحلى.

وأعربت عن شكرى لكلماته عنى وأكدت لروجرز أننى أعرف أن الجميع فى مصر يكنون له تقديرا واحتراما كبيرين.

وأوضحت أن مطالبتنا بانسحاب إسرائيل من جميع أراضينا ليست نقطة تفاوض كما ذكر، إنما هى نقطة التزام نهائية نصمم عليها. فنقطة تفاوض تعنى أنه يمكن الوصول إلى حل وسط أى تتضمن احتمال تنازل فى المفاوضات عن بعض أراضينا وهذا أمر غير وارد.

أضفت أنه من المشاكل الرئيسية بيننا كيفية نظرة ومعالجة كل منا لمقترحات أمريكا؛ إذ بينما وافقنا فى الماضى على مقترحات أمريكية باعتبار أنها ستمهد السبيل للوصول إلى الحل السلمى المنشود، وجدنا أن أمريكا لم تدفع هذه المقترحات إلى التنفيذ، بل رضخت لضغط إسرائيل التى رفضت مقترحاتها، ودللت على ذلك بما حصل فى مقترحات روجرز فى ١٩٦٩.

وتساءلت عن فائدة هذه المقترحات لو بقيت مجرد اقتراحات.

وذكرت أننا فى ردنا على المبعوث يارنج فى فبراير ١٩٧١ وافقنا على الدخول فى سلام مع إسرائيل وعقد اتفاق سلام معها وهذا كان أمرا تصمم عليه إسرائيل لا كنقطة تفاوض، إنما كضرورة ينتهى إليها الطرفان حتى يمكن إيجاد التسوية النهائية وعدم العودة إلى وضع ما قبل ١٩٦٧، وهو الشىء الذى كانت تحثنا عليه أمريكا. وأنا بالذات حثتنى عليه الخارجية الأمريكية طوال سنتى ١٩٦٨، ١٩٦٩ وبالتالى فقد كان المرادف المنطقى لالتزامنا هذا هو التزام إسرائيل بالانسحاب الكامل.

وبينت أن مناقشات طويلة دارت بين أمريكا وبيننا من ناحية وبينها وبين إسرائيل من ناحية أخرى عن نوع الوثيقة التى توقع، وهل تعتبر سلاما أو إنهاء حالة حرب وهل توقع وثيقة واحدة أم اثنتان – وكان المنطق يدعو أن نتقدم للأمام بعد ذلك.

وأضفت أن من المشاكل الأخرى التى واجهتنا فى القاهرة هى كيفية تفسير إشادة واشنطن بما قمنا به أعلاه بينما إسرائيل ازدادت تعنتا، ثم تنتهى الأمور بحصول إسرائيل على المساعدات العسكرية الضخمة الحالية والمستقبلية وهو التصرف الذى يتعذر إيجاد منطق له.

امتدح روجرز موقفنا فى العام الماضى مؤكدا أنه لا يمكن لإنسان أن يقلل من أهميته وعاد يتكلم عن أهمية المباحثات، فقد أصبحت الشىء الموضة Fashionable فى العلاقات الدولية، حسبما أوضح أعلاه، مضيفا أن المفاوضات تحصل لا بسبب قوة الحجة فى القول، إنما نتيجة تطورات واقعية تحدث بدليل ما حصل بينهم وبين الصين وما بين الألمانيتين الخ. كما ضرب مثلا بمباحثات سولت (الحد من الأسلحة الاستراتيجية).

وعاودت التركيز على أن التسليم الأمريكى برغبات إسرائيل دفع إسرائيل إلى تعنتها الحالى. وبينت أنه لو كنا قمنا بإجراءات عسكرية ترتب عليها إخراج إسرائيل من أراضينا، وأصبحنا نقف وجها لوجه على خط ٤ يونيو، لكنت أفهم موقف أمريكا من تسليح إسرائيل. إنما ما ذكره روجرز عن أن المفاوضات تأتى عن طريق الواقع وتطوراته، يدفعنى إلى القول بأنه كان يتعين على أمريكا أن تخفف من انحيازها لإسرائيل حتى تدق فى آذان إسرائيل أجراس الاتزان والتعقل.

أضفت أن المهم هو ليس البحث عن طريقة يتفادى بها التزام إسرائيل بالانسحاب من أراضينا بالكامل ! فالمهم هو تغيير فلسفة إسرائيل بالنسبة للأراضى إذ لن يكون هناك سلام

مادامت إسرائيل تحتل ارضا عربية. وذكرت روجرز بكلامه هو شخصيا فى الماضى حينما ذكر أن أمريكا ترحب بمعاونة إسرائيل عسكريا لتوفير أمنها وليس التوسع.

أما عن التباحث وكونه «موضة» فقد أوضحنا أننا لا نمانع فى طرق هذا الباب إذا ما توافر لدينا الضمان بانسحاب إسرائيل إلى خطوط ٤ يونيو. وذكرته بأنه لا الصين ولا غيرها تحتل أراض أمريكية.

وأشار روجرز إلى مباحثاتهم الأخيرة مع المكسيك حيث تنازلوا لها عن أراض هى قانونا من حق أمريكا إنما فعلوا ذلك لحسم الخلافات وللإبقاء على علاقات حسن الجوار. فقلت له مداعبا: خسارة أن أمريكا ليست جارتنا.

وقلت إنه يهمنى، وقد كنت ممثل مصر فى واشنطن طوال المدة الماضية حريصا على تدعيم العلاقات بين البلدين، أن ابين أن التدهور الحالى فى هذه العلاقات يرجع إلى تطورات نهاية العام الماضى وأننى شخصيا انصح فى الوقت الذى يتحدث فيه روجرز عن دور لأمريكا هى مستعدة لأن تلعبه، الا تكتفى واشنطن بتأكيد العموميات التى استخدمت واستنفدت، إنما من المهم أن تؤكد واشنطن بخطوات ملموسة ما يساعد على اجتياز أزمة الثقة الحالية.

ذكر روجرز أنه إذا كان الأمر ينحصر فى التزام إسرائيل من البداية بالانسحاب الكامل فإن إمكانيات ضغط واشنطن على إسرائيل – كما ذكر – محدودة. لكن من الممكن الإشارة إلى قرار مجلس الأمن والتزام الأطراف به.

ذكر روجرز فى النهاية أن الفرصة سوف تتوافر ليلتقى بوزير خارجيتنا فى دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر المقبل.

وبدأ يتضح أن الولايات المتحدة مشغولة بقضايا دولية مهمة، على رأسها فيتنام من ناحية، والخلافات بين موسكو وواشنطن من ناحية أخرى، سواء كانت خلافات إقليمية أو متعلقة بالأسلحة الفتاكة، ولم تكن قضية الشرق الأوسط مشتعلة، وبالتالى كانت لها فى نظر كيسنجر أهمية ثانوية.

وفى نهاية عام ١٩٧٢، نجح كيسنجر فى الوصول إلى ما سمى بالوفاق مع الاتحاد السوفيتى، والتزام الطرفين بعدم السماح للمشاكل الإقليمية بتعكير صفو العلاقات بين البلدين.

وكان هذا يعنى أن مشكلة الشرق الأوسط لم تعد بالنسبة للاتحاد السوفيتى، ولا واشنطن مشكلة ملحة، وتم تجسيد ذلك رسميا فى قمة نيكسون وبريجينيف فى موسكو فى يونيو ١٩٧٢، التى قررت فرض الاسترخاء فى الشرق الأوسط.

وكان الملاحظ أن الموقف الأمريكى يتسم بالتصميم على أن يجلس العرب وإسرائيل مباشرة على مائدة واحدة لحل المشكلات فيما بينهم وظل هذا موقفا مستمرا للولايات المتحدة مع المحافظة على التفوق العسكرى لإسرائيل إزاء القوة العربية مجتمعة، والضغط على مصر عن طريق قيام إسرائيل بضرب المنشآت العسكرية كلما حصلت مصر على نوع متطور من الأسلحة السوفيتية. ولم تكن المباحثات الثنائية لكيسنجر ودوبرنين السفير السوفيتى فى واشنطن، ولا المباحثات بين إنجلترا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتى أكثر من إشغال الساحة بأخذ وعطاء لا يؤدى إلى نتيجة، بعد أن وضع كيسنجر قضية الشرق الأوسط ضمن القضايا التى تتضمنها أجندة تسوية الخلافات بين الدولتين العظميين. ولم يكن مطلوبا من ويليام روجرز ومساعده سيسكو، أكثر من الإبقاء على الأمور على ما هى عليه دون حركة إنما إظهار بعض التعاطف مع الجانب العربى بغرض الحيلولة دون يأسهم والالتجاء إلى أعمال عسكرية. ثم جاء الوفاق الأمريكى السوفيتى فى عام ١٩٧٢، لكى يطيح بما تبقى من أمل لدى القيادة المصرية فى عدم الخلط بين قضية الشرق الأوسط والقضايا الدولية الأخرى مما يضعف المركز التفاوضى المصرى، عندما يحين الوقت.

من هنا كان قرار الرئيس أنور السادات بدعوة الخبراء الروس للعودة إلى بلادهم، وبدأت الساعة تتحرك بعقاربها نحو الانفجار العسكرى الذى طالما هدد به أنور السادات ولم تصدقه لا إسرائيل ولا الولايات المتحدة إلى أن تم.

الفصل الثالث

كيسنجر قال لى: مخابراتنا أقنعتنا بأن السادات لن يجرؤ على الحرب

بعد أن تركنا جميعا مناصبنا الرسمية، عدت إلى القاهرة بعد انتهاء عملى كسفير لمصر فى واشنطن، وكان هنرى كيسنجر أيضا خارج السلطة، خطر لى، وقد التقيت بكيسنجر أثناء زيارة إلى الولايات المتحدة، أن أسأله: لماذا لم تأخذ كلام السادات عن الحرب بجدية، وكان قد أخذ ينبه إلى أنه لم يعد أمامه من سبيل غير الحرب، بعد أن سدت فى وجهه كل سبل الحل الدبلوماسى؟

أنصت كيسنجر إلى سؤالى، ثم قال: كان السادات يخرج علينا كل يوم باقتراح للحل. وكلما تأملنا اقتراحه، نجده يخرج علينا باقتراح آخر جديد مما بلبل أفكارنا. ثم أن تقديرات أجهزة مخابراتنا ومخابرات إسرائيل اتفقت على أن السادات لن يجرؤ على اتخاذ مثل هذه الخطوة. ولا تنس أنه اتخذ قرار طرد الخبراء السوفيت دون أن يطلب من الولايات المتحدة أى مقابل.

قلت لكيسنجر: ألم يخطر على بالك، أنه كان يهدف إلى التحول الاستراتيجى من الصداقة مع الاتحاد السوفيتى إلى الصداقة مع الولايات المتحدة. ولو أنه أفصح عن نياته، فلربما كان الجانب الأمريكى سوف يساومه لإعطائه أقل ما يمكن من مقابل. مما يفسد عليه توجها كان يراه خطوة استراتيجية، لا تحتمل الأخذ والرد.

قال كيسنجر: إننا أصلحنا خطأنا فى حرب ١٩٧٣، فلقد تركنا إسرائيل تدك فى الأيام الأولى من الحرب، ولكننا سارعنا بتزويدها بمساعدات عسكرية ضخمة لتقف على قدميها، ولكى نقوى ساعدها أثناء المفاوضات التى أعقبت وقف إطلاق النار.

ذكرنى كلام كيسنجر بأسلوبه فى التدخل لحل النزاعات، وهو أن يكون لدى كل طرف من طرفى النزاع ما يعطيه وما يحتاجه فى الوقت ذاته. مما يتيح لكيسنجر قدرة تفاوضية يوازن فيها بين مواقف الطرفين، وبما يمكنه من الوصول إلى الهدف أو النتيجة النهائية التى تريدها الولايات المتحدة.

تذكرت هذه الواقعة على ضوء المفاجأة التى شعرت بها الولايات المتحدة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، وهى تكتشف أن السادات قرر أن يحارب. وكنت قد ذهبت للقاء كيسنجر فى يوليو ١٩٧٢ بمناسبة انتهاء عملى رئيسا لبعثة المصالح المصرية فى واشنطن، وحضر اللقاء هارولد سوندرز الذى عمل فيما بعد مساعدا لوزير الخارجية للشرق الأوسط. وتحدثت فى اللقاء

شارحا كيف أننى سعيت من خلال موقعى هذا إلى إيجاد حل للنزاع العربى الإسرائيلى، وإقناع الولايات المتحدة بأن التعاون مع مصر يخدم المصالح الحيوية للولايات المتحدة فى المنطقة. لكننى بعد فترة طويلة من عملى رئيسا لبعثة رعاية المصالح فى واشنطن، أعود للقاهرة صفر اليدين.

ورد كيسنجر أنه ربما يعود هذا الإخفاق إلى أنه لم تجر مباحثات بين البلدين على مستوى عال. رددت بأن أشرت إلى زيارة وزير الخارجية ويليام روجرز للشرق الأوسط، واجتماعه بالرئيس السادات. وسرعان ما تنبهت إلى أننى ما كان يجب أن أذكر أمامه اسم روجرز فلقد كان معروفا انعدام الانسجام بين كيسنجر كمستشار للأمن القومى، وروجرز كوزير للخارجية، وسعى كيسنجر لعرقلة الطريق أمام مشروع روجرز لتسوية النزاع ، ثم قيامه بسحب مسئولية معالجته من وزارة الخارجية، إلى البيت الأبيض.

وأجابنى كينسجر أنه كان يقصد مباحثات على مستوى الرئيسين فى البلدين. وأن كيسنجر يتمتع بثقة الرئيس نيكسون، وما على الرئيس السادات سوى أن يختار شخصا يثق به، ليتباحث الاثنان على هذا المستوى.

واقترح علىَّ كيسنجر ألا أبعث بهذا العرض إلى الرئيس السادات، شفريا أو عاديا، ولا أرسله فى خطاب، وإنما أبلغه للرئيس السادات شفهيا عند عودتى إلى القاهرة، وليس هناك - حسب قوله - ما يدعو للعجلة.

وكان تقديرى لهذا الطلب من جانبه، أن إسرائيل قد يتوافر لها بوسيلة أو أخرى، العلم بهذا الخطاب، أو أن تكون لها وسائلها فى فك الشفرة.

قلت له إن سفرى سيستغرق ثلاثة أسابيع لأننى سأعود عن طريق البحر، ورد بأنه لا بأس فى هذا. وذكر أنه يفضل أن يكون التراسل حول هذا الموضوع فيما بعد، عن طريق المخابرات فى البلدين.

وصلت إلى الإسكندرية. وفى اليوم التالى كنت فى القاهرة، أقدم نفسى إلى حافظ إسماعيل، وأبلغه - كما طلب منى كيسنجر فى آخر لقاء فى واشنطن - أن الأمر ربما يستدعى اتصال مباشر بين الرئيسين هو ممثلا لنيكسون، وليختر السادات من يمثله ويكون حائزا ثقته، ثم ما تبع ذلك من تطورات شملت لقاء إسماعيل وكيسنجر مرتين.

بدأت العمل مع حافظ إسماعيل كمساعد لمستشار الرئيس للأمن القومي، وكلفت بوضع تصورات للخطوات اللاحقة للتعامل مع أزمة الشرق الأوسط. وكان تحليلى للموقف قد وصل إلى أنه لابد من إجراء عسكرى، يجعل إسرائيل تفيق من غطرستها، ويجعل الولايات المتحدة تصحو إلى مسئوليتها عن سلام المنطقة. وكان تفكيرى قد استقر على هذا النحو قبل أن أحضر فى ديسمبر ١٩٧١ من واشنطن للقاهرة .

وكنت قد نقلت رسالة كيسنجر إلى حافظ إسماعيل، فطلب منى إعداد تقرير مكتوب بذلك. وتسلم حافظ إسماعيل التقرير الذى كتبته، وذهب به إلى الرئيس السادات الذى قال إنه تلقى فى صباح نفس اليوم رسالة بهذا المعنى من كيسنجر، استهلها بتحيته على قرار السادات بترحيل الخبراء السوفيت.

وبدأت المراسلات بين كيسنجر وحافظ إسماعيل.

وقرر الرئيس السادات أن يتوجه حافظ إسماعيل إلى الولايات المتحدة لعقد اجتماع مع كيسنجر بناء على اقتراح الأخير، فى عام ١٩٧٢، وبدا أن كيسنجر قد تصور أن السادات ربما يكون قد وصل إلى نقطة، يقبل عندها التفاوض مع إسرائيل، فى ظل الوضع القائم، أى أن يقبل حلا يعكس نتائج حرب ١٩٦٧، بما يتضمن تحديد من كسب ومن خسر فى الحرب وما الذى سيدفعه الخاسر لمن كسب الحرب، وتنتهى المفاوضات إلى تسليم السادات باستعادة جزء من سيناء، وليس كلها، حسب ما يرضى إسرائيل، التى كسبت الحرب - وما تضعه من شروط.

كنا فى القاهرة نتساءل هل يتم هذا الاجتماع بين حافظ إسماعيل وكيسنجر سرا، أم علنا. وكان من رأيى أنه لا داعى لأن يكون الاجتماع سريا. لأننا بذلك نترك للولايات المتحدة أن تختار الوقت الذى يناسبها فيما بعد، للإعلان عن هذا الاجتماع، ودون أن يكون ذلك بالضرورة فى صالحنا. واستقر رأينا على هذا. أن يسافر عدد من المسئولين لمقابلة رؤساء الدول الخمس الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن، ويذهب حافظ إسماعيل إلى واشنطن، ويلتقى بالرئيس نيكسون، ثم يجتمع بعد ذلك مع كيسنجر.

وكان كيسنجر يركز فى كلامه على التساؤل عما إذا كانت مصر مستعدة للوصول إلى سلام تفاوضى مباشر وتعاقدى مع إسرائيل وعلاقات طبيعية. وكان مجمل كلام حافظ

إسماعيل أنه لا يمكن أن نتوقع أن تأتى جولدا مائير لتسير فى شوارع القاهرة لتشترى ما تحتاجه بين عشية وضحاها. وسوف يستغرق الوصول إلى هذه النقطة أمدا طويلا.

ولم يكن اللقاء التالى فى باريس بين كيسنجر وحافظ إسماعيل أفضل حالا من الأول، فى الوصول إلى ما يبشر بانقشاع سحب الصورة القاتمة للموقف فى منطقتنا. ومضت الأمور على هذا المنوال، وكان شاه إيران قد زار واشنطن قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ بشهرين، وعرض خلال لقاءاته مع نيكسون وكيسنجر، وكان يرافقه وزير خارجيته أردشير زاهدى، أن يلعب دورا فى التقريب بين مصر والولايات المتحدة. وأنه على استعداد ليرسل مبعوثا خاصا للتباحث مع الرئيس السادات فى هذا الشأن.

وكلفنى الرئيس السادات بالسفر إلى سويسرا لمقابلة أردشير زاهدى سفير إيران فى واشنطن، ووزير خارجيتها السابق الذى كان يمضى إجازة فى منزل اقتناه والده الجنرال زاهدى، الذى كان قد قضى على محاولة انقلاب قامت ضد الشاه.

وفى يوم ٢٤ أغسطس ١٩٧٣، واستكمالا لاستطلاع صورة الموقف الأمريكى، بشكل نهائى، ذهبت إلى جنيف لمقابلة أردشير زاهدى وكان استقباله وديا للغاية واصطحبنى إلى مونترو حيث اجتمعنا بعد ظهر الجمعة وصباح السبت التالى.

وأكد زاهدى أنه يؤمن بالقضية العربية ويتابع ما يدور فى الشرق الأوسط وهو على اتصال مستمر فى هذه الناحية بكل من الشاه والمسئولين الأمريكيين على السواء.

ويشعر بأن الوقت مناسب للتحرك وأن الرأى العام العالمى وحتى الأمريكى بدأ يتحول وأزمة الطاقة سيكون لها أثرها فلدينا إمكانيات هائلة يجب استخدامها بحذر وبكفاءة ويؤمن شخصيا بأن المفتاح هو فى تعاون مصرى سعودى، بل وفى تلاق مصرى سعودى إيرانى على مستوى الشعوب والحكومات.

وذكر زاهدى أنه يعد زيارة الشاه للولايات المتحدة. وعلى إثر كلام زاهدى المستمر مع كيسنجر فقد أعد كيسنجر ورقة سلمها لزاهدى ليقدمها إلينا. وأوضح زاهدى أنه عندما قرأ الورقة وذكر لكيسنجر أنه يعتقد أنها لا تحوى جديدا؛ أجابه كيسنجر إنها نقطة البداية. وأضاف زاهدى أن كيسنجر شطب السطر الأخير من الورقة على أثر ملاحظة زاهدى بأن أمريكا تطلب من مصر الكثير.

وشرحت له بأن انطباعى السريع عن الورقة أنها لا تقدم جديدا وهى مجرد كلمات تعلن عن حسن النيات، وردا على استفهامى ذكر أنه ليس لديه شىء شفهى يضيفه إلى الورقة حتى تعطى الصورة بالكامل وذكر بانه ينتظر رسالة تصله من الشاه.

وفى اليوم التالى - ١٩٧٣/٨/٢٥- لاجتماعى بزاهدى قلت له إننى قرأت الورقة بإمعان وإننى ألاحظ عليها ما يلى:

(١) حوت بعض تعبيرات إيجابية مثل:

أ- حرص أمريكا على أن تعمل بفاعلية.

ب- وأن تعمل بهدوء حتى يتوافر لها إمكانية وجود موقف علنى يمكنها أن تدافع عنه.

ج- أهمية انسحاب القوات الإسرائيلية من مواقعها الحالية.

د- ضرورة ألا ينشأ عن الخطوة الأولى تجمد للموقف.

هـ - فهم أمريكا لمشكلة الرئيس السادات فى هذا الشأن.

ذكرت أن هذه كلها نقاط تعبر عن نيات طيبة.

(٢) لكن الورقة كما هى لا تبين كيف نصل إلى الأهداف المنشودة وهناك تساؤلات: كيف يمكن حسب التفكير الأمريكى:

أ- التقدم خطوة بخطوة؟

ب- الإبقاء على الموقف فى حالة سيولة بدلا من جموده الحالى؟

ج- ألا تؤدى الخطوة الأولى إلى إعادة تجميد الوضع؟

د- تحقيق التسوية الشاملة العادلة فى النهاية؟

هـ - ما هو المقصود بمرونة تكتيكية أكثر من جانب مصر؟

و- كيفية التقدم من المرحلة الأولى للمراحل اللاحقة؟

(٣) أجد فى الفقرة (٦) بالورقة الأمريكية عبارة:

We judge that the U.S. is serious in wanting a settlement and serious in trying to find a workable way of achieving one.

فمن المقصود بـ «we»

وأضفت أننى أحتاج إلى معاونته فى الرد على هذه الاستفسارات كى يمكن أن تكتمل لدىّ الصورة للعرض على القاهرة.

وتساءل زاهدى لماذا لا نضع الأسئلة التى طرحتها عليه على ورقة ليقدمها للأمريكان، وعلقت بأن الأمريكيين يعرفون كل هذا بالتفصيل، وبينت أن الفراغات الموجودة فى الورقة الأمريكية يتعين ملؤها بمعرفة الولايات المتحدة صاحبة الورقة.

وقلت إن وقف إطلاق النار كان فى الحقيقة الخطوة الأولى نحو التسوية الشاملة العادلة ثم تجمدت الأمور والآن يطلب منا مجددا موقفا مرنا حتى يمكن تحريك الأمور.

وعندئذ تسلم زاهدى مظروفا وصله من الشاه وذكر زاهدى بعد اطلاعه عليه أن «أصدقاءنا المصريين لن يمكنهم قبول هذه الورقة إنما عليه (أى على زاهدى) أن يسلمها لهم» كما اشر الشاه على بداية الصفحة الثالثة «In the American view» حتى يظهر أن ما تتضمنه الورقة عن «أن مصر تخسر المزيد بتجميد الموقف الحالى عما قد تخسره لو بدأت القوات الإسرائيلية بالانسحاب» بأن ذلك هو رأى أمريكا وليس رأى إيران.

استفهم منى زاهدى عما يبلغه لكل من الشاه والولايات المتحدة ولخصت له ما سبق أن ذكرته فى الآتى:

١- إن تعليق الشاه على الورقة إنما هو معبر بالكفاية عن وجهة النظر المصرية.

٢- يتعين على أمريكا أن تخرج من العموميات.

٣- إذا كان لدى واشنطن نيات طيبة فلتضعها موضع التنفيذ وتقدم لنا التزاما أكثر ضمانا من هذه الورقة.

٤- إننا لا نرفض أى شىء تلقائيا، إنما لا نعتبر النيات الطيبة مشروعات قائمة بذاتها ونتساءل ما هو المخطط والمشروع؟

٥- لا نعتقد فى الحل الجزئى ونصمم على الحل الشامل.

٦- رغم اتصالاتنا بالأمريكيين، فإذا كانت لدى الولايات المتحدة مشاكلها حاليا وترغب فى تحوير الورقة وتقديم مشروع واضح مقنع عن طريق إيران فلا مانع لدينا.

٧- إننا لا نريد سوءا لأمريكا ولا نعمل ضد مصالحها ولكننا لا نترك مصالحنا تهدر ولن نخذل شعبنا أو الدول العربية أو شعب فلسطين.

٨- إننا نهدف لأن تسلك أمريكا - فى التوصل إلى تسوية للشرق الأوسط - نفس

المنهج الذى سلكته فى تسوية مشاكلها مع الصين والاتحاد السوفيتى، أى الحلول الشاملة والتصور فى المدى الطويل.

والخلاصة: هناك احتمالان:

الأول: إن الورقة الأمريكية التى سلمها لنا زاهدى جاءت نتيجة ضغط من زاهدى الذى يأمل فى أن يلعب دورا فى مشكلة يعرف جوانبها ومازالت دون حل مستخدما فى ذلك صلاته القوية بالعالم العربى وبخاصة مصر، والأمريكيين.

كما يلاحظ اهتمام زاهدى بأن يوفر مكانا هادئا لاجتماعات كيسنجر وحافظ إسماعيل، الأمر الذى يكشف عن رغبته فى لعب دور.

الثانى: إن الولايات المتحدة رأت أن تستخدم إيران لإبلاغنا بما تضمنته الورقة والذى ينحصر فى تركيزها على الحل الجزئى مع انسحاب أيا كان مداه فهو أفضل من بقاء الوضع متجمدا على حاله.

ولو كان الاحتمال الثانى هو واقع الحال فإن ذلك يعنى أن الولايات المتحدة سعت إلى أن تبلغنا:

(١) عن طريق رومانيا: أن الحل الشامل يكمن فى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل وحتى فى هذه الحالة فإن مصر يجب أن تتحرر من قيود المشكلة الفلسطينية التى تعقد الوصول إلى الحل الذى يمكن الوصول إليه بين مصر وإسرائيل.

(٢) عن طريق إيران: أنه إذا كان من المتعذر على مصر طرق باب التفاوض المباشر فلتعرف مصر أن الطريق عبر جهود الولايات المتحدة سينحصر فى مجرد الحل الجزئى وفى هذه الحالة يتعين على مصر أن تتقدم هى بنفسها بالمقترحات التى يصعب على إسرائيل أن ترفضها أى أن تقدم مصر تنازلات كثيرة ولا يمكن لواشنطن أن تقدم لنا من الضمانات أكثر من نياتها الطيبة وحرصها على رعاية مصالح الولايات المتحدة فى المنطقة.

كذلك فإن جولة زاهدى يمكن اعتبارها شاغلة لبعض الوقت لحين أن يتمكن كيسنجر بعد تعيينه وزيرا للخارجية من إعطاء بعض الوقت لجولة جديدة فى مباحثاته مع المستشار حافظ إسماعيل أى إبقاء على الخيط مع ما تحمله الورقة - كما ذكرت آنفا - من تثبيط لآمال وتوقعات القاهرة.

وأتصور أن تعليق الشاه على الورقة يعنى أنه غير مقتنع بما اتخذ حتى الآن، وبالتالى لا يشجع استخدام إيران سواء كان الاقتراح ناشئا من زاهدى أو من كيسنجر، مادام الموقف الأمريكى مازال على حاله. وأتصور أنه يمكن لنا النظر فى استخدام التسهيلات المكانية التى عرضها زاهدى - أى منزله فى مونترو فى اجتماع مقبل بين حافظ إسماعيل وكيسنجر.

أما عن الورقة نفسها فالاحظ عليها:

١- تتضمن اعترافات أمريكية بأن موقفها متحيز لإسرائيل .

٢- وأنها تعرف أن موقفا عاديا علنيا من جانبها يرضى العرب، إنما تتذرع بأنه سيدفعها فورا للتراجع تحت الضغط الإسرائيلى وبذلك تبقى الأمور مجمدة.

٣- أن واشنطن تحملنا مسئولية تجمد الموقف الحالى حين نطلب أن تلتزم إسرائيل الآن بانسحاب كامل وهو ما لن تعطيه أى حكومة إسرائيلية فى هذه المرحلة.

٤- أن على مصر أن تقنع نفسها بأن الحل يجب أن يأتى عن طريق تجزئة المفاوضات مما يمكن من الوصول إلى نتائج عملية.

٥- وأن تقتنع مصر كذلك بأن أى انسحاب إسرائيلى - أيا كان مداه أفضل من الوضع المتجمد الحالى.

٦- أن ذلك يمكن أن يحول الجمود الحالى إلى سيولة قد يأتى معها ما يعاون على استمرار الحركة حتى تتوافر التسوية الشاملة.

٧- أن كل الضمانات هنا هى فى النيات الطيبة ثم حرص أمريكا على رعاية مصالحها.

٨- أن الولايات المتحدة تحث مصر على مرونة تكتيكية أكبر، وأنه مطلوب منها أن تضع مشروعا يتعذر على إسرائيل أن ترفضه. وبمعنى آخر، أن مصر هى التى يتعين عليها الآن أن تغير من موقفها وأن تتحرك وأن تقدم التنازلات التى يمكن أن ترضى إسرائيل.

وإذا كان كيسنجر قد شطب الجملة الأخيرة فإن ذلك لا يعنى أنه شطبها من التفكير والتخطيط الأمريكى ثم إنها موجودة بالفعل فى الجملة السابقة التى تنادى بمرونة تكتيكية أكثر من جانب مصر.

٩- كذلك يلاحظ على الورقة اعتراف أمريكا فيها بأن الحل الجزئى بما يتضمنه من بدء انسحاب القوات الإسرائيلية سيترتب عليه خسارة لمصر، لكن فى نظر أمريكا فهذه الخسارة أقل من الخسارة المترتبة على الجمود الحالى.

وفى ظنى أن هذا الاعتراف يؤكد شكوك مصر وخوفها من تجمد التسوية بعد الخطوة الأولى.

١٠- والحقيقة أن ما ورد فى الورقة عن «تجزئة المفاوضات» استوقفنى. حيث تساءلت إذا كان ذلك يحوى جديدا ويعنى أن نجزئ المفاوضات على مختلف المشاكل، لكن يتبين من الفقرات التالية أنها تتكلم عن حل جزئى يترتب عليه انسحاب ما، وهو أفضل بالنسبة لمصر - فى نظر أمريكا - عن الجمود الحالى، الأمر الذى يبين أن المقصود بتجزئة المفاوضات هو تحقيق تسوية جزئية فى ضوء الموقف الأمريكى والإسرائيلى المعروف.

فكان الموقف الأمريكى يعزز من اقتناع السادات بأنه لا مفر من العمل العسكرى.

وأذكر فى تلك الفترة أن الرئيس السادات قرر إيفاد الدكتور عزيز صدقى رئيس الوزراء إلى موسكو لطلب أسلحة سوفيتية جديدة متطورة، وكتبت مذكرة سلمتها إلى حافظ إسماعيل أنبه إلى ضرورة الحذر من أن يفهم السوفيت أننا نتراجع عن قرار إبعاد الخبراء السوفيت، وأن طلبنا السلاح لا يعنى أننا نطلب عودة المستشارين العسكريين.

والحقيقة أن قرار السادات بإيفاد عزيز صدقى لموسكو كان قرارا حكيما، فكان لابد من المحافظة على قدر من العلاقات القوية مع السوفيت، فالوضع العسكرى يستدعى ذلك، وكنا فى حاجة لأن يستمر تدفق الأسلحة السوفيتية على مصر فى الفترة المقبلة. كان واضحا أن الرئيس أنور السادات قد وصل تفكيره فى عام ١٩٧٢، إلى نقطة اللاعودة بالنسبة لضرورة القيام بعمل عسكرى.

تعيينى مستشارا صحفيا للرئيس السادات

وجاءنى السيد حافظ إسماعيل يبلغنى أن: الرئيس يريد تعيينك مستشارا صحفيا له فقلت له لا مانع عندى. وفى اليوم التالى وقبل حرب ١٩٧٣ بستة أشهر - كنا فى وداع الرئيس فى رحلة سفر، قلت له أنا تحت أمرك ياسيادة الرئيس. فقال حسنا. فلتبق مستعدا.

وبدأت عملى مستشارا صحفيا للرئيس. وأذكر أن الرئيس السادات طلب منى أكثر من مرة أن أقوم برحلة للخارج هدفها حسب تعبيره «عشان تربط مع الجهات المعنية اللى ها تنقل أخبار العمليات الحربية، لما يندلع الموقف».

والحقيقة أننى فكرت كثيرا فى طلب الرئيس، ووجدت أننا من ناحية حريصين على السرية التامة بشأن الحرب وتوقيتها، ومن ناحية أخرى فإننى لو سافرت للخارج وتكلمت لتكشفت خطتنا. وكنت على يقين بأن انفجار العمليات العسكرية هو الذى سيدفع وكالات الأنباء العالمية للتهافت على متابعة الاحداث.

لهذا تفاديت السفر للخارج، أو التحدث مع أى جهة إعلامية أو غير إعلامية فى هذا الموضوع، تاركا المعركة تتحدث عن نفسها عندما تقع، وهذا هو ما شرحته للرئيس السادات، ووافق هو عليه.

وفى أحد الاجتماعات فى تلك الآونة، قال الرئيس السادات، إننى أعدك لتحمل مسئوليات وزارة الإعلام، وشكرته على تفكيره، ولكننى أبديت اعتذارى وأننى ليس لدى مطمع فى هذا المنصب. وأننى أرجو عندما يحين الوقت وأنتهى من المهمة التى كلفنى بها، أن أعود إلى سابق عملى بالخارجية التى أمضيت بها السنوات الخمس والثلاثين السابقة.

وفى تلك الفترة فى يونيو ١٩٧٣ كان مجلس الأمن يناقش موضوع الانسحاب من الأراضى المحتلة، وكانت الولايات المتحدة قد هددت باستخدام الفيتو لو حاول باقى أعضاء المجلس، تمرير قرار بهذا المعنى.

فى هذا اليوم كان الرئيس قد توجه إلى جامعة القاهرة لإلقاء كلمة أمام طلاب الجامعة، وطلب الرئيس من حافظ إسماعيل أن نذهب للقائه فى استراحة القناطر لنبحث ماذا يكون عليه موقفنا.

وعقد الاجتماع وحضره حافظ إسماعيل، وإسماعيل فهمى وزير السياحة فى ذلك الوقت، وأنا، وسأل الرئيس عما يكون عليه موقفنا. وطرح فى الجلسة اقتراح بأن من الممكن تخفيف صيغة القرار لتفادى الفيتو، مادامت الولايات المتحدة هددت باستخدامه.

وقمت بشرح وجهة نظرى وقلت: مادمنا دعونا وألححنا على مختلف الدول: أفريقية وآسيوية وغيرها، أن تؤيد موقفنا الداعى للانسحاب التام بمقتضى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، فكيف يمكن لنا بعد ذلك أن نقبل نحن ما هو أقل من ذلك؟! وإذا فعلنا هذا فلن نستطيع بعد ذلك أن نطالب أى دولة بتأييد تصميمنا على الانسحاب الكامل.

ووافق الرئيس على هذا الرأى وأمر بإرسال تعليمات لمندوبنا بالأمم المتحدة، بالتصميم على صيغة القرار الذى ينص على الانسحاب الكامل. وهذا هو ما تم بالفعل، واستخدمت الولايات المتحدة الفيتو وسقط مشروع القرار.

وكان واضحا أن الولايات المتحدة متمسكة بأن يكون الانسحاب وفق ما يتم من مفاوضات بين أطراف النزاع أنفسهم، وليس بقرار من أية جهة خارجية حتى ولو كانت الأمم المتحدة.

وشرحت للرئيس وجهة نظرى بأنه لن يكون هناك تحرك أمريكى من أجل حل عادل، إلا إذا بللت رمال سيناء بدماء الإسرائيليين. وشعرت بأن هذا التعبير لقى استحسانا من الرئيس ولاحظت أنه استخدم هذا الوصف، فى خطبة له فى وقت لاحق أمام الاتحاد الاشتراكى.

وقلت للرئيس: إننى بكل أمانة أقول إن استمرارنا على الخط الذى نسير عليه، وفى ظل الأوضاع الدولية القائمة فليس لنا أن نتوقع أى تغيير فى الوضع القائم. فإسرائيل تشعر بزهو انتصارها فى حرب ١٩٦٧، وأصبحت تؤمن بأنها قوة لا تقهر فى المنطقة. وأن الولايات المتحدة عليها أن تزودها بالأسلحة الحديثة والمتطورة، ولا تفعل شيئا أكثر من ذلك. وإنما تتابع وهى مطمئنة سيطرة إسرائيل على الوضع فى المنطقة. ولا مفر من العمل العسكرى.

ورد الرئيس بأنه هو نفسه قد خرج بالفعل بهذه النتيجة. كذلك شرحت للرئيس أن مصر نجحت فى الجمعية العامة للأمم المتحدة، فى الدورة التى انتهت منذ أيام فى الحصول على قرار يعلن أن الانسحاب المنصوص عليه فى القرار ٢٤٢ يعنى الانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة.

استمرار موقف أمريكا كما كان أيام عبد الناصر

والحقيقة أن موقف الولايات المتحدة لم يتغير من أيام عبد الناصر، عنه بعد مجيء السادات، فى إصرارها على الوصول إلى سلام فى ظل الوضع القائم نتيجة لحرب ١٩٦٧، لقد ورث السادات الوضع عند وفاة عبد الناصر.

وأرسلت الولايات المتحدة وفدا رسميا أمريكيا للتعزية برئاسة جون ماكلوى الذى كان فيما مضى رئيسا للبنك الدولى، وكانت علاقته قد توطدت بالرئيس عبد الناصر، ورغم أن السادات كان قد أصيب بأزمة قلبية أثناء مراسم الجنازة، فإنه حرص على دعوة الوفد الأمريكى لمقابلته، وكان الوفد الوحيد الذى قابله.

ووجه السادات حديثه إلى أعضاء الوفد مبينا أنه يريد أن يفتح صفحة جديدة مع الولايات المتحدة، ولكن اتضح أن الولايات المتحدة لم تعط للأمر الأهمية التى كان يتعين عليها أن توليها إياه، لأنها كانت تنتظر حتى ترى مدى نجاح السادات فى جمع خيوط السلطة فى يده، حيث كانت التقارير التى تصلها من مختلف المصادر، توحى لها بأن مجموعة على صبرى هى التى ستسيطر على الأمور.

وظلت الولايات المتحدة تفسر تصريحات الرئيس السادات المتتالية عن التجائه للحرب، على أنها موجهة للداخل وللعالم العربى، أكثر منها تصريحات جدية.

وكان الملاحظ أن الموقف الأمريكى يتسم بالتصميم على أن يجلس العرب وإسرائيل على مائدة واحدة لحل المشكلات بينهما مباشرة. مع المحافظة على التفوق العسكرى لإسرائيل فى مواجهة الدول العربية مجتمعة، ولم تكن المباحثات الرباعية حول الشرق الأوسط بين إنجلترا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتى، وكذلك الثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى واشنطن، أكثر من شغل الساحة الدبلوماسية بالأخذ والرد دون نتيجة، واستمر الموقف على هذا الحال حتى بعد مجيء نيكسون إلى الحكم. وتولى هنرى كيسنجر فى البداية منصب مستشار الأمن القومى وقد جعل من قضية الشرق الأوسط، مجرد جزء من إجمالى المشاكل الثنائية مع الاتحاد السوفيتى. ولاحظت - أثناء وجودى فى واشنطن رئيسا لبعثة رعاية المصالح المصرية، اثناء فترة قطع العلاقات - أنه لم يكن مطلوبا من ويليام روجرز وزير

الخارجية ومساعده للشرق الأوسط جوزيف سيسكو، أكثر من الإبقاء على الوضع جامدا دون حركة، مع جعل العرب يشعرون من خلالهما ببعض التعاطف مع الجانب العربى. كانت الصورة فى واشنطن تؤكد أن الموقف الأمريكى ثابت على نظرته للموقف بين العرب وإسرائيل بانه قد تجمد على حاله نتيجة حرب ١٩٦٧ . وأن مصر لن تقدر على تغييره. وكنت حريصا على أن أنقل هذه الصورة إلى السادات كما هى.

وحدث أن كنت فى زيارة للقاهرة فى ديسمبر ١٩٧١، بناء على تعليمات من وزير الخارجية محمود رياض للتشاور حول الوضع المتأزم فى الشرق الأوسط، والتقيت مع حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى، وأبلغته برغبتى فى ترك واشنطن والعودة للقاهرة، وكانت قد جمعتنا علاقة طيبة وشعور متبادل بالمودة والاحترام، منذ عملت معه عن قرب حين كان وكيلا لوزارة الخارجية، وعرض على أن أعمل معه كمساعد لمستشار الأمن القومى، فرحبت بالعرض.

وطلبنى الرئيس أنور السادات أثناء هذه الزيارة لمقابلته، فذهبت للمقابلة بحضور حافظ إسماعيل، وسألنى الرئيس: كيف ترى الصورة من واقع عملك فى واشنطن؟

أجبت: إننى ألمس أن هنرى كيسنجر والولايات المتحدة يرون أن مصر جثة هامدة، ومادامت هذه الصورة تستحوذ على تفكيرهم وتقديرهم وخططهم، فإنهم ينتظرون أن ترغم مصر فى النهاية على توقيع اتفاق مع إسرائيل، بما يعنى الاستسلام. وذكرت له كيف أن كيسنجر لم يكن يخفى فى بعض أحاديثه أنه فى مثل هذه الأحوال فإن من خسر الحرب هو الذى يدفع الثمن.

الطريق إلى سيناء
والإعداد لخطة الحرب

بينما كنت أزاول عملى مستشارا صحفيا للرئيس السادات فقد كلفنى الرئيس فى صيف ١٩٧٣ بالذهاب إلى منطقة قناة السويس، ولكى أشهد بعينى الوضع على الأرض التى ستدور فيها المعارك. وتم ترتيب هذه الجولة. ووقفت على الضفة الغربية من القناة، وكان أمامى على الضفة الشرقية وعلى تبة عالية موقع إسرائيلى، يجلس فيه جندى إسرائيلى مستلق على

كرسى من كراسى البلاج، يطالع جريدة، ومدفعه الرشاش معلق على حافة الكرسى، بينما زميل له مشغول بالبحث فى الأرض عن شىء يبدو أنه سقط منه.

كانت صورة تبين مدى ثقة الإسرائيليين بأنه لا يوجد شىء يسبب لهم القلق أو الخوف. ومددت بصرى لأبعد من ذلك لأرى فى الأفق عددا من سيارات المرسيدس تشق طريقها إلى هذا الموقع. ورجح الضابط المصرى المرافق لنا، أن إسرائيل نظمت جولة لزوار أجانب، إلى ضفاف القناة حيث يرفرف علم إسرائيل.

وأعترف بأن المنظر كان مؤلما. فها هى أرض مصر على مرمى بصرى محتلة، والعدو يعطيك الانطباع بأنه لا يتوقع أى خطر يحدق به. وفارقت الموقع حزينا.

ووصلنا إلى مقر القيادة فى هذه المنطقة، وقابلنا قائدها اللواء سعد مأمون، الذى شرح لنا أشياء خففت من أحزانى، ومن بينها كيف أن الجيش المصرى حفر قناة فى محافظة الشرقية، لتكون نموذجا مشابها لقناة السويس، يتدرب الجنود على عبورها، والاستعداد لمواجهة كافة الأوضاع التى أقامها الإسرائيليون على الضفة الأخرى من القناة. وبدا لنا أننا بدأنا نأخذ الأمور بجدية وعمق، استعدادا ليوم المعركة.

كانت المعلومات التى أخذت تتوافر لدى الولايات المتحدة، توضح لها أن مصر تستعد للقيام بعمليات عسكرية، ضد إسرائيل، وكذلك توافرت نفس المعلومات لدى إسرائيل، لكن الأمريكيين والإسرائيليين اتفقت تحليلاتهم وتقديراتهم لهذه المعلومات على أن مصر لن تجرؤ على القيام بأى إجراء عسكرى. والحقيقة أن خطأ التقدير من الأمريكيين والإسرائيليين، كان عنصرا مهما مؤيدا ومساعدا لمصر، عندما نفذت خطتها للحرب.

وأذكر ونحن نقترب من موعد حرب أكتوبر، أن جاءنى مراسل مجلة تايم الأمريكية، وقال لى أعتقد أن السادات وصل إلى نهاية محاولاته المتعددة لدفع إسرائيل للانسحاب من الأراضى المحتلة، ولم يعد أمامه من سبيل سوى الجلوس مع الإسرائيليين وجها لوجه، وتنفيذ مطالبهم. ولأننا نعلم أن الحرب وشيكة، فقد التزمنا الحذر، وحرصنا على أن نتكتم أى شىء عن الحرب فى أحاديثنا مع الصحفيين الأجانب.

وحدث أثناء عودتنا من الجزائر مرافقين للرئيس السادات أثناء قمة عقدت قبيل الحرب، أن طلب منى غسان توينى صاحب جريدة النهار وهو صحفى لبنانى مرموق، وكان صديقا وزميل

دراسة معى فى جامعة هارفارد، أن أرتب لقاء له لإجراء حديث مع الرئيس السادات، وكنت ميالا لإتمام هذا الحديث، لكن الرئيس السادات أعتذر ولم يوضح السبب.

وقتئذ كان قد حضر إلى القاهرة الصحفى الأمريكى المعروف أرنودى بورجريف المراسل الدبلوماسى للنيوزويك، وطلب منى ترتيب لقاء له مع الرئيس السادات، وتحمست لطلبه، فالنيوزويك شأنها شأن التايم، تعتبر من أهم المجلات الأسبوعية فى تقديم معلومات وتحليلات عن المشاكل المهمة داخل أمريكا وخارجها، وتوزيعها واسع الانتشار فى العالم كله.

واصطحبت بورجريف فى لقائه بالرئيس، ووجه للرئيس السادات سؤالا عما ينوى أن يفعله. فرد الرئيس دون تردد سوف أحارب. وراح أرنو يكرر أمام الرئيس التقارير التى تتحدث عن أن الجيش المصرى لا يمكن أن يواجه القوة الرادعة لإسرائيل، وأن البلاد العربية مجتمعه ليست لديها إمكانات محاربة إسرائيل، فكان السادات مستمرا فى الرد بنفس النغمة فى كل ردوده على أسئلته بالقول إنه سيحارب، إلى أن انتهى اللقاء.

وقلت من جانبى للرئيس أمام بورجريف وبالإنجليزية، إن التصريحات التى يدلى بها الرئيس الآن تعنى الاتجاه إلى الحل العسكرى. وإن وسائل الإعلام فى العالم ستترجمه على أن مصر تتحكم فيها النزعة للحرب.

وقال الرئيس إن هذا هو ما ننوى أن نفعله بصريح العبارة، ودون مواراة وفى نهاية اللقاء ناقشت الرئيس فى مضمون حديثه، فقال لى خذ الحديث واذهب مع أرنو إلى هيكل، وأعرض عليه هذا الكلام، وإذا رأيتم إضافة شىء فأبلغونى.

وذهبت فعلا إلى السيد/ محمد حسنين هيكل، وجلس يقرأ نص الحديث، ثم قال لى: مادام الرئيس قال هذا الكلام فهو إذن يعنيه. فتساءل أرنو عن النتيجة التى يخرج بها من هذا الحديث. ورد عليه هيكل: هذا ما ذكره السادات ويتعين على أرنو أن ينقله إلى القراء كما هو.

بعد ذلك نشر الحديث، متضمنا تهديدا من جانب السادات بإشعال الموقف، وأنه قادر على مواجهة إسرائيل عسكريا. وأضاف أرنو من جانبه وجهة نظره التى قال فيها إن هذا لا يخرج عما تتفق عليه مراكز صناعة القرار فى الولايات المتحدة، من إنه يجب عدم أخذ كلام السادات بجدية.

وكانت عبارات بورجريف الملحقة بالحديث، تعكس ما يغلب على كافة تقارير المسئولين الأمريكيين من وصف مصر بأنها جثة هامدة، وليس فى إمكانها زحزحة إسرائيل عن موقفها بعمل عسكرى.

ونشر الحديث، وشعر السادات بعدم الارتياح له، لأنه كان يهمه أن يؤخذ كلامه بجدية. وحين قامت الحرب، وما حدث فى اليوم التالى من اختراق قواتنا مواقع العدو فى سيناء - فى ٧ أكتوبر ١٩٧٣ - وانكسار قوة الأمن الإسرائيلية، وسيطرة القوات المصرية على ضفتى القناة، وما ظهر من تلقين إسرائيل درسا ليس من السهل أن تتخلص من نتائجه، اتصل بى فى القاهرة أرنو دى بوجريف، وكان موجودا فى ليبيا، فقال لى إننى أطمع فى السماح لى بالذهاب إلى منطقة القناة، لأرى بعينى ما الذى قام به السادات.

ومن جانبى شعرت بأن هذه فرصة ذهبية، للكشف عن ضعف تقديرات المخابرات الغربية والإسرائيلية، التى قدرت أن السادات كان يمزح أو يغالى فى كلامه، ورددت على أرنو بأننى سوف أرتب له هذه الفرصة مع عدد كبير من الصحفيين والمعلقين، وأنه ينبغى أن يخرج بنتيجة يعترف فيها هو بنفسه، بأنه كان منساقا وراء الادعاءات الإسرائيلية غير الواقعية وذلك عندما يشهد بعينيه ما جرى على الجبهة.

وسألنى هيكل عن السبب الذى جعلنى أعطى تصريحا لأرنو بهذه الزيارة. وقلت له إن أرنو كان آخر صحفى غربى يقابل السادات قبل الحرب، ويهمنا أن يرى بنفسه أن السادات لم يكن يغالى، وأن مصر اليوم ليست مصر فى ١٩٦٧. ففى ١٩٦٧ كانت صورة الحرب تعكسها بيانات عسكرية ليس فيها شىء من الحقيقة.

ولقد اكتشف الأمريكيون بالفعل صدق بيانات مصر العسكرية فى ١٩٧٣، فلقد ظل المذيع الأمريكى المعروف والتر كرونكايت، يذيع فى شبكته التليفزيونية فى الأيام الأربعة الأولى من الحرب أنباء المعارك مستقاة من الجماعات اليهودية، وفى اليوم الخامس توقف عن هذا تماما، واعترف بأن إسرائيل غررت بالعالم وقدمت صورة غير صحيحة لسير المعارك، والادعاء بأنها تحرز تقدما كبيرا ضد القوات المصرية. وأنه يعترف الآن بأنه قد غُرر به، وبرجال الإعلام الأمريكيين، بينما كانت البيانات التى تذيعها مصر هى الحقيقة كاملة.

وقبل أن تبدأ العمليات العسكرية كان قد تم إعداد مشروع بيان، يتضمن إخطار الأمم المتحدة قبل ساعة الصفر بساعتين بأن إسرائيل تقوم بالعدوان، وذلك حتى نبرر لماذا قمنا بعد ذلك بساعتين بالعمليات العسكرية.

واقـتـرحت أن من الأفـضـل أن يكون إبلاغنا هذا للأمم المتـحـدة، فى نفس لحظة انطلاق طائراتنا عبر القناة. ثم نسأل الأمم المتحدة لماذا لا تردون علينا، فنحن نحاول الاتصال بكم خلال الساعتين السابقتين، لنبلغكم أن إسرائيل ضربت الزعفرانة، والسخنة، وحتى لا يكون البيان بصورته الأولى مبررا لاستصدار قرار ضدنا من مجلس الأمن.

وتمت صياغة البيان على هذه الصورة، وكانت تلك هى الصياغة التى نقلتها وكالات الأنباء العالمية، وأن إسرائيل هى التى بدأت الضرب، وأن مصر ترد عليها.

وحين نعود إلى الوثائق الرسمية الأمريكية أو الإسرائيلية عن حرب ١٩٧٣، نجد اعترافا كاملا بأن الموقف على أرض القتال فى الفترة الأولى من الحرب لم يكن لصالح إسرائيل على الإطلاق، لولا المساعدات العسكرية الأمريكية التى بدأت تتدفق عليها تعويضا لها عما فقدته فى الأيام الأولى من الحرب، بالإضافة إلى مدها بأسلحة متطورة تستخدم لأول مرة ولولا هذا، لكانت إسرائيل تواجه هزيمة منكرة.

أسرار إنقاذ أمريكا
لإسرائيل من الهزيمة

ولقد تكشفت كثير من الأسرار فى مؤتمر حضرته فى واشنطن فى أكتوبر ١٩٩٨، بمناسبة مرور ٢٥ عاما على حرب ١٩٧٣، دعا إليه مركز الشرق الأوسط فى واشنطن، وحضره كل من كان فى الحكم أو فى العمل الدبلوماسى من الأمريكيين فى أثناء حرب ١٩٧٣. وكان مفترضا أن يكون هنرى كيسنجر ضمن الحضور، لكن تعذر عليه ذلك، فحل محله جيمس شلزنجر وزير الدفاع.

واعترف سيمحا دينيتز السفير الإسرائيلى الأسبق أمام المؤتمر بأن جولدا مائير (رئيس الوزراء) طلبت أثناء الحرب فى رسالة سرية إلى نيكسون، استعدادها للتوجه سرا إلى الولايات المتحدة لتضع أمام نيكسون بنفسها ما وصل إليه الحال على أرض المعركة، ورجاءها أن يعوض إسرائيل عما فقدت من سلاح، فلم يبق لها سوى الاحتياطى.

وعندما عرض دينيتز هذا الطلب من جولدا مائير على كيسنجر، فإنه وبخه وقال له لا يمكن لجولدا مائير أن تترك إسرائيل فى هذه الظروف، وإلا اعتبر تصرفها استسلاما إسرائيليا فى الحرب.

وكشف المسئولون الأمريكيون السابقون ومنهم شلزنجر وزير الدفاع أمام المؤتمر، كيف أن نيكسون أمر بفتح مخازن الجيش الأمريكى، لتحصل منه إسرائيل على ما تحتاجه من أسلحة، وأن يتم نقلها إليها. وبدأت فعلا طائرات جالاكسى تحمل الأسلحة ومنها الدبابات من مخازن الجيش الأمريكى إلى إسرائيل. وكانت هذه القرارات يتم إبلاغها إلى أعضاء مجلس الأمن القومى بالبيت الأبيض. وكان كيسنجر يذكر أنها قرارات نيكسون وأنه مكلف بتنفيذها. حتى قرار مجلس الأمن – فيما بعد – بوقف القتال. فإن كيسنجر عطل القرار الخاص به إلى أن يضمن وصول القوات الإسرائيلية إلى نقاط تخدم إسرائيل فى المباحثات التى تمت فيما بعد تحت اسم فض الاشتباك.

وحسب مبدئه الأساسى فى حل المشاكل – وهو مبدأ توازن القوى – فقد كان كيسنجر حريصا فى الوقت ذاته، على ألا يحدث ما يخدش كرامة الجيش المصرى، وقد أظهر احترامه لشجاعة الرئيس السادات فى الذهاب إلى أبعد حد، باستخدام القوات المسلحة بالكفاءة التى حدثت فى حرب أكتوبر، وبهذا التوازن كان يريد أن يهيئ السبيل لحل القضية بإقامة سلام كامل بين مصر وإسرائيل.

وهنا نلاحظ التغيير فى موقف كيسنجر ما بين الفترة التى كان الموقف فيها ساكنا لا ينبئ بأنه مقبل على الاشتعال، فى ظل تصور بعدم قدرة مصر على الحرب، وبين الأيام الأولى من الحرب والتى جرى فيها القتال على أرض سيناء. وما بين قوله من خسر الحرب فليدفع الثمن، وبين إظهار احترامه لقدرة الجيش المصرى الذى حارب فى ١٩٧٣.

واذكر أننى اجتمعت بكيسنجر صباح يوم الخامس من يوليو ١٩٧٤ فى مكتبه بوزارة الخارجية فى واشنطن، وكنا نتحدث عن التطورات الكبيرة التى حدثت فى المنطقة. وذكر كيسنجر أنه كان ينوى عند توليه منصب وزير الخارجية، بذل جهد كبير ومكثف فى مشكلة الشرق الأوسط، لكن أى جهد لم يكن يقدر له النجاح دون حرب أكتوبر. ثم وافقنى كيسنجر على أن من أخطاء إسرائيل الكبرى هى عدم تقديرها للتطورات التى حدثت بالمنطقة بعد حرب ١٩٧٣.

ولقد اعترف كيسنجر فى مؤلفاته التى أصدرها بعد سنوات من انتهاء حرب أكتوبر، أنه كان أثناء المعارك، يطلب بنفسه من إسرائيل تركيز هجومها على مواقع معينة خلال وقف إطلاق النار، حتى يكون لديها ما تساوم به عندما تجرى المفاوضات (فك الاشتباك) فيما بعد، وأنه عندما حاولت إسرائيل أن تحتل أراض بأكثر مما ارتأته الولايات المتحدة، وبالذات عند الكيلو ١٠١، كان إنذاره لإسرائيل بألا تفعل هذا، لأنه حينما تتفق الدولتان العظميان على وضع، فلن يكون هناك مجال للتهرب من الالتزام به.

وفى تصورى أن كيسنجر كان قد وصل إلى اقتناع بأن صورة الموقف فى المنطقة قد تغيرت تماما، بعد استخدام مصر قواتها المسلحة بالكفاءة التى ظهرت بها، رغم ما أغدقته الولايات المتحدة على إسرائيل من سلاح متطور، وتعويض خسائرها، وبناء احتياطى أكبر، وبعد أن أظهر السادات استعداده للتفاهم المتبادل مع الولايات المتحدة من النقطة التى وصل إليها وأنه لو لم تتحرك الولايات المتحدة فى اتجاه السادات، لكان ممكنا أن تفقد ثقة العالم العربى برمته، ولما بقيت لها أى مصداقية فى العالم العربى، بما يضمن لها مصالحها فى المنطقة.

ثم إن الموقف كله قد تحرك إلى النقطة التى لم يكن كيسنجر يضع فيها المشكلة ضمن أولوياته إلا إذا اشتعلت. وهى قد اشتعلت بالفعل. وأفاق كيسنجر من حلم كان قد استسلم له، مقتنعا ومتأثرا بما كانت إسرائيل قد أوهمته به من أنها قادرة على منع أى تغيير بالأسلوب العسكرى فى الوضع القائم بعد حرب ١٩٦٧، وأن زمام الأمر فى يدها، وكل ما يلزمها هو السلاح، وسوف تتكفل هى بالباقى.

وها هو السادات الذى كان قد استقر فى التفكير الأمريكى، خطأ عدم أخذ كلامه بجدية، قد فرض على الجميع أن يتعاملوا معه بمنتهى الجدية، بعد أن أثبت أن مصر بإمكاناتها المحدودة من السلاح، قد استطاعت أن تتغلب على إسرائيل بتسليحها الأمريكى الضخم والمتطور، وأن تعبر القناة، وتهدم خط بارليف، وأن تدفع الجيش الإسرائيلى، إلى حافة هزيمة حقيقية، لولا أن الولايات المتحدة سارعت إلى إنقاذها، والسعى بكل قوتها وعتادها وإمكاناتها إلى أن تعدل الميزان لأن الولايات المتحدة - كما قال كيسنجر- لم تكن لتقبل أن تهزم إسرائيل وأن يهزم السلاح الأمريكى أمام السلاح الروسى.

الفصـــل الرابـــع

شهادتى للتاريخ على خطة السادات للحرب

أود هنا أن أدلى بشهادتى، فى مسألة تتعلق بحرب أكتوبر ١٩٧٣، التى أفاض البعض فى الحديث عنها، مصورا الرئيس السادات، وكأنه قد خرج عن إطار الخطة العسكرية للحرب، أو تراجع عن المضى فيها إلى أن تستكمل أهدافها، من ذلك التوقف عن الوصول إلى الممرات، أو تطوير الهجوم ببلوغه نقطة أبعد أو أقرب منها. حتى لقد بلغت تصورات بعض من كتبوا إلى حد اتهام السادات بالخيانة.

قبل بدء العمليات العسكرية بأسبوع دعا الرئيس السادات لاجتماع فى بيته بالجيزة، ضم مجموعة من كبار المسئولين فيما يعتبر مجلس الأمن القومى الموسع، وكنت أحد الذين شاركوا فى هذا الاجتماع.

وتكلم الرئيس السادات فقال إنه لم يعد فى الإمكان إقناع الولايات المتحدة أو إسرائيل، بالانسحاب من الأراضى العربية، فهما تعتبران مصر جثة هامدة لا حول لها ولا قوة.

ولابد لنا من القيام بعمليات عسكرية تحرك القضية، تكون بمثابة دقات إنذار تشعرهم بأن موقفنا جدى من تحرير الأرض، وأننا لن نقبل استمرار احتلال أراضينا. وقد دار الحديث بأن كان الرئيس يوجه إلى كل شخص حول المائدة السؤال بنفس الصيغة: ما رأيك؟

ودارت مناقشة تكلم فيها الحاضرون، فمثلا عرض وزير التموين لما هو متوافر من احتياطى من المواد الغذائية، وشرح وزير الاقتصاد الوضع الاقتصادى والمالى، وتكلم وزير الدفاع عن الموقف من الناحية العسكرية، وما هو متوافر لدينا من أسلحة سوفيتية.

وسأل الرئيس، وزير الدفاع المشير أحمد إسماعيل عن التعامل مع العدو فى عمقه، فقال لقد تعاملنا معه بوحدات كوماندوز، ونعرف عنه الكثير، لكن لا أستطيع القول إننا نعرف عنه كل شىء.

وكان من بين ما قاله الدكتور محمود فوزى أن اليابانيين يحاربون بسيفين أحدهما طويل والآخر قصير، فإذا وقع الكبير من يده، يستمر فى القتال بالسيف القصير، وكان يقصد بهذا التشبيه، أننا يجب أن نستمر فى قتالنا بما هو متوافر لنا من سلاح.

وأذكر أننى كان لى تدخلان فى هذه المناقشة التى دارت فى بيت الرئيس السادات، الأول ما أشرت إليه من أننا يجب أن نضع فى اعتبارنا أن هذه الحرب ستكون قصيرة المدى، إذ أن الدولتين العظميين لن تتركا الوضع يتفاقم بين الطرفين، وستعملان على حصرها فى حدود

معينة. وإذا ما قامت الحرب فإن الخط الذى سنصل إليه سيكون هو الخط الذى تبدأ عنده المفاوضات، سواء كان على حسابنا، أم على حساب العدو.

والتدخل الثانى، أبرزت فيه أنه إذا كان لى أن أختار، فإننى أقول إنه إذا تمكنت قواتنا المسلحة من التحرك إلى الأمام وتحرير أراض من احتلال إسرائيل، على أن تبدأ المفاوضات من الخط المتقدم الذى وصلت إليه قواتنا، وإذا ضمنا ذلك، فعلى بركة الله. لأننا عندئذ نكون قد حركنا القضية.

والملاحظ أن تعبير تحريك القضية كان النقطة الأساسية، التى طرح الرئيس على ضوئها الموضوع للمناقشة. وكان واضحا لى أن الكلام كله يركز على تحريك القضية، أى تغيير الوضع العسكرى القائم، ثم الدخول فى مباحثات فى مرحلة ما لاحقة.

والملاحظ أيضا أن الجميع اتفقوا أثناء هذه المناقشة على ضرورة العمل العسكرى واستخدام ما لدينا من قوة، ولم يختلف عن ذلك أحد منهم، لكن الملاحظ أيضا أنه لم يدر فى هذه الجلسة - على ما أذكر أى كلام عن تطوير الهجوم بعد الممرات، وإنما كان الكلام عن عمليات محدودة، نحرز فيها انتصارات عسكرية، تكسر الغطرسة الإسرائيلية، ونستعيد بها الكرامة الوطنية، ونثبت بها أن إسرائيل ليست الدولة التى لا تقهر، ونغير الصورة القائمة تماما فى المنطقة، وندعم بذلك الموقف المصرى فى المفاوضات التى لابد أن تجرى بعد توقف القتال. وأذكر أن الرئيس السادات كرر قوله إن علينا أن نثبت للأمريكيين والإسرائيليين أننا لسنا جثة هامدة، ولابد أن ننزل بالإسرائيليين «علقة»، وتكون علقة جامدة جدا توجعهم.

وهذا ما حدث بالفعل، فقد أثبت الجندى المصرى فى حرب ١٩٧٣ أنه قادر مهما طال الوقت، على تحرير بلاده، وأن ينزل بالجيش الإسرائيلى ضربات موجعة وهو ما اعترفت به إسرائيل، وأن الذى أنقذها هو السلاح الأمريكى الذى نقل مباشرة إلى أرض المعركة ابتداء من اليوم السابع للحرب، وهو ما اعترفت به أمريكا.

وإننى أنقل هنا ما كنت قد سجلته بخط يدى فى مفكرتى عن هذا الاجتماع:

فى ٣٠ /١٩٧٣/٩ عقد اجتماع مجلس الأمن القومى فى منزل الرئيس السادات بالجيزة ومن بين من حضره:

حسين الشافعى
محمود فوزى
عزيز صدقى
ممدوح سالم
عبد العزيز حجازى
سيد مرعى
الفريق احمد إسماعيل
حافظ إسماعيل
احمد ثابت
حافظ بدوى
عبد العزيز كامل
حافظ غانم
حسن التهامى
عبد القادر حاتم
اشرف غربال

---------- ودارت المناقشات على النحو التالى:

الرئيس:

وصلنا لمرحلة يتعين فيها مراجعة الموقف كله وهى مرحلة فريدة بالقياس بما فات منذ ٧٠٠٠ سنة، الموقف له ٣ جوانب:

دوليـــا
عربيا
داخليا

دوليـــا:

منذ بدايات ١٩٧٢، بعد تصريح روجرز بتدعيم إسرائيل وتفوقها بالمزيد من السلاح (بعد أن مرت سنة ١٩٧١ بدون حسم) ثم تصريح آخر بتصنيع عسكرى بإسرائيل.. الخ بالإضافة إلى حرب نفسية – ليس هناك من سبيل ممكن لتحدى إسرائيل وبالتالى التسليم بشروطها. وقد نبهت بذلك فى عامى ١٩٧٢ و١٩٧٣. وأننا فى موقف خطير. فى مطلع ١٩٧٣، بدأ أصدقاؤنا يأخذون لأنفسهم موقفا يرى أن القضية لن تتحرك، فلتحركها مصر بالمفاوضات وفتح قناة السويس.

غطوا بذلك على القضية الأساسية وهى احتلال الأرض وبذلك تتقلص القضية وتختزل فى فتح القناة عن طريق المفاوضات. ولذا عرضت قضية لبنان على مجلس الأمن وبناء على طلبنا جرت مناقشة قضية الشرق الأوسط. وكان الهدف وضع القضية أمام المجتمع الدولى وأن نضع الدول الكبرى أمام مسئوليتها.

وفى ١٩٧٣ حققنا انتصارات دبلوماسية لإعادة القضية إلى طريقها الأساسى. لكن الفيتو الأمريكى كان انتصارا لنا حيث إن ١٤ من ١٥ دولة وقفت معنا وعزلت أمريكا. قبل ذلك كان هناك اجتماع منظمة الوحدة الإفريقية حققنا فيه انتصارا وأمكن فى اجتماع المنظمة فى أديس أبابا أن تأخذ أفريقيا موقفا ممتازا. وظهر أثره بقطع بعض الدول الإفريقية علاقاتها مع إسرائيل أى قرارات المنظمة – ثم قرارات عملية انتهت بقطع بعض الدول الإفريقية علاقتها بإسرائيل.

وفى مؤتمر عدم الانحياز وبرغم مضى ست سنوات من الحرب النفسية علينا أمكن أن يتوافر تيار جارف ضد إسرائيل وأمريكا.

وفى ١٩٧٣ حققنا انتصارات طيبة مما يضعنا أمام العالم فى الصورة الواضحة – العالم يؤيدنا وأمريكا / إسرائيل معزولتان.

عربيا:

من الصيف الماضى وأنا أعمل فى جو محموم البعض يهاجم (أى بعض العرب). وقد عملت السنة الماضية لإيجاد أرضية عربية للعمل الحالى – يتعين أن يكون كل العرب معنا فى المعركة، لو على الأقل نفسيا وأدبيا يؤيدوننا.

وحينما أنظر إلى رأس محمد وأقيس المسافة بينها وبين أى مدينة فى الصعيد أجدها مثل المسافة من رأس محمد للمدينة المنورة. أى أننا كلنا مستهدفون فى العالم العربى.

وقد أمكن فى هذا الصيف أن يظهر أثر عملنا فى العالم العربى:

- توافر اقتناع بأن علينا أن نتقبل مسئوليتنا أولا.
- وحالة اللاسلم واللاحرب نتعاون للتخلص منها.
- السعودية اشترت لنا سلاحا وكذا الكويت.
- وفى الناحية المالية عندما نشأت متاعب السيولة أرسل لنا الملك فيصل وديعة بمبلغ ٢٥ مليون + بترول باعتبارها هدية.

- وفى الرحلة الأخيرة إلى السعودية وقطر وسوريا تكلمت فى موضوعات الطاقة ورأس المال باعتبارهما سلاحين أساسيين – معركتنا مع إسرائيل ليست معركة يوم أو أسبوع وليست وقف إطلاق النار إنما هى صراع أجيال – وربما لن نحضر نهايته إنما كل جيل يسلم الأمانة للجيل التالى.

وأمكن فى نهاية الصيف ظهور نتائج العمل العربى.

وفى إطار مؤتمر عدم الانحياز زرت الدول العربية جميعا وأكدنا ذلك كله. وأصبحت تتوافر أرضية عربية مشتركة.

الموقف الداخلى:

حالة اللاسلم واللاحرب وراء كل المتاعب – خدمات محلية – اقتصادنا مستنزف كما نستنزف عسكريا. الجنون فى الأسعار العالمية – جهد عسكرى يستنزف مواردنا دون العمل فى التنمية.

بدأ كل ذلك ينعكس على أمور أساسية تؤثر على الشعب واستدعى ذلك أن نواجهه بالحقيقة دون مداراة.

موقف القوتين العظميين:

بعد اجتماع نيكسون، بريجينيف فى موسكو فى صيف ١٩٧٢، صار الموقف فى الشرق الأوسط مجمدا وينتظر الحل السلمى. وهذا معناه سيطرة الأمر الواقع – إسرائيل تمرح فى الأرض العربية تبنى المستعمرات وتفصل ما بيننا وبين غزة أى فلسطين القديمة.

تجميد القضية معناه بقاء إسرائيل فى الأرض بجانب الاستنزاف وهذا يؤدى إلى انفجار داخلى فيما بيننا.

أمريكا موقفها معروف

أما أهداف الاتحاد السوفيتى فهى أن القضية تجمد لا تتحرك وتنتظر حلا سلميا.

ما تعرضه أمريكا هو الفتات، وفتح قناة السويس وانسحاب جزئى وأن تعمر لنا مدن القناة وبس.

هذا لا يعنى أن الاتحاد السوفيتى تخلى عن قضيتنا إنما يقف معنا فى قضيتنا - لم يعمل فيتو على إرسال السلاح - إنما يقدم ويؤخر حسب كيفه كى يكون فى يده دائما الخيوط أو مفتاح الحركة والسكوت. ننتهى من ذلك إلى:

دوليا:

استطعنا أن نجهز الساحة الدولية.

عربيا:

أمكن أن نلم شمل الساحة العربية. وأعلنت فى ٢٣ يوليه أننا مستعدون لأن نعطى أى شىء أولوية على حساب المعركة . ولابد أن نرتفع فوق كل الصراعات. الملك حسين أرسل عبد المنعم الرفاعى وأرسلت حسن صبرى. عقدنا الاجتماع الثلاثى واقتربت العلاقات على أساس أن المعركة فوق كل اعتبار. لا أقول إن الساحة العربية أعطت كلا أو جزءا مما عندها، إنما هى أسلم وأحسن من أى وقت مضى سواء قبل أو بعد معركة ١٩٦٧ .

قواتنا المسلحة:

اعتبارا من بداية هذا العام فى أوائل ١٩٧٣ والقائد العام يعد القوات المسلحة حتى قبل أن يسافر إلى موسكو فى فبراير. ولما جاءت الأسلحة (بعد زيارة حافظ لأمريكا) لم نضيع لحظة واحدة فى الإعداد الجاد المركز (الكلام الماشى فى البلد).

عملت مشروع استراتيجى ومعدات العبور تتحرك لعل الكل شاعر أن العملية جدية للمعركة - بدون دعاية أو إعلان أو صراخ - ربما هذا عامل الأثر - رجال القوات المسلحة من الشعب ويذهبون لأهلهم.

وصلنا للمرحلة وعلينا أن نختار وأن نقرر فيها:

ويهمنى أن أسمع الآراء فى هذا.
هذه الفترة من أخطر الفترات مسئولية.
وعلينا أن نختار ضمائرنا والتاريخ لن يرحم أحدا.

حافظ بدوى:

الناس كلها حاسة بكل ما حصل ومستريحين ونحس أن العرب مقبلين علينا. إنما نلاحظ شيئا بالنسبة لإخواننا الليبيين بالأمس مثلا - الجمعية التأسيسة - كان موجود فيها عبد السلام جلود وتهجم على السعودية والكويت.

هل من الممكن إيقاف ذلك؟

الرئيس:

خليهم فى خطهم ونحن فى خطنا.

لا داعى أن تأخذنا أشياء جانبية عن المعركة.

د. عبد العزيز كامل:

بعض الاستفسارات

قضية أولى - استقرار الحياة اليومية للمواطن العادى وأن نوفر التموين.

الفروق التى تتحملها الدولة

أسأل نفسى - هل حددنا الحد الأقصى الذى لا نتعداه ونصارح الشعب.

مدى استعدادنا العسكرى:

مع كل الضغوط الاقتصادية وتحمل الدولة لهذا.

الرئيس:

تكلمت عن استنزافنا الاقتصادى ولابد لنا من موقف. واعتبر أن ذلك (الاقتصاد) يأتى فى الدرجة الثانية بعد القرار الذى نحن بصدده الآن.

بقاؤنا ووجودنا اليوم فى الميزان قبل التموين وعلينا أن نقرر:

إذا قبلنا بما يقولونه تجمد القضية. ويصبح شاغلنا موضوع التموين. قبل هذه لابد وأن نقرر وجودنا.

د. كامل:

تموين سلاح يحتاجه أحمد إسماعيل

الرئيس:

أحمد إسماعيل وثابت لهما كلمة بالتوازى وليس بالترتيب.

ممدوح سالم:

المسألة السياسية لم تنته حتى ولو كان قرارنا بالتحرك العسكرى.

القضاء على حالة القلق الداخلية ليست مرتبطة مباشرة بالتحرك العسكرى. وأن لها إمكانيات علاج.

قواتنا المسلحة وصلت إلى قمة الاستعداد - إسرئيل تتطور وتصنع أسلحتها.

المهم بحث الموقف من هذه الناحية

حصلنا على رأى عام وأرضية دولية - تمكننا بعد استئناف شرح القضية فى المجال الدولى من الاستناد إلى تأييد دولى.

ظهر نتيجة التحرك العربى أن العرب لأول مرة يتحركون ويظهر أثر عملية الطاقة.

تقييم موقف أمريكا وروسيا.

الاثنان يجمعان على عدم التحرك. وأمريكا بدأت تلوح باستعمال الأسلوب العسكرى أو استخدام الدول المستوردة للبترول مصلحتها أصبحت مهددة.

نتيجة للوفاق وتخاذل الاتحاد السوفيتى علينا أن ننظر كيف نضغط على الاثنين. وقد اقترحت إيجاد جبهة من اليابان وغرب أوروبا.

أوروبا وقفت مع اليابان التى تعتمد على العرب بتروليا وتقف من أمريكا موقف لا يستدعى استخدام القوة ضدنا.

لابد من استمرار عملنا السياسى بطريقة مكثفة وأن نوسع دائرة التعامل مع العرب ولا نحصرها فى شبه الجزيرة العربية.

يتعين الضغط على الاتحاد السوفيتى لتغيير موقفه ووجوده فى البحر الأبيض.

مديونيتنا

النواحى الثقافية

حتمية العمل العسكرى واجبة
تضحيات الشعب واجبة ونستجيب له رغم كل حساباتنا .
هناك روح ومناخ مهيأ للمساندة القوية للعمل العسكرى.

حافظ غانم

تحديد الموقف العربى - فهو الأساس بالنسبة للأمة العربية. وكذا بالنسبة لكل دول العالم.
لا يوجد حل عسكرى لأى مشكلة.

الصراع العسكرى مقدمة - أسلوب للتوصل إلى حل سياسى.

بدليل القضية الفلسطينية نفسها كلها كيف نصل إلى هدفنا وهو إزالة آثار العدوان.

العمل السياسى

تحدث عنه الرئيس.
يجب أن يستمر فى الفترة القادمة لأن استمراره فى الماضى جاء بنتيجة طيبة
القرار ٢٤٢ غير واضح.
هل ردنا على يارنج أم أن المبادرة المصرية هى تفسير مصر النهائى للقرار.
ما هى ضمانات السلام فقط يذكر أنها غامضة؟
ما معنى الاعتراف بالوجود الإسرائيلى؟

أى لابد وأن يكون هناك موقف مصرى كامل المعالم لابد من عنصر عسكرى - يجب أن تخرج القوات المسلحة سليمة أمر ضرورى لمصر وللعالم العربى.

لابد سندخل المعركة ويمكن إسرائيل تبدأها إنما لابد وأن تخرج قواتنا سليمة.

سعينا قبل دخول قواتنا المسلحة العسكرية مثله مثل سعينا للدخول إلى حل سياسى.

بالنسبة للتموين لابد وأن نكفل لكل شخص الحد الأدنى.

حسن التهامى: التأييد الدولى هذا لا يفيد عند المعركة.

أوافق على استمرار التحرك السياسى - الموقف فى الشرق الأوسط - الزمن فى صالحنا برغم كل الاعتبارات.

يجب أن نستمر فى كل الجهود لضمان نتائج المعركة وليس للتأهيل للمعركة.

المجهود العربى لم يصل إلى نتيجته - قلوب العرب لا تكفى.

يجب الا ننفرد بمعركة مع إسرائيل وأخذ اللوم.

مسئولية المعركة يجب الا تكون مسئولية مصرية إسرائيلية إنما عربية جماعية.

من صاحب القضية. مصر تضحى والعرب يتفرجون - العرب ملتزمون أو مستعدون أن يلتزموا ستة أشهر أخرى بما يحولها من تعاطف إلى التزام.

الجهد العربى يجب أن يكون مزيدا من المشاركة والالتزام بحصة معينة محددة.

موقفنا الجماعى لا يتحمل مزيدا من التضحيات الاقتصادية هناك دول عربية غنية تريد أن تساهم إنما تريد أن تعرف كيف. ستة أشهر لتوفير التزام جماعى عربى.

فى المؤتمر الإسلامى أخذنا قرارا بمسئولية العالم الإسلامى عن استعادة فلسطين كلها بما فيها القدس.

هذه المسئولية الشكلية يمكن أن تتحول إلى مسئولية عملية. ولو أنها مسألة وقت. موقف مصر الاقتصادى أسوأ موقف بين الدول العربية فيما عدا السودان.

الانفتاح الاقتصادى على الدول العربية الغنية يجب أن يتضاعف بجانب الجهد الشخصى لمصر. مصر لا يجب أن تتورط فى حرب مع إسرائيل قبل التسوية الاقتصادية فى مصر، قبل أن نوفر للمواطن لقمة العيش - إذا جاع لم يعد نفس الشخص.

عزيز صدقى: ليس هناك تعارض بين كل ما قيل. سؤال محدد طرحته.

علينا أن نختار:

الوضع الحالى - حالة اللاسلم واللاحرب. السلم بذلنا فيه جميع الجهود وأتحدث عن العمل الدولى كلية فيما عدا إسرائيل وأمريكا.

لو كان هو المؤثر كانت القضية حلت. ليس معنى هذا أن هذا ليس رصيد لنا فى الحل.

لماذا التأييد الدولى غير كاف.

ما الذى يجعل إسرائيل لا تتحرك رغم كل القرارات الدولية التى صوتت معنا. لا تصل إلى حالة الحرب على إسرائيل. وصلنا إلى أقصى ما يمكن - من التأييد إلا من أمريكا/ إسرائيل

صاحبة المصلحة فى العدوان. التأييد العالمى لا يوصلنا إلى الحل إلا بقبول الحل الذى توخيناه.

تأييد أمريكا لإسرائيل مبنى على مصلحة كان هدف أمريكا القضاء على النظام القائم فى مصر ولما لم يحقق عدوان ١٩٦٧هدفه، كانت حالة اللاحرب واللاسلم.

بدون أن نتحرك عسكريا لن نصل إلى الحل السلمى الذى لابد أن نصل إليه فى النهاية الآن اصبحنا أمام حائط مسدود - العالم يؤيدنا - وعرضنا كل شىء وإسرائيل ترفضه.

موقف الاتحاد السوفيتى: علاقات مصالح - مصلحته أن تبقى المشكلة هادئة حتى يحقق ما يصبو إليه فى عملية الوفاق.

فى كل هذا ما هى مصلحتنا.

المستهدف الأساسى من اللا سلم واللا حرب هو إحداث الأثر فى الناحية الداخلية - الناحية الاقتصادية متأثرة بالناحية العسكرية.

حسن التهامى: شعبنا إذا أحس أن هناك معركة حقيقية مستعد أن يضحى.

السؤال إذا كان ما فيش حرب لماذا نصرف كل هذا؟

العامل الثانى عنصر الوقت إذا طال - أعتقد أنه سيصعب على الجبهة الداخلية أن تصمد. على الأقل الروح الانهزامية ستزيد.

ما هى مصلحتنا إذن - ماذا تقرر كما سألت. العالم من مصلحته ألا يحصل شىء لا إسرائيل ولا أمريكا ولا الاتحاد السوفيتى ولا العرب الآخرون.

كيف نجعل الآخرين يرون أن مصلحتهم ستضر طول ما نحن فى حالتنا ووقف إطلاق النار لن يتحرك أحد.

الكلام عن الطاقة .. الخ. هل يستخدم البترول أو عائداته كسلاح.
العائدات لن تؤثر.
البترول سلاح مؤثر.

إذا حصل حرب واتمنع البترول عن بعض الدول إذن مصالحهم أصبحت فى مواجهة وبالتالى سيتحركون. ما هو نوع التحرك الغسكرى؟

يجب ألا يحصل فى ١٩٦٧ حرب الاستنزاف أقلقت أمريكا. نوع من التحرك عملية خرق وقف إطلاق النار أمر ضرورى.

داخليا الناس قلقة

أو بدأت تيأس

لا أدخل فى نوع العمل العسكرى

يجب أن نأخذ قرار خرق وقف إطلاق النار الذى يقع اليوم والعدوان بالغارات على سوريا. على الأقل تبين أننا لن نقف مكتوفى الأيدى إذا نجحنا فى ذلك تحرك الدول من واقع مصالحها.

أحمد إسماعيل: حل سياسى بدون دعم عسكرى لن يؤدى إلى أى شىء.

تحرير الأرض بالكامل إمكانياتنا الحالية غير ميسورة.

نحن وسوريا نعمل سويا ولو قامت عمليات يمكن أن نضغط عليهم من وجهة النظر العسكرية الوقت فى غير صالحنا.

إسرائيل تصنع السلاح.

روسيا تعطينا ببطء بالقطارة. أسلحتنا تتآكل تصبح obsolete الجيش تأثرت معنوياته بعد ٦ سنين فى القناة.

ينظر إلى المعركة على أنها طويلة شرسة – سنتحمل خسائر كثيرة وكذا العدو. ستكون فى حدود إمكانياتنا.

عزيز صدقى: عملية الاستنزاف غير ممكن أن تسود فى الظروف الحالية مثل ما كانت فى ١٩٦٩. ستضرب لنا ضربة قاسية. أى ضربة منا ستضربنا ضربة عنيفة - إنما لو ضربنا ضربة قوية تعادلنا لا نقلل من قدر العدوان نعطيه أكثر مما يستحق - ممدوح قال إننا وصلنا إلى قمة الاستعداد هذه كلمة خطيرة ولا أى قائد يصل إلى قمة الاستعداد – حافظ غانم قال ضرورى خروج القوات سليمة غير مضمون – احتمال ضرب العمق جائز من الناحيتين سنحاول أن نحد فى المعركة ولا ندخل بجميع قواتنا فى المعركة.

أسلحتنا من الشرق وبعض معدات تكميلية من الغرب.

أحمد ثابت:

توقيت المعركة - شكلها كيف.

أتكلم بخلاف الموقف التمويني - لن يكون مثل الحال في ١٩٦٧ إلى الآن لا من ناحية العنف ولا المدة. خسائرنا ستكون أكبر من ١٩٦٧ الآن انعكاسه على الناحية الداخلية سنتحمله في أول أيام المعركة - سيؤثر ذلك على الشعب - إجراءات وقائية تتخذها الدول لامتصاص ذلك.

تعاقدنا على ٣٥٠ ألف طن قمح بسعر ٢٣٥ دولار - لا أريد أن أجسم الموقف التمويني هذا الألم - الموقف التمويني في الشهور الماضية كان أشد من الموقف العسكري.

من المهم ألا تبدأ المعركة إلا ومخزوننا على الأقل لمدة ٣ أشهر.

المحصول من القمح ٤٥٠ - ٥٠٠ ألف طن وما ورد من حيازات حتى الآن ١٩٠ ألف طن.

القصور في العلف - في الذرة دفع الفلاح لأخذ القمح والأرز لتسمين المواشي والدواجن.

وتكلم أشرف غربال حيث بين أن حربنا التي سنخوضها في كثير من النواحي حرب جديدة. وقف إطلاق النار جعلها ذلك.

الحرب الجديدة:

محدودة في الوقت - المكان.

لن يسمح لها بالتوسع زمنا أو تجمعا.

عسكريا لابد أن نأخذ ذلك في الحسبان

سياسيا لابد أن نأخذ في الحسبان

عسكريا للوصول إلى أكثر ما يمكن قبل أن نتوقف.

سياسيا يجب أن نعرف أننا نعرف حقيقة أخرى.

بعض التسويات السياسية في عالم اليوم تقوم على أساس الأمر الواقع القائم. ويرتبط بتوقيت المعركة انتخابات إسرائيل.

الوضع وصل إلى حد أن أرض سينا لابد وأن تغرق بدم إسرائيل عجرفتها وتحديها وطول ذراعها - الواقع يفرض نفسه أكثر من المنطق.

التأييد الدولى متوفر لموقفنا.
الوضع العربى مازلنا فى أول الطريق المهم تأييد أكبر.
مساعدة فى المخزون التموينى.
وبترول يلعب دوره.

لمهم عدم وصوله إلى المستهلك كما قلت فى اجتماع سابق لمجلس الوزراء التأميم لن يجدى مـا يهم أمـريكا وغـرب أوروبا واليابان أن يصل تحت أى اسم مـا يـهـمش أن يكون عـربى أو أمـريكى أو إنجليـزى إنما ده كـلام مـالوش قـيـمـة - إنما يصل لو مـا وصـلش هذا هو بيت القصيد.

د. فـوزى: فى ١٩٥٦ فإن تدخل أمريكا لم يكن تضييق من حجم إنجلترا أو فرنسا للولايات المتحدة إنما لتمنع عودة الاثنين للشرق الأوسط من جديد بعد أن نجحت فى إخراجـهم لقد كانت هى وراء خروجهم منها بالفعل. فى الشـهور القادمة علينا واجب غرفة عمليات لكل قسم من نواحى النشـاط اقتصـاد - بترول - تموين .. الخ وأنا متفائل ومستبشر لأننا أقوى مما نشعر.

الحوار لم يوضح حتى الآن مدى ما يطلب من العرب وهو غير بارز كفاية.

لم يبرز بالشكل الكافى ناحيتان متقاربتان - ما عاناه اليهود من غير البلاد العربية من تعذيب وتنكيل - التدليل الذى تمتع به اليهود فى البلاد العربية.

أحمد إسماعيل: إسرائيل حاسة الآن أن قواتنا المسلحة بدأت تستعيد قوتها - وقد تبدأ هى العمليات ولا تنتظر. وفى هذه الحالة تأخذ المبادرة وتحاول كسب جزء من المعركة.

لابد وأن نقـوم بعـمليـات بتـوقيت مفـاجئ ولا تتـوقف. قـال حـافظ بعض نواحـى نمـوذجيـة معلومات عن العدو هذا كله سليم.

سأقوم بعملنا فى حدود إمكانياتنا وطاقتنا لن نتمكن من الاستيلاء على سيناء ولن نقوم بحرب استنزاف.

لابد وأن نتوقع أننا سنضرب جامد ونضرب جامد.
فى تقديرنا وحساباتنا مقدرين العدو ايه شكله ومقدرين أهدافه.
تكبيد العدو خسائر كبيرة.

لو كان عندنا طائرات استطلاع بعيدة لحصلنا على المعلومات - رجال استكشاف أكفاء يعرفوا داخل سيناء لتقييم الوضع.

الرئيس: هناك عدة اعتبارات لازمه للتوضيح.

في هذه النقاط لخصنا الموقف.

بعد قرارات صيف ١٩٧٢ - لا يمكن التفكير في حلقات إلا بربطها كلها.

جمعت حافظ ومحمد صادق وسيد مرعي قلت إن قرارات الصيف لا قيمة لها لو غيرنا الموقف في نوفمبر.

ذهب صادق وقال أنا جاهز في نوفمبر وتبين لي في أكتوبر أنه لا شئ جاهز.

كنت باني التقدير من موقف السكون الذي نحن فيه.

لن تقدم أمريكا ولا روسيا أي شيء إلا ما يوازيه الموقف الجامد.

روكفلر تلقى رسالة من كيسنجر بها نفس الكلام الذي قاله حافظ.

القضية تتحرك بخطوة أولى نحو فتح القناة.

وهو يتصور أنه يخدمني خدمة جليلة إزاء الجثة الهامدة - ويستغرب أنني لا اقبلها.

مشكلتنا اليوم أننا في موقف دفاعي بحت. ولا نتحرك منه حتى لإثبات أننا على قيد الحياة.

إنجلترا تقول ليس هناك إمكان في حل أحسن.

روسيا كذلك تعتبر أنه ليس هناك فائدة.

سياسة إسرائيل تقوم على أن لها قوة لا يمكن لأحد أن يتحداها في المنطقة إلى أن يصل العرب إلى القناعة بأنهم لتغيير ذلك سيذهبون إلى أن يسألوا إسرائيل عن طلباتها. نحن في مرحلة خطورة - دخلنا منطقة الخطر - أي استمرار في الوضع الذي نحن فيه - الموت المحقق دون أن تطلق إسرائيل طلقة.

عندما ذكرت في البداية أن ما نواجهه اليوم أخطر ما واجهناه خلال ٧٠٠٠ سنة أو سنواجهه في المستقبل. المسألة هل نحن نقبل إسرائيل كقوة لا يمكن تحديها. ممكن حل مشاكل التموين - نقول لروكفلر افتح لنا حساب بـ٣٠٠ مليون دولار كل شيء إنما نعترف أن إسرائيل قوة لا يستهان بها وليس لدينا ما نواجهه بها في المنطقة.

توجيه للقوات المسلحة هل يمكن أن نكسر القوات الإسرائيلية.

هل قابلون التحدى والا لأ – لو نحن قابلين فإن على قواتنا أن تكسر التحدى.

لازم نقول لشعبنا أولا ثم للناس نحن شعب لم يمت.

اقتصاديا مرهقين – لا يمكن أن أضمن سنة ثانية بخلاف ما يتراكم فقد زدنا ٤ ملايين.

رأس المال العربى هذه سياسة طويلة المدى وفى ستة أشهر لن يقلب الوضع.

ولو لم تكن المعركة لكان هناك .Take off

إنما صمدنا وأعطينا القوات المسلحة ٧٠٠ مليون جنيه فى السنة تصرف من لحمنا ودمنا وليس من الكونجرس أو اليهود فى العالم مثلما تحصل إسرائيل.

عن أمريكا: حافظ عاوز جولة أخرى.

وكيسنجر يريد الاجتماع به. هو افترض أننى ميت جثة بلا حراك.
قال أن فيتنام أخذت ٤ سنوات – يعنى نأخذ عشر سنوات.
روجرز قال لجروميكو فى يونيو ١٩٧٢ إن إسرائيل لازم تجنى ثمار انتصارها.
ممكن تكلم الأمريكان إنما من موقف قوات كاسرة ووقف إطلاق النار أو قابل التحدى.

فوزى: مركزنا التفاوضى مع الاحترام تحت الصفر لازم نعمله فوق الصفر.

أشرف: لو كان لى أن أختار كيف أصل إلى خط جديد فى عمق سيناء المفاوضات أو المعركة لاخترت المعركة.

من هذا الخط الجديد الذى أصل إليه عسكريا يمكننى أن أصل إلى خط آخر عن طريق التفاوض.

إنما أن أصل إلى خط أصل عن طريق التفاوض هذا هو آخر ما سيصل إليه لن يكون ميسورا. الوصول إلى خط أبعد عسكريا بعد ذلك – لن يتركونا وستوضع الشروط اللازمة فى الاتفاق السياسى للحيلولة دون ذلك.

تحريك القضية كان أساس
خطة العمليات العسكرية

والملاحظ بالنسبة لتحريك القضية، أن الرئيس السادات، فى الوقت الذى كانت فيه القوات المصرية قد نجحت فى عبور القناة، واجتياز خط بارليف وحررت أراض من يد القوات الإسرائيلية، فإنه بدأ وقتها فى قبول مناقشة مع وزرائه حول وقف إطلاق النار، وكان الموقف الذى وصلت إليه الأوضاع على أرض المعركة، حافزا لهنرى كيسنجر لأن يتحرك لوقف القتال، بعد أن وجد وفق مفهومه لتوازن القوى، كحل للمشاكل، أن الوضع العسكرى يعطى لكل طرف من الطرفين أرضية تفاوضية، لا تصل إلى درجة انتصار جانب وهزيمة جانب آخر. وطوال تقدم القوات المصرية على أرض المعركة كان السادات حريصا على استمرار توافر غطاء جوى.

ولهذا فإننى شعرت بأن توجيه أى اتهام للسادات بالخيانة، أو حتى التقاعس، هو أمر بعيد عن الحقيقة، ولا ينسجم مع ما وصلت إليه الأوضاع من الناحيتين السياسية والعسكرية، ولا مع مفهوم خطة وهدف العمليات العسكرية من البداية.

وأذكر أننى بعد عودتى إلى واشنطن فى ديسمبر ١٩٧٣ - إثر قرار السادات تعيينى سفيرا فى واشنطن وعودة العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة - أننى ذهبت لمقابلة جيمس شلزنجر وزير الدفاع - وكنت أعرفه منذ أيام الدراسة فى جامعة هارفارد - فوجدته يبادرنى فور دخولى مكتبه بالإعراب عن احترامه وتحيته للقدرات العسكرية المصرية فى حرب ١٩٧٣. وقلت له أننى أتعجب من عودة الولايات المتحدة لسياستها التى تغدق فيها على إسرائيل السلاح المتطور منه، وسألته: لماذا تكرر الولايات المتحدة نفس السياسات الخاطئة؟ والتى ستصل بإسرائيل يوما ما للإقدام على ما لا يتلاءم مع مصالح الولايات المتحدة. ولا يحظى بموافقتها، وذلك بعد أن تكون إسرائيل قد تسلحت بما هو فوق درجة التشبع .

وأجابنى شلزنجر بقوله إن الإسرائيليين قد وعوا تماما درس حرب ١٩٧٣، إنهم لا يستطيعون أن يتجاهلوا رأى الولايات المتحدة، بعد كل ما فعلته لهم فى هذه الحرب.

فى هذا اللقاء لمست صراحة من شلزنجر لم أعرفها عنه من قبل. وكان مضمون كلامه هو بالتحديد: أن الموقف تغير تماما منذ أكتوبر ١٩٧٣، وأن إسرائيل تعلم عن يقين أنها لا تستطيع

الاعتماد على قوتها الذاتية عسكريا واقتصاديا، بعكس ما كانت تصوره لها غطرستها فى الفترة من ١٩٦٧-١٩٧٣، بينما هى الآن اكتشفت أنها مضطرة للاعتماد بالكامل على الولايات المتحدة. وقال إن إسرائيل تعرف بوضوح أن الولايات المتحدة تنظر إلى مصالحها القومية أولا، وأنها لن تجر إلى مواجهات للدفاع عن أراض تحتلها إسرائيل. أو حتى خارج أراضى إسرائيل ذاتها. وقال إن التغيير فى السياسة الأمريكية قد حدث أثناء حرب أكتوبر، وإن السياسة الجديدة بدأت عندما منعت أمريكا إسرائيل من تنفيذ خطتها بالنسبة للجيش الثالث. كما أن إسرائيل تعلم أن الرأى العام الأمريكى والصحافة، وإلى حد ما الكونجرس، قد تغيرت نظراتهم إلى المشكلة.

وقال شلزنجر فى هذا اللقاء (فى ١١ يناير ١٩٧٤) إن أمريكا كانت تؤيد أمن إسرائيل وليس توسعها. وفى أكتوبر ١٩٧٣ حاولنا وقف القتال بعد أن اكتشفنا أن العرب تخلصوا من عقدة الشعور بالهزيمة فى ١٩٦٧، ووجدنا أن إسرائيل أوشكت على نفاد الإمدادات العسكرية وهو أمر يهدد وجودها. فالمسألة لم تعد مشكلة الأرض المحتلة وتحريرها، بل وجود إسرائيل ذاته الذى أصبح فى الميزان. وهو الدرس الأول الذى خرجت به إسرائيل من هذه الحرب.

أما الدرس الثانى فهو أن توريد أمريكا للأسلحة إلى إسرائيل أثناء الحرب، أثبت خطأ وهم إسرائيل بأنها قادرة على الاعتماد على نفسها، وأن اعتمادها بالكامل على أمريكا، وبالتالى انهيار نظرية الاعتماد الذاتى الإسرائيلى.

والدرس الثالث هو ما أظهرته القوات المسلحة المصرية والسورية من قدرة على القتال، الأمر الذى هدم نظرية أن إسرائيل لا تهزم.

نفس الرأى سمعته من هنرى كيسنجر أثناء اجتماعى معه بمكتبه بوزارة الخارجية فى ديسمبر ١٩٧٣، إذ قال أن إسرائيل كانت تتصور قبل السادس من أكتوبر أنها تستطيع أن تقوم بعمليات عسكرية وتحقق فيها انتصارا، ثم تستعوض ما فقدته فى الحال. لكن اتضح لها بعد ٦ أكتوبر أنها لا تستطيع ذلك بل يتعين عليها أن تعتمد باستمرار على تدفق المساعدات الأمريكية طوال فترة العمليات منذ لحظة بدئها.

وردا على سؤال حول المساعدات العسكرية التى تتدفق الآن على إسرائيل، قال أن موشى ديان شكا له من عدم كفايتها، وإنه - أى كيسنجر ذكر له أن الوضع يقتضى من إسرائيل مواجهة الموقف بكل حقائقه.

وإننى أرى – حسب تقديرى للأمور – أن مثل تلك الاتهامات للسادات فيها كثير من التجنى عليه، فالسادات – فى نظرى على الأقل – بطل وطنى من الدرجة الأولى. جرىء فى قراره العسكرى، حكيم فى نظرته السياسية. ولنا أن نتأمل نقلته السياسية من الاتحاد السوفيتى إلى الولايات المتحدة، وتوقيتها فالتحرك نحو أمريكا جاء فى توقيته – وقبل تفكك الاتحاد السوفيتى – ليظهر للولايات المتحدة صحة ما كانت تؤكده مصر من انها لا تسعى إلا إلى استعادة حقوقها، وإقامة علاقة طبيعية ودية مع الولايات المتحدة. وكان السادات حكيما فى الإبقاء على الاتصال بكيسنجر، والذى كان قد بدأ بزيارة حافظ إسماعيل لواشنطن، إلى ان كانت الحرب، والأداء العسكرى المتفوق لقواتنا المسلحة، الذى كان رسالة واضحة لنيكسون وكيسنجر، بأن أمن إسرائيل لا يضمنه التفوق العسكرى ولا يوفره احتلال الأرض، واعترف كيسنجر وقتها، بأنه لم يوفق فى قراءة الخطوات التى كان السادات يتخذها فى الفترة السابقة لحرب ١٩٧٣، بما فيها إبعاده الخبراء السوفيت، والتى كانت شواهد على تغيير جذرى تجاه الدولتين الكبيرتين، وفى التوقيت الذى يناسب السادات. وإنه لم يتوقع أن يكون جادا فى كلامه عن أنه سوف يحارب، وأن توجه إلى إسرائيل ضربة عسكرية موجعة، تغير الموقف تماما فى المنطقة. وتفرض التغيير على الدبلوماسية الأمريكية.

وعندما زرت إسرائيل منذ ثمانية أعوام اعترف عيزرا وايزمان رئيس إسرائيل فى ذلك الوقت بأننا تركنا لهم عينا زرقاء، أى تركنا أثر الضربة على وجوههم بمعنى اننا سددنا لهم ضربة موجعة تركت أثرها.

هذا هو ما حدث. أما حديث البعض عن أن السادات حرم القوات المصرية من الوصول إلى المضايق، أو تطوير القتال، فهو كلام يمت إلى النظريات أكثر مما يمت لواقع الأمور. وأن من يتابع وقائع الحرب، ومسار الأحداث الدولية بعد ذلك، لابد وأن يحنى رأسه لأنور السادات، الذى حقق هذا الإنجاز العظيم فى ١٩٧٣، وما ترتب عليه من نتائج.

والواضح أن ما سارت إليه الأمور على أرض المعركة قد فتح أبواب التخاطب المباشر بين الرئيس السادات وهنرى كيسنجر. واستفادة من اللقاءين السابقين قبل الحرب فى نيويورك وباريس بين حافظ إسماعيل وكيسنجر، وهو ما كانت تستدعيه التطورات وقت حرب ١٩٧٣، دعا الرئيس السادات كيسنجر لزيارة القاهرة، الذى حضر فى أول لقاء بين الرجلين.

وقد ذكر كيسنجر فى أول كتاب يصدر له بعد حرب ١٩٧٣، أنه استراح نفسيا وهو يهبط من سلم الطائرة، ليجد فى انتظاره حافظ إسماعيل وأشرف غربال. فهما شخصان أعرفهما وسبق أن جرت مناقشات بينى وبينهما. وأنه شعر عندئذ بأن السحب سوف تنقشع.

واصطحبنا كيسنجر إلى قصر الضيافة الذى نزل به، على أساس أن الرئيس سوف يستقبله فى اليوم التالى. وقد رافق كيسنجر فى هذه الزيارة وفد من المتخصصين فى الشرق الأوسط من الخارجية والبيت الأبيض. وعقد اجتماع منفرد أولا بين الرئيس السادات وكيسنجر، وكان الرئيس قد طلب أن توضع فى غرفة الاجتماع خريطة للوضع فى منطقة العمليات العسكرية.

وبعد مرور ثلاث ساعات طلب الرئيس حضور إسماعيل فهمى، وطلب كيسنجر مساعد وزير الخارجية جوزيف سيسكو، لإبلاغهما من قبل الاثنين بما تم الاتفاق عليه.

وخرج كيسنجر من الاجتماع ليجتمع مع أعضاء وفده، بينما استدعانا الرئيس السادات – إسماعيل فهمى، وحافظ إسماعيل وأنا، ليبلغنا بما جرى، وبأنه قد تم الاتفاق على استئناف العلاقات الدبلوماسية فى وقت لاحق.

وفى الحال لاحظنا التغير الواضح فى النغمة الرسمية الأمريكية أو الشعبية – تلفزيونيا وإعلاميا – فى التحدث عن مصر. والتى تعبر عن احترام لشعب ضحى ليسترد أرضه وكرامته، كما تغيرت تماما صورة السادات فى نظرهم.

وبدأت وفود من أعضاء الكونجرس شيوخا ونوابا تأتى لزيارة مصر، للوقوف على ما غاب عنهم من حقائق طوال سنوات التباعد. وأذكر أن المشير أحمد إسماعيل كان قد دعانى للاشتراك معه فى الترحيب بوفد من أعضاء لجنه الشئون العسكرية بمجلس الشيوخ، وقد رتب لهم - بتوجيه من الرئيس السادات - زيارة للجبهة. وكانوا مهتمين بان يسألوا عن هذا السلاح الذى استخدمته مصر والذى نفذ فى صلب الدبابات الأمريكية التى حاربت بها إسرائيل، ولا يخفون إعجابهم بقدرة مصر العسكرية فى حرب أكتوبر.

أصبحنا بعد حرب ١٩٧٣ نواجه عالما مختلفا جذريا فى نظرته لمصر. وهذا قد ساعد كثيرا فى تلقيها المساعدات الاقتصادية، ثم العسكرية، وتوطدت العلاقة، وكان واضحا أن الولايات المتحدة تنظر إلى مصر على أنها حجر الزاوية فى بنيان علاقاتها بالمنطقة، وقد تعزز ذلك بإعادة العلاقات فى مارس ١٩٧٤، لكن مع ذلك بقى فى ذهن الأمريكيين ما ترسب على طول السنين، من تكثيف الحملات الدعائية الصهيونية على الرأى العام الأمريكى.

وأذكر واقعة حدثت للرئيس السادات مع ديفيد روكفلر قبل وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، فقبل الحرب بشهر واحد – فى سبتمبر – زار القاهرة ديفيد روكفلر بطائرته الخاصة، بعد أن

ارسل لى برقية بموعد وصوله والمدة التى سيقضيها فى مصر، وكان قبلها فى المغرب والجزائر. وروكفلر كان وقتها رئيسا لبنك تشيز مانهاتن وهو من الشخصيات الأمريكية ذات العلاقات الواسعة والمؤثرة فى بلاده، وكان الرئيس السادات معتادا استقباله كلما جاء إلى القاهرة.

استقبلت روكفلر فى المطار، وتوجهنا إلى الفندق الذى ينزل به. وتركته ليستريح لبعض الوقت، ثم عدت إليه لنستقل طائرة هليكوبتر من مطار القاهرة، متوجهين إلى برج العرب لمقابلة الرئيس السادات. وكانت المقابلة ودية للغاية وأثناء الحديث سأل السادات روكفلر، لماذا لا يفتح فرعا فى مصر لبنك تشيز مانهاتن؟ ورد عليه روكفلر بأن الرئيس يعرف أن هذا ما يتمناه. فضحك الرئيس وقال ولم لا؟ إذا كان تشيز مانهاتن افتتح فرعا بميدان كارل ماركس فى موسكو، فما الذى يمنع من افتتاح فرع له بالقاهرة؟ وردا على سؤال من روكفلر عن الأحوال فى المنطقة قال السادات ليس أمامى سوى الحرب.

وفى نهاية اللقاء أثار روكفلر ثانية موضوع البنك، واستفهم من الرئيس هل يريد منه بدء إجراءاته فى هذا الاتجاه؟ فسكت الرئيس ثوانى. ثم قال سوف أرسل لك وأبلغك. وغادرنا روكفلر إلى بلاده.

وجاء روكفلر لزيارة القاهرة فى أكتوبر والتقى بالرئيس السادات، الذى قال لروكفلر فى مداعبة، عندما زرتنى قبل الحرب كنت على وشك أن أضعك فى السجن، فظهر الانزعاج على روكفلر وسأل ولماذا؟ قال السادات تذكر وأنا أحدثك عن أننى سأحارب، كدت أقول لك تستطيع أن تبدأ إجراءات افتتاح فرع للبنك بعد حرب أكتوبر. ولو كانت هذه الكلمة جرت على لسانى، ما تركتك تخرج، ولم يكن أمامى سوى احتجازك هنا.

بعدها توترت علاقة الرئيس مع روكفلر وغضب عليه عندما ابلغته بعض الشخصيات العربية أن روكفلر تكلم بطريقة سلبية عن الاقتصاد المصرى. ورفض الرئيس أكثر من مرة أن يستقبله. وحاولت إقناع الرئيس بمقابلته وبمواجهته بما سمع. وهو ما حدث فعلا. ونفى روكفلر بشدة صدور هذا الكلام عنه. وأكد صداقته للرئيس ولمصر. وزالت سحابة سوء التفاهم. وعادت المياه إلى مجاريها بينهما.

وصايا العمل فى أمريكا
بعد اختيارى سفيرا فى واشنطن

فى أواخر ١٩٧٣ طلبنى الرئيس السادات تليفونيا وكنت مسئولا عن الإعلام وذهبت للقائه. فقال لى إننى أنوى إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة، وأريد لهذه المهمة شخصا يكون على معرفة بالحياة السياسية فى الولايات المتحدة، وأوضاعها، وله اتصالات قوية مع مختلف الجهات. أى أننى أريد شخصا لا يضيع وقتا فى التعرف على ما حوله، شخصا معه مفتاح، يفتح به الباب ويدخل ويبدأ عمله فورا. ولهذا اخترتك أنت.

ظللت ثانيتين أستوعب كلامه. فقال لى: أنت معايا والا رحت فين؟

قلت: هذا شرف لى ياسيادة الرئيس. وانتهت المقابلة.

وفى نوفمبر من نفس العام ذهبت لمقابلة الرئيس للحصول على توجيهاته قبل سفرى إلى واشنطن، فسألنى ماذا ترى بالنسبة لكيفية أن نكون مؤثرين فى الولايات المتحدة على ضوء كل ما حدث؟ أجبته بقولى: سيادة الرئيس، فى رأيى أن هناك أربعة محاور ينبغى الاهتمام بها فى تحركنا تجاه الولايات المتحدة هى:

أولا: لابد أن تزور الولايات المتحدة بشكل منتظم، على الأقل مرة فى العام. وأن تتحدث مع الصحافة ووسائل الإعلام الأمريكية حتى يتعرف الأمريكيون عليك أكثر. وألا تقتصر زيارتك على واشنطن ونيويورك، بل لابد أن تطوف بمختلف الولايات المهمة، وتذهب إلى الجنوب وإلى الغرب.

ثانيا: إن عددا كبيرا من أعضاء الكونجرس (الشيوخ والنواب) سوف يأتون إلى مصر لمقابلتك، وأرى أن تقابل كلا منهم، ولو على انفراد لو أن بعضهم حضر فرادى ؛ فمن المهم أن يتعرفوا عن قرب على شخصك. وأن كل واحد منهم يرى فى نفسه الرئيس المقبل للولايات المتحدة. بل يشعر فى بعض الأحيان أنه أقوى من الرئيس. لأن تصويته يمكن أن يؤدى إلى نجاح أو فشل سياسة الرئيس.

ثالثا: أرى أن تهتم كثيرا بالصحافة والإعلام الأمريكيين لأنهما يشكلان الرأى العام ويؤثران فيه. وإذا كسبت الرأى العام، أمكنك أن تحصل على ما تريد من الولايات المتحدة.

رابعا: فى زياراتك للولايات المتحدة من المهم أن تقابل القيادات اليهودية الأمريكية، فما يسمعونه منك سوف يبلغونه لإسرائيل. وما تسمعه منهم إنما يعبر عن رأى إسرائيل. أى أنهم عبارة عن عنصر تمهيد للتفاوض لاحقا مع إسرائيل. وإذا اقنعتهم بوجهة نظرك، فقد يكونون الخطوة الأولى نحو إقناع إسرائيل بها، بل إنك بذلك تكون قد ساعدت رئيس الولايات المتحدة على اتخاذ بعض القرارات المهمة التى يحتاج أن تصدر من الكونجرس بالنسبة لمصر.

والحقيقة أن الرئيس السادات تقبل هذه الخطى وسار عليها، وكان تأثيره ضخما على التفكير الأمريكى، لدرجة أننى كنت فى بعض الأحيان أقول إن أنور السادات بأسلوبه هذا يمثل «لوبى» قوى لمصر فى الولايات المتحدة. وقد سار الرئيس حسنى مبارك من بعده على نفسى النهج، واكتسب صداقات قوية للغاية فى الكونجرس، وفى الإعلام الأمريكيين.

ولقد وجدت بالممارسة أننى وزملائى فى سفارتنا بواشنطن، نتجه بعملنا بدرجات متفاوتة لتقوية اتصالاتنا بأعضاء الكونجرس شيوخا ونوابا، وكذلك بوسائل الإعلام الأمريكية وكنت حريصا على مقابلة الصحفيين والكتاب، والوجود فى مراكز البحوث think tanks وشجعت زملائى على القيام بنفس الشىء. ولم تكن السفارة بمختلف أعضائها تتأخر عن تلبية أية دعوات توجه إليها، لإلقاء محاضرات، أو الاشتراك فى مناقشات.

الفصل الخامس

أمريكا الأخرى تستقبل سفير مصر بعد انتصارنا فى ١٩٧٣

كان وصولى وزوجتى إلى واشنطن فى ٦ ديسمبر ١٩٧٣ لأتسلم مهام منصبى سفيرا لمصر، وهو بالمصادفة يوم عيد زواجنا. وكنت عائدا تملؤنى ثقة كبيرة بالنفس، أشعر بشموخ وكأننى عملاق رغم صغر حجمى، وزاد من شعورى حرارة الاستقبال الذى لقيته فى المطار من زملاء وأصدقاء أمريكيين، وسمعتهم يبدون تقديرهم واحترامهم للقدرة العسكرية التى أظهرتها القوات المسلحة المصرية فى حرب ١٩٧٣، وقولهم إن ما فعلته مصر كان دينا وواجبا عليها، وخيرا فعلت.

فلقد عدت لأجد مناخا سياسيا مختلفا، عن المناخ الذى صنعه اقتناع الولايات المتحدة، بما أقنعتها به إسرائيل بأن من الأصلح أن تترك لإسرائيل مهمة تأديب العرب وهى قادرة على ذلك، لو أنهم حاولوا تغيير الوضع العسكرى القائم فى المنطقة. وهو المناخ الذى لم يتغير إلا بعد أن أثبتت مصر فى ١٩٧٣ أن إسرائيل ليست القوة التى يمكنها فرض إرادتها على المنطقة، وهى حقيقة اعترف بها هنرى كيسنجر فيما بعد أثناء لقاء له مع جولدا مائير فى إسرائيل وهى تناقشه فيما يمكن لإسرائيل أن تقبله، أو لا تقبله، وكان رده عليها أن نتيجة الحرب هى التى تقرر، وليست إسرائيل.

عدت إلى واشنطن هذه المرة ممثلا لمصر التى استطاعت أن تسقط مقولة أن من خسر الحرب عليه دفع الثمن. وبعد أن لقنت إسرائيل درسا قاسيا وكبدتها خسائر أفقدتها توازنها.

وفى تعاملنا مع الأمريكيين على مختلف المستويات الرسمية وغير الرسمية لمسنا تغييرا هائلا فى نظرتهم لنا، وأصبحوا أكثر ميلا لسماعنا، بعكس ما كان يحدث فى الماضى من إعراض عن سماع ما نقوله.

وصار كيسنجر والرئيس نيكسون يعكسان روحا جديدة بالنسبة للعلاقات بين البلدين.

انتظرت موعد تقديم أوراق اعتمادى للرئيس نيكسون، وكما هو معتاد فإن رئيس الدولة – أى دولة – يستقبل رؤساء البعثات الدبلوماسية الجدد فى مجموعات، عند تقديم أوراق اعتمادهم. لكننى أبلغت من الخارجية والبيت الأبيض أن الرئيس نيكسون سوف يستقبلنى فى هذا اليوم بمفردى. وكان هذا تصرفا له مغزاه، يعكس الروح الجديدة التى بدأت تنظر بها الولايات المتحدة إلى مصر، والرغبة فى توطيد العلاقات معها.

واستقبلنى الرئيس نيكسون فى مكتبه البيضاوى بترحيب وحرارة واضحين معربا عن اغتباطه باختيارى سفيرا لمصر. وقال إنه سمع من الرئيس السادات ما يدل على قربى منه، وتمتعى بثقته، وتطرق بحديثه إلى حرب أكتوبر، وقال أنه يعرف أننى كنت المستشار الإعلامى للرئيس فى فترة الحرب، وأنه كان يتابع ما يصدر من بيانات لاحظ فيها أننا نتوخى أمانة العرض فى تبيان الحقيقة عن خسائرنا وخسائر إسرائيل، وأنه يقدر عدم تعرض هذه البيانات للولايات المتحدة بطريقة سلبية، وهذا يعكس روحا إيجابية بالنسبة لما نطمع فيه جميعا من تحسن العلاقات بين البلدين.

جرى ذلك أمام مندوبى وكالات الأنباء العالمية وشبكات التليفزيون، التى تعلنه على شاشاتها فى وقت الغروب، ثم قامت الصحف بتغطيته فى اليوم التالى.

ووجدت إقبالا طيبا من وسائل الإعلام، فقد استقبلت صحيفة واشنطن بوست وصولى بمقال بعنوان: (عودة الخبير بالشئون الأمريكية)، ونشرت النيويورك تايمز موضوعا مشابها، ودعتنى محطة تليفزيون NBC للتحدث فى برنامج Face the Nation.

وجدت من المهم أن استثمر هذا المناخ والروح الجديدة فى بناء العلاقات على قاعدة صلبة وتطلعات للمستقبل. وفى أول لقاء لى فى واشنطن بعد عودتى مع هنرى كيسنجر، قال لى أرجو أن تبلغ الرئيس السادات أن يكون اتصالى به عن طريق شخص واحد حتى لا يحدث تضارب فى تفسير ما يجرى فى هذه الاتصالات، ففى الوقت الحالى، يتصل بى اثنان هما حافظ إسماعيل، وإسماعيل فهمى، وإننى أفضل أن يكون الاتصال بين الرئيس وبينى مركزا فى شخص واحد منهما.

قلت له إننى أفضل أن تتحدث فى هذا الموضوع مع الرئيس مباشرة، وأنت ذاهب قريبا فى زيارة للقاهرة، والفرصة متاحة لك بوفرة، والأمر متروك للرئيس ليتخذ القرار الذى يراه.

لم تكن الاتفاقات التى تم التوصل إليها مع إسرائيل من خلال جهد كيسنجر بعد حرب ١٩٧٣تمضى فى سهولة ويسر، بل كان التعنت الإسرائيلى يشكل سحابة ثقيلة على الثقة التى كان يفترض أن تتحقق نتيجة هذه الاتفاقات.

وفى شهر ديسمبر ١٩٧٣ قابلت كيسنجر وحضر اللقاء بوزارة الخارجية جوزيف سيسكو ومايكل ستيرنر، وقال إنه يتوقع أن تتحرك الأمور بصورة ملموسة عندما ينعقد مؤتمر السلام فى جنيف .

وأبلغته أن الرئيس السادات يرى أهمية وضرورة تحقيق المرحلة الأولى من فصل القوات قبل مؤتمر جنيف حتى يكون ذلك تمهيدا جيدا للمؤتمر، يقلل من مخاطر أى انفجار محتمل نتيجة تعنت إسرائيل وركزت على تساؤلات الرئيس حول موقف الولايات المتحدة من تعنت إسرائيل.

وحرصت على أن أبين لكيسنجر أنه هو نفسه صاحب اقتراح فصل القوات، كما أنه هو الذى أعلن فى مؤتمر صحفى فى آخر أكتوبر ١٩٧٣، أن إسرائيل احتلت بالفعل مناطق إضافية بعد يوم ٢٢ أكتوبر. وهذا يعنى أنه يعرف أين تقع هذه الخطوط، وهو ما جعل الرئيس السادات يتساءل: هل كانت هناك عملية استدراج من جانب أمريكا؟

ورد كيسنجر بأنه لم يخدعنا أبدا – وأنه ملتزم بكل ما قاله للرئيس السادات فى القاهرة. وقال إنه لا يستبعد أن نكون قد سمعنا من جهات كثيرة أن الأمريكيين يغررون بكم، ولكنه متأكد من أن الثقة المتبادلة بيننا ستتطور إلى صداقة مفيدة للطرفين.

وكان ردى عليه أننى سأنقل كلامه إلى القاهرة ولكن يجب أن يقدر أننى سبق أن سمعت كلاما مماثلا من ويليام روجرز فى عام ١٩٧١ . وبالتالى فإن المعيار لدى القاهرة فى النظر للأشياء هو اتفاق الأفعال مع الأقوال. بعد ذلك بيومين التقيت مع كول سفير الهند فى واشنطن وذكر لى أنه اجتمع عدة مرات مع كيسنجر فى الفترة الأخيرة واستمع منه إلى تحليله الذى يرى أن وجود القوات المصرية والإسرائيلية، كل خلف الآخر تترتب عليه ثلاثة احتمالات:

- إما أن تتقدم إسرائيل نحو القاهرة أو تتقدم قوات مصر إلى تل أبيب.
- أن تظل المواجهة بينهما على ما هى عليه.
- أو أن يتم انسحاب إسرائيلى مدروس فى نطاق مؤتمر السلام، وهذا يوفر تقدما نحو السلام وهو الاحتمال الأفضل.

وقال لى كول إن كيسنجر أضاف أنه واقع تحت ضغط شديد من مصر.

وأن مشكلتها أنها تحول أى فكرة من كيسنجر إلى اقتراح ثم إلى مشروع، ثم تطالبه بالتنفيذ وبسرعة. وأنه يحتاج وقتا لتأمين خطواته داخليا.

ولكن كول رد عليه بأن مصر صبرت ست سنوات، ونصحه بألا تسمح واشنطن بالعودة إلى تجميد الأوضاع، ودلل على هذا بما فعلته الهند بعد حربها مع باكستان، بانسحابها بعد ٦ أشهر من وجودها فيها، مما وفر للطرفين جوا مواتيا للسلام.

وكنت قد جمعت حصيلة لقاءاتى واتصالاتى مع الشخصيات الأمريكية العديدة لأحدد من خلالها صورة للموقف الأمريكى فى الأيام الأخيرة من ديسمبر ١٩٧٣ أى بعد نحو شهرين من وصولى إلى واشنطن، وضمنتها برقية إلى القاهرة قلت فيها:

«يريد كيسنجر أن يحتفظ فى يده بجميع الأوراق، وأن يتمتع بثقة الجانبين فى نفس الوقت، حتى يمكن لمؤتمر جنيف عند انعقاده أن يخطو خطواته الأولى، وأن يحقق بعض النتائج التى ترضى الجميع. وأن إسرائيل من ناحيتها تعطيه حتى الآن الإمكانات اللازمة لمواصلة جهوده، وتستمر فى المقابل فى الحصول على المساعدات العسكرية، ويلاحظ أن كيسنجر يبقى نظرته بصفة مستمرة على الوضع العسكرى فى المنطقة. وهو لا يرحب بأى تغيير فى الوقت الحالى، حتى يبدأ فى تنفيذ برنامجه بناء على توازن مختلف العناصر، وبالتالى فهو يعرف أن أى تغيير عسكرى مفاجئ، حتى ولو كان فى صالح إسرائيل، ستترتب عليه مضاعفات بالنسبة للولايات المتحدة وأوربا واليابان فيما يتعلق بالبترول».

فى نفس الوقت من شهر ديسمبر ١٩٧٣، كان كيسنجر يمارس ضغوطا من جانبه حتى يوافق مجلس الشيوخ على مشروع المساعدات العسكرية الإسرائيلى، قبل انعقاد مؤتمر السلام فى جنيف حتى يوفر له إمكانية المساومة مع إسرائيل.

وقد اجتمعت فى تلك الأيام مع السناتور ويليام فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الذى كان من رأيه أن يتعطل المشروع فى مجلس الشيوخ، على أساس أن أسلوب رشوة إسرائيل قد ثبت عدم نجاحه، وأعرب عن استيائه لموافقة مجلس النواب على المشروع فى اليوم السابق، وأرجعه إلى ما أسماه العادة التى سار عليها أعضاء الكونجرس فى السنوات الأخيرة بالموافقة على أى شىء لإسرائيل، دون أن يكيفوا مواقفهم مع تغير الأوضاع.

كانت لقاءاتى مع المسئولين الأمريكيين تتم فى مناخ مختلف تماما عما كان يحدث وأنا رئيس لبعثة رعاية المصالح أثناء قطع العلاقات، عندما كنت أذهب إلى السفير السوفيتى أناتولى دوبرنين لأجلس معه، لأقف على ما لديه من معلومات بالنسبة لنا لدى الأمريكيين، فقد

اختلفت طبيعة زياراتى لدوبرنين بعد استئناف العلاقات فى ١٩٧٣، حيث صار كلامنا مباشرا مع الأمريكيين دون وسيط، لكن بقيت العلاقة الشخصية مع دوبرنين تتسم بالزمالة والاحترام. ووجدت أن الاتصال بنجوم الفن المشاهير له عائد إعلامى كبير، لأن مقابلتى لأحدهم تحاط باهتمام إعلامى من الصحافة بالموضوع وبصورة المقابلة. وحدث أثناء لقاء لى مع فرانك سيناترا أن أبدى ترحيبه بالحضور إلى مصر، وإقامة حفل يغنى فيه تحت سفح الهرم، وهو ما أقمناه فعلا فى عام ١٩٨٠.

وقد رتبنا حضوره بطائرة خاصة من لندن، بينما جاء بقية أفراد فرقته بالطائرة من الولايات المتحدة، وغنى هو فى حفل كبير تحت سفح الهرم، شهده الرئيس السادات.

وخصص دخل الحفل لجمعية الوفاء والأمل، وبلغ نصف مليون دولار، بعد استقطاع النفقات. وكان للحفل تأثير دعائى هائل. والحقيقة أن فترة عملى فى واشنطن أثناء قطع العلاقات من ١٩٦٨– ١٩٧٢، قد أفادتنى كثيرا، بعد عودتى إلى واشنطن فى نهاية عام ١٩٧٣، فى وضع خطة عملى وتنفيذها فى الولايات المتحدة. والتحرك فى اتجاه كافة الجهات والمراكز المؤثرة على السياسة الأمريكية، وطرق مختلف الأبواب بما فى ذلك الإعلام، حيث لم أترك صحيفة إلا وسعيت للتعرف على رؤساء تحريرها المختصين بالشرق الأوسط، وكنت ألمس ترحيبا بالغا منهم، ويحدث لقاء وأتحدث فيه وينتهى الأمر عادة بنشره. وبدأت تتفتح أبواب المساعدات الاقتصادية والغذائية والعسكرية.

وأذكر فى مجال طرق أبواب المساعدات، لقاء تم بينى وبين الجنرال هوارد فيش وكان زوجا لسكرتيرتى التى ورثتها عن سلفى السفير مصطفى كامل، وسألته كيف ومتى نتوقع أن تأتى لنا مساعدات عسكرية من الولايات المتحدة؟

ونصح بأن نبدأ بطلب المعدات غير القتالية مثل طائرات النقل، التى يمكن أن نشتريها بالتقسيط، ثم تتحول الأمور فى مرحلة لاحقة إلى معونة، وبعدها نتدرج إلى طلب أسلحة قتالية خفيفة وهكذا.

فى هذا الوقت كان الرئيس نيكسون قد دخل وسط دوامة فضيحة ووترجيت. صحيح أنه كان يظهر أنه مازال يحتفظ بسلطاته فى يده، لكن الحقيقة أنه بدأ يتخبط فى مشاكل استقالات متتالية من أعوانه، الذين لم يتماشوا معه فى الدفاع عن موقفه فى واقعة ووترجيت.

وجاءت زيارة نيسكون للقاهرة عام ١٩٧٤، فى هذه الظروف، التى يواجه فيها مشاكل عويصة فى وطنه، ونداءات مستمرة لاستقالته، وصحافة لم تعد تناصره، ووصل إلى القاهرة، ليجد نفسه فى حلم، والرئيس السادات يستقبله فى المطار، ويصحبه إلى قصر الضيافة فى موكب كبير، ثم يصحبه فى رحلة بالقطار من القاهرة إلى الإسكندرية، ليجد الألوف المتراصة على طول الطريق تهتف نيكسون نيكسون.

وأذكر أننى لمحت على وجهه تعبيرا لا يغيب عمن يستطيع أن يقرأه، وكأنه يقول لنفسه، ليت هذا كله أو بعضه كان فى واشنطن.

وربما كان احتياج نيكسون إلى جرعة مقوية، تعطيه بعض القوة لمواجهة الهجوم الحاد عليه فى واشنطن، من أسباب سعى كيسنجر لقيام رئيسه بهذه الزيارة، وربما كان الترحيب الحار للرئيس السادات بنيكسون، تعبيرا عن تقديره للتحول فى السياسة الأمريكية، نحو مصر بعد حرب اكتوبر. والذى أدى إلى توسيع دائرة التفاهم بين البلدين.

وكنت قد بدأت عملى فى جو مهيأ لى على مستوى المؤسسات: الرسمية، والشعبية على السواء. وساعدنى كثيرا فى عملى وجود ريتشارد باركر وهو واحد ممن يسمونهم فى الولايات المتحدة بالمستعربين Arabists وهم الخبراء فى شئون العالم العربى.

وسبق أن عمل فى القاهرة مستشارا بسفارة بلاده، فى فترة قطع العلاقات، وكانت له اتصالات واسعة فيها، وكان وجوده فى واشنطن مفيدا لى فى تفهم الوضع فى الولايات المتحدة، وبالطريقة المثلى فى التعامل معهم والتأثير عليهم، وما يمكن أن تسمعه الأذن الأمريكية وتتقبله مما يوسع مساحة التلاقى، واكتساب أعداد متزايدة من المتفهمين لموقف مصر.

وفتح لى باركر أبواب الاتصال مع كبار المسئولين بالخارجية. وتعلمت أن أسعى من جانبى إلى توسيع اتصالاتى، بقبول الدعوات لإلقاء محاضرات عن أزمة الشرق الأوسط، من وجهة نظر مصر، والدول العربية عموما. ولم يكن يمر أسبوع إلا وأنا أتكلم فى ولاية أو أخرى وعلى مختلف المنابر.

وكانت كلماتى نابعة بطبيعة الحال من سياستنا، ومما تزودنى به القاهرة من معلومات، وكان هذا يخدم نشاطى الأساسى الذى كان محوره القضية المصرية التى نتابعها بالطريق الدبلوماسى، وقد ساعدتنى علاقاتى بزملائى على مساندتى فيما أقوم به.

فى الوقت نفسه كنت أعمل فى مناخ أسست فيه إسرائيل لنفسها أركان وجود مؤثر من سنوات بعيدة.

وأذكر أن جيرالد فورد وكان من زعماء مجلس النواب – وهو الذى صار فيما بعد رئيسا للولايات المتحدة – قال لى بصراحة، إن اليهود لهم قوة رهيبة فى الضغط على الكونجرس. وإنك لن تجد سبيلك هنا ميسرا، لكن عليك أن تثابر ولا تكل.

وكان اليهود من خلال قوة ضغط مؤثرة قد استطاعوا التخلص من شخصيات أمريكية لها وزنها، إذا بدر منها ما يدل على تعاطف مع وجهة النظر العربية، فعلوا ذلك مع السناتور ويليام فولبرايت الذى كان رئيسا للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، وهو من أقوى الشخصيات الأمريكية فى التحدث صراحة عن خطورة اللوبى اليهودى فى قوة تأثيره على قرار السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وقد حشد اليهود كل قواهم فى دائرته الانتخابية وأسقطوه فى الانتخابات، وهو نفس ما فعلوه مع السناتور تشارلز بيرسى الذى كانت له أيضا مواقف تدعو للحد من قوة اللوبى اليهودى، وضغوطه التى تضر بالولايات المتحدة ومصالحها.

وهناك أيضا بول فيندلى عضو الكونجرس عن ولاية إلينوى، والذى كانت لى معه قصة حولت موقفه إلى تأييد الحق العربى، وانتهت به إلى إسقاطه فى انتخابات الكونجرس فى دائرته فبعد وصولى إلى واشنطن فى المرة الأولى فى عام ١٩٦٨، جاءنى فى مكتبى بول فيندلى، يطلب نصيحتى فى مشكلة تواجهه، فهناك شاب يدرس بالجامعة من سكان ولايته - إلينوى - وهذا الشاب استقل طائرة هبطت اضطراريا بركابها فى مطار صنعاء باليمن.

ولم يكن مقررا أن تتوقف فى اليمن. ونزل الشاب فى المطار فى انتظار إصلاح الطائرة وإقلاعها، وبتصرف تلقائى أخذ يلتقط بكاميرته الصغيرة، المناظر المحيطة بالمطار، مما أدى إلى اعتقاله وإيداعه السجن، واتهامه بالتجسس.

وحاول أن يقنع البوليس بأن هبوطه فى اليمن لم يكن فى حسبانه، وأن وجوده بها هو مجرد مصادفة، وأنه برىء من تهمة التجسس لكنهم لم يصدقوه. وسألنى ما الذى يمكنه عمله لإخراج هذا الشاب من ورطته.

اقترحت عليه أن يحصل من بعض الجامعات فى ولايته على منح دراسية يستفيد منها عدد من اليمنيين، وأن يوفر لهم وسيلة السفر بالطائرة إلى الولايات المتحدة، وبالفعل قام بول فيندلى بهذه الخطوة، ونجح فى إطلاق سراح الشاب الأمريكى.

من هذا اليوم أصبح فيندلى مؤيدا بحماس للقضية العربية. الأمر الذى دفع الصهيونية إلى اعتباره عدوا لإسرائيل ويتعين التنكيل به. وبالفعل سقط فى الانتخابات التالية بعد مضى ٨ سنوات على هذا الحادث. ثم ألف فيندلى كتابا عن اللوبى الإسرائيلى والحملات التى شنها على من يجرؤ على انتقاد سياسة وتصرفات إسرائيل وصدر بعنوان «إنهم يتجرأون على الكلام» THEY DARE TO SPEAK وتحدث عن خوف أعضاء الكونجرس من زملائه على أنفسهم وعلى إعادة انتخابهم ما لم يسيروا على الخط الذى رسمته قوى الضغط اليهودية.

ولقد اعتادت إسرائيل أن تمارس نفس الدور مع الرؤساء الأمريكيين، ودخلت فى مواجهة الرئيس جيرالد فورد فى عملية استعراض لقوة ضغطها، لكنها فشلت واضطرت أمام صلابة موقف فورد للتراجع والخضوع لموقفه.

ففى مارس ١٩٧٥، عاد كيسنجر إلى واشنطن من الشرق الأوسط بعد فشل محاولاته مع إسرائيل للوصول إلى اتفاق فصل القوات. وقد أعطى إعلان كيسنجر إيقاف مهمته فى إسرائيل، وبعد اجتماعات مطولة لمجلس الوزراء الإسرائيلى الانطباع بأن إسرائيل هى التى تسببت فى إخفاق كيسنجر فى مهمته.

وعقب عودته اتصل بى السناتور تشارلز بيرسى عضو مجلس الشيوخ وطلب أن نلتقى. وقابلته حيث أبلغنى أنه تحدث مع الرئيس فورد عقب الإعلان عن فشل مهمة كيسنجر، والذى أكد له عزمه على مواصلة أمريكا جهودها من أجل تحقيق تسوية سلمية. وأبدى بيرسى استياءه من موقف إسرائيل، واقتناعه بأن العرب على استعداد لقبول إسرائيل داخل حدودها الأصلية فى ٤ يونيو ١٩٦٧.

فى نفس الوقت من شهر أبريل ١٩٧٥، دعوت السفير الأمريكى بالقاهرة هيرمان أيلتس على الغداء، وكان فى زيارة لواشنطن، وكان من بين المدعوين هارولد سوندرز نائب مساعد وزير الخارجية، وذكر سوندرز أن كيسنجر ذهب إلى كاليفورنيا للاجتماع بالرئيس فورد، وسيعود فى اليوم التالى، وبعدها يتبلور موقف الإدارة الأمريكية تجاه سياستها فى المنطقة.

وأن إدارة فورد سوف تعلن عن إعادة تقييم سياستها فى الشرق الأوسط، على ضوء الموقف الإسرائيلى من مهمة كيسنجر.

وفى هذا اللقاء قال ايلتس إن كيسنجر سوف يذهب إلى نهاية الشوط فى الضغط على الإسرائيليين حتى يتم التوصل إلى النتائج المرجوة. وأن كيسنجر علم أن الإسرائيليين وأنصارهم فى الولايات المتحدة يحشدون جهودهم من أجل التخلص منه، أملا فى أن يؤدى اختفاؤه عن المسرح إلى انهيار كل الجهود التى يبذلها للوصول إلى اتفاق.

وقال سوندرز إن إعادة تقييم السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ستستمر، وإن مراجعتها سوف تجرى فى وزارة الخارجية، والبنتاجون، ومجلس الأمن القومى، ووكالة المخابرات المركزية. واتفق سوندرز وإيلتس على أن إعادة التقييم سوف تسفر عن توصيات بتقوية العلاقات بين الولايات المتحدة والعالم العربى بشكل عام، وبينها وبين مصر بشكل خاص. وسيشمل ذلك كافة النواحى السياسية والاقتصادية والعسكرية.

وأوضحت لهما أنه فى الوقت الذى تواجه فيه الولايات المتحدة أزمة فى جنوب شرق آسيا، فإن من المهم لها الا تسمح لإسرائيل بأن تتسبب بسياستها فى خسارة لأمريكا فى الشرق الأوسط.

وعلق سوندرز على هذا بقوله إن المشكلة الآن لم تعد بقاء إسرائيل كما كانت فى الماضى، فالعرب يتقبلون الآن وجودها وبالتالى يجب على الولايات المتحدة أن تضع مصالحها فى الاعتبار الأول.

وأبلغنى سوندرز أن الإسرائيليين حاولوا إعادة المباحثات لكن بشروطهم بالنسبة للاتفاق الذى يتم التوصل إليه، بينما اوضحت لها الولايات المتحدة أنها ليست مستعدة لذلك حتى تغير موقفها.

ولاحظت أن الصحف الكبرى بدأت تعكس اتجاها ينتقد موقف إسرائيل من إضاعتها فرصة مهمة فى جولة كيسنجر الأخيرة. كما كشف عن هذا الاتجاه، نشر خبر عن اجتماع كيسنجر مع مجموعة من الشخصيات الأمريكية ذوى المكانة لعملهم السابق فى الحكومة، أو عملهم حاليا فى الميدان الاقتصادى، وإبراز حرص الحكومة على أنها تعتمد فى إعادة التقييم على مجموعات أوسع سياسيا من الحزبين الديمقراطى والجمهورى. وكان لافتا للنظر أن يدعى للاشتراك فى هذه المجموعة ويليام سكرانتون حاكم بنسلفانيا السابق، الذى كان قد

اختفى من الوجود إثر إيفاد الرئيس نيكسون له إلى الشرق الأوسط مبعوثا عنه فى عام ١٩٦٩، وإدلاء سكرانتون بتصريح ينادى فيه بسياسة أكثر توازنا بين إسرائيل والدول العربية.

كان ضمن هذه المجموعة أيضا ديفيد روكفلر الذى دعانى على الغداء فى نيويورك ظهر يوم الجمعة من شهر مارس ١٩٧٥، وأوضح لى أن هذه المجموعة تكون لجنة استشارية لكيسنجر لبحث سياسة أمريكا فى الشرق الأوسط، وأن هذه اللجنة تجتمع مع كيسنجر عندما يحتاج لمشورتها، وأنها تتناول مختلف المشاكل الدولية بالإضافة إلى الشرق الأوسط الذى تركز عليه فى الوقت الراهن.

وكان مجمل كلام روكفلر يبين حالة الضيق العام من موقف إسرائيل وأن الولايات المتحدة ليست مستعدة لأن تضحى بمصالحها أمام تعنت إسرائيل. وأن الرئيس فورد مصمم على الاستمرار فى الخط الذى ظهر فى تصريحاته العلنية من إعادة مراجعة سياسات الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط وإسرائيل. وأنه لا يغيب عن تقدير إسرائيل ما أعلنه وزير الدفاع جيمس شلزنجر قبل يومين من ارتباط بحث طلباتها من الأسلحة، بإعادة تقييم السياسة الأمريكية فى المنطقة.

وذكر روكفلر أن فورد يرفض استئناف مفاوضات الخطوة خطوة لكيسنجر - وهو ما تطالب به إسرائيل، مادامت لم تغير موقفها. ووافقنى روكفلر على أهمية نجاح الضغوط الأمريكية وإلا اقتنعت إسرائيل بسيطرتها اللانهائية على سياسة أمريكا، وهو ما لا يخدم أمريكا ومصالحها فى العالم العربى على المدى الطويل.

وقد أرسلت إلى وزير الخارجية فى القاهرة برقية قلت فيها إنه فى ظل القلق الإسرائيلى من افتضاح موقفهم فى الولايات المتحدة أمام الرأى العام، بعد إعلان الرئيس فورد أن أمريكا تعيد تقييم سياستها فى المنطقة، فقد يكون من المفيد فى المرحلة الراهنة، أن نتوخى أكبر قدر من اليقظة لأى محاولات إسرائيلية تستهدف الوقيعة بين مصر والولايات المتحدة، أو تشويه صورة مصر فى نظر الرأى العام الأمريكى، وأن سجل إسرائيل يشير مرة أخرى إلى هذا السلوك الآن. وهذا يستدعى أن نشدد من إجراءات الأمن لدينا خاصة أمن المنشآت الأمريكية فى مصر.

فى نفس التوقيت مايو ١٩٧٥، تلقيت دعوة من صحيفة كريستيان ساينس مونيتور لحضور الحفل السنوى لمراسلى الصحف بالبيت الأبيض، والذى حضره الرئيس فورد.

وخلال جلوسى فى الحفل بجوار جوزيف سيسكو والسناتور فرانكى موس عن ولاية يوتا والسناتور ستيفنسون عن إلينوى، تحدث معى سيسكو عن اجتماعه قبل يومين مع زعماء اليهود الأمريكيين ووصفهم بأنهم كانوا فى غاية الصلافة والقبح (مع أن سيسكو معروف بأنه من المتعاطفين مع إسرائيل)، وواصل سيسكو كلامه الذى كان مسموعا من الحاضرين، ولمحررى الكريستيان ساينس مونيتور الذين رد على تساؤلاتهم عن الاتجاه للضغط على إسرائيل وأن إعلان إدارة فورد إعادة تقييم سياسة أمريكا فى الشرق الأوسط هو ضغط فى حد ذاته، وسوف يستمر. وندد سيسكو بادعاءات إسرائيل بأن قرار القاهرة إعادة فتح قناة السويس مقصود به نقل قواتها إلى سيناء.

وتحدث السناتور موس بأسى عن الحملة الإعلامية التى تشنها إسرائيل على فورد وكيسنجر. وكانت إسرائيل قد خصصت مليونى دولار للقيام بحمله إعلامية ضخمة فى الولايات المتحدة، وقررت إيفاد العديد من الشخصيات لإلقاء محاضرات منهم أهارون ياريف وزير الإعلام السابق، وإيبان، واسحق نافون رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالكنيست، علاوة على ديان الذى ألقى محاضرة فى جامعة الاباما.

فى هذه الظروف حدث معى اتصال من جانب إسرائيل، استشعرت أن الغرض منه التأثير السلبى على عملية إعادة التقييم فى واشنطن، من خلال الإيهام بأن هناك اتصالات مباشرة تجرى بين مصر وإسرائيل سرا. فقد اتصل ليون شارونى - محام يهودى أمريكى من نيويورك – بمساعد لأحد أعضاء مجلس الشيوخ ممن تربطنى بهم علاقة جيدة، وأبلغه أنه تلقى مكالمة تليفونية من أحد أصدقائه فى إسرائيل واسمه أموس إيرانى وكان يعمل مستشارا بالسفارة الإسرائيلية فى واشنطن، وصل مع إسحق رابين وهو صديق شخصى له، وحاليا يعمل كرجل أعمال.

قال شارونى فى اتصاله أن إيرانى طلب منه أن يتصل بالسفارة المصرية فى واشنطن ليعرض عرضا محددا من رابين بأن توفد مصر شخصا على نفس مستوى مركز إيرانى لمقابلته فى الخارج وفى إطار من السرية.

ومن ناحيتى أبلغت القاهرة بأننى لا أحبذ هذه الفكرة خاصة فى الظروف الحالية، موضحا أن إسرائيل تحاول الإيهام بأن هناك اتصالات مباشرة تجرى بينها وبين مصر.

على ضـوء القلق الإسـرائيلى المتـزايد من تصلب إدارة فـورد وعـدم كسـر إرادتهـا تحت الضغط الذى مارسته عليه القوى اليهودية، جاءت زيارة نائب رئيس الوزراء الإسرائيلى إيجال آلون إلى واشنطن فى ديسمبر ١٩٧٤، ومباحثاته مع فورد التى أحيطت بستار كثيف من السرية من الجانبين.

ثم لمست حجم هذه السرية من اتصالاتى بالمسئولين فى الخارجية الأمريكية، بعد اجتماع طويل دام سبع ساعات بين كيسنجر وآلون. بل إن سيسكو الذى كان فى أيسلنده لاجتماع مع وزير خارجيتها لم يقف على تفاصيل ما دار. لكن المسئولين الأمريكين حذروا من إعطاء أى أهمية لما تنقله الصحافة سواء من واشنطن أو تل أبيب، واعتبروا أن الجانب الإسرائيلى يقوم بتسريبها خدمة لأهدافه.

فى هذه الظروف وقبل موعد اللقاء الذى تقرر فى سالزبرج بين الرئيس السادات والرئيس الأمريكى جيرالد فورد فى مايو ١٩٧٥، بدأت القوى المؤيدة لإسرائيل فى حشد ضغوط على فورد للتأثير على نتائج هذا اللقاء، بجمع توقيع ٧٥ من أعضاء مجلس الشيوخ على خطاب يوجه إلى فورد، يناشده عدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية. وحصلت من أحد الشيوخ على صورة الخطاب الذى لاحظت أنه صادر عن مكتب كل من السناتور جاكوب جافيتس، والسناتور بيرش بايه.

وحدث أن التقيت على عشاء مع السناتور يلمون عن ولاية أوكلاهوما، وكان ضمن الذين رفضوا توقيع هذا الخطاب، الذى أوضح لى رأيه بعدم إعطاء أهمية بالغة للخطاب، وأن العبرة بالنتائج التى سيسفر عنها اجتماع فورد والسادات. وإن كان قد وافقنى على أن مثل هذا الأسلوب ينتمى إلى عهد ما قبل أكتوبر ١٩٧٣، كما أنه يعتقد أن من أهداف هذا الخطاب أيضا، أن تستخدمه الصهيونية كوسيلة إحراج للشيوخ عند التصويت على برنامج المعونة لإسرائيل، وهو الأسلوب الذى لمسناه خلال السنوات السابقة.

كانت هذه الضغوط جزءا من الحملة التى حشدت لها الصهيونية كل قواها للتأثير على عزم فورد على إعادة تقييم السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط. خاصة أن ذهاب فورد إلى النمسا للاجتماع بالسادات كان رسالة واضحة على تأييد رغبة الولايات المتحدة فى إيجاد تسوية سلمية عادلة.

وعلمت من مسئول أمريكى واسع الاطلاع أن اجتماع سالزبرج، ثم اللقاء المقرر فى يونيو التالى لفورد مع إسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل، كان يهدف إلى معرفة ما إذا كان ممكنا الوصول إلى اتفاق من خلال مباحثات الطرفين، أما إذا لم يكن ذلك ممكنا فسوف تتجه الجهود لعقد مؤتمر جنيف ليضم جميع الأطراف.

وكان مؤتمر جنيف قد عقد لأول مرة فى ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣ برئاسة مشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وعلى مستوى وزراء الخارجية، وباشتراك مصر وسوريا والأردن وإسرائيل، ورأس فالدهايم سكرتير عام الأمم المتحدة الجلسة الافتتاحية.

مع حلول شهر يونيو ١٩٧٥، بدأت تتضح ملامح أزمة وشيكة فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، على ضوء ما عرف من أن إدارة الرئيس فورد انتهت فى شهر يونيو بالفعل من عملية إعادة تقييم سياستها فى الشرق الأوسط، وقد تنبأت اللجنة المكلفة فى الخارجية بهذه العملية والتى يرأسها جوزيف سيسكو وكيل الخارجية، بحدوث كارثة، لو أن الأطراف ذهبت إلى مؤتمر جنيف دون أن يكون المصريون والإسرائيليون قد نجحوا فى الوصول إلى اتفاق.

وكان تقدير عدد من المسئولين الأمريكيين الذين أثق بحسن تقديرهم، أن مكانة فورد – بعد اجتماعاته بالسادات فى سالزبرج ورابين فى واشنطن – أصبحت متوقفة على نجاحه أو فشله فى الشرق الأوسط، أو على ما إذا كانت المنطقة ستدخل عصر السلام، وأن من الضرورى لفورد أن يظهر للسادات أن أمريكا مازالت ملتزمة بالسلام، وبعدم إنهاء جهودها الدبلوماسية رغم فشل مهمة كيسنجر فى مارس السابق.

على ضوء هذا الموقف اضطرت إسرائيل إلى التراجع، ووافقت على عودة دبلوماسية كيسنجر، وهو ما تم بالفعل وانتهت بعد جولاته بين مصر وإسرائيل إلى توقيع الاتفاق الثانى لفصل القوات فى أول سبتمبر ١٩٧٥، ويقضى بانسحاب إسرائيل من حقول بترول أبو رديس، ومن منطقة الممرات – متلا والجدى – وهو ما كانت ترفضه لآخر لحظة.

الفصـــل الســادس

لماذا دعا كارتر لكامب ديفيد؟

صباح يوم ٣١ اكتوبر ١٩٧٧ توجهت إلى البيت الأبيض أحمل رسالة مكتوبة ومختومة بالشمع من الرئيس السادات، لأسلمها إلى الرئيس كارتر.

كانت الرسالة ردا من السادات على رسالة سبق أن بعث بها إليه كارتر يوم ٨ اكتوبر، يقول فيها للسادات «لقد سبق أن ناشدتك المساعدة فى تحريك الموقف فى الشرق الأوسط، وأن الأمر يحتاج منك خطوة جريئة، وأنك وعدتنى بالاستجابة لى». وطلب السادات ألا يطلع على رسالته لكارتر سوى وزير خارجيته سايروس فانس، ومستشاره للأمن القومى زبجنيو بريجنسكى. وأوضح أنه سيقوم بهذه الخطوة.

فى الوقت الذى كانت الرسالة قد وصلت فيه إلى كارتر وقمت بتسليمها فى البيت الأبيض، كان السادات قد استقل الطائرة إلى بوخارست، للقاء الرئيس الرومانى تشاوشيسكو، ليستفسر منه عن بيجين الذى تربطه علاقة وثيقة بتشاوشيسكو، وعما إذا كان جادا فى الدخول فى مفاوضات بحسن نية مع مصر.

بعد ذلك بفترة مضى السادات فى بلورة فكرته بالذهاب إلى القدس، والتحدث أمام الكنيست الإسرائيلى، وإعلان مشروعه للسلام فى المنطقة. وتوالت نتائج هذه الزيارة فى لقاءات بين بيجين والسادات، ومباحثات بين الجانبين المصرى والإسرائيلى، لكنها لم تسفر عن نتيجة، تتفق مع توقعات السادات من أن زيارته سوف تغير موقف إسرائيل وتجعله أكثر مرونة وهو ما شهد تطور العلاقات فى الفترة اللاحقة لزيارة السادات.

وكانت قد عقدت مباحثات سياسية بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة فى القدس فى ١٧ يناير ١٩٧٨، وأصر بيجين فى المباحثات على أن يوقع الجانبان اتفاق مبادئ، يتضمن كلية صياغة قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، ولكن الوفد المصرى برئاسة وزير الخارجية محمد إبراهيم كامل رفض توقيع اتفاق حول مبادئ غامضة، وأصر على تعهد إسرائيل بالانسحاب إلى خطوط ١٩٦٧، وحق تقرير المصير للفلسطينيين.

وظل بيجين يكرر إصراره على التمسك ببقاء المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء، وأن تكون تحت حماية القوات الإسرائيلية. وقال إن هذه مسألة مبدأ.

وفى نهاية الجلسة أضاف ديان ما زاد الجو توترا على توتره، فقال إنه إذا لم يوافق السادات على بقاء المستوطنات فى سيناء فسوف يتغير موقف إسرائيل لإدخال تعديلات على الحدود بين إسرائيل ومصر، لكى تبقى المستوطنات جزءا من أرض تحت السيادة الإسرائيلية.

وفى اليوم التالى ١٨ يناير، قابل الوفد المصرى سايروس فانس، ليبلغه أنه تلقى أمرا من الرئيس السادات بالعودة فورا إلى القاهرة. فاتصل فانس على الفور بالسادات الذى وجده غاضبا، وقال له الواضح أن بيجين لم يفهم القصد من مبادرتى. فهو يفضل الأرض على السلام.

رسالة عاجلة لكارتر
السادات يشك فى موقف أمريكا

بدأ كارتر مناقشات مع مستشاريه لدراسة هذا التطور، وفى غضون ذلك وصلته برقية مهمة من هيرمان أيلتس السفير الأمريكى بالقاهرة، قال فيها إن شكوك السادات تزداد تجاه موقف الولايات المتحدة. وإنه يعتقد أن الإدارة الأمريكية لم تقدم له التأييد الكافى تجاه مشكلة المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء. وتمت قراءة البرقية بعناية واهتمام كبيرين. وفى اجتماع لكارتر فى ٢٣ يناير ١٩٧٨ مع بريجنسكى وفانس ومونديل وآخرين، قرر دعوة السادات وبيجين إلى كامب ديفيد.

ووصل فانس إلى مصر، وصحبه محمد إبراهيم كامل إلى المعمورة لمقابلة السادات لتوجيه الدعوة إليه لحضور هذا الاجتماع، وفى نهاية المقابلة قال لى محمد إبراهيم كامل إنه يخشى أن يضغط الأمريكيون على السادات، وتكون النتيجة أن نخرج بخسارة وليس بمكسب.

ولم أتفق مع إبراهيم كامل فى هذا التقويم، فقد كنت أرى أن دور أمريكا هو السبيل الوحيد لدعم تصميمنا على استعادة سيناء. وأن كل إجراء تتخذه مصر من خلال توطيد العلاقة مع الولايات المتحدة هو لصالحنا.

وأبلغنى الرئيس السادات بعد مقابلته لفانس، أنه طلب من بيجين أن يضم الوفد المصاحب له، موشى ديان، وأنه قصد من ذلك أن يضم الوفد الإسرائيلى شخصيات مؤثرة حتى لا يقول له أثناء المباحثات، إنه لا يستطيع أن يقرر أى شىء إلا قبل العودة إلى الكنيست، فهذه الشخصيات هى قيادات إسرائيل التى تعزز موقف بيجين ولا تجعل احدا يزعم أنه انفرد بالقرار.

كان كارتر قد بدأ بعد ثلاثة أشهر على توليه سلطاته، في تجديد مناهج وبرامج حكومته للفترة القادمة، وعلى المستوى الخارجي فقد أوضح حرصه على أن يضع بصماته على علاقات الولايات المتحدة الدولية، مما يوضح أنه يتخذ نهجا مختلفا عن الإدارات السابقة. وظهر هذا خصوصا في تركيزه على حقوق الإنسان، ثم التقدم إلى السوفيت بمشروعات لخفض ضخم في الأسلحة الاستراتيجية، أما بالنسبة للشرق الأوسط فقد بدأ يعطي دفعة قوية في سبيل الوصول إلى حل شامل لقضية الشرق الأوسط، بمختلف جوانبها بدلا من التحرك على خطوات، وكان لديَّ تقدير أبلغت به القاهرة، بأن كارتر سيستمر في هذا النهج وأن انشغاله بقضية الشرق الأوسط سيتزايد في الأشهر القادمة.

وبمرور الأشهر بدأ كارتر يتعرض لحملة بالغة الشدة من الأوساط اليهودية والمتعاطفين معها ضد سياسته في الشرق الأوسط، مستغلين في ذلك الصعوبات الجمة التي يواجهها كارتر في حل بعض القضايا الداخلية والخارجية، وانخفاض شعبيته وهو ما أظهرته استطلاعات الرأي في تلك الفترة. مما أثار الشكوك والتساؤلات فيما إذا كان كارتر سيرضخ لهذه الحملة، ويبطئ من سعيه لتسوية أزمة الشرق الأوسط. بل إن بعض أصدقائنا من الأمريكيين أعربوا عن تخوفهم من عدم تمكن كارتر من التصدي لهذا التيار المعادي من جانب إسرائيل وأنصارها.

وحسما لهذه الشكوك والتساؤلات فقد لاحظت أن كارتر حضر المؤتمر اليهودي العالمي في واشنطن في الثاني من نوفمبر ١٩٧٧، وألقى خطابا في حضور أكبر تجمع صهيوني عالمي مؤيد لإسرائيل، أعلن فيه تصميمه على السير في الطريق الذي رسمه لدور الولايات المتحدة في حل أزمة الشرق الأوسط وكان تقديري أن كارتر تعمد بذكاء ومهارة استغلال المؤتمر اليهودي العالمي، ليتصدى من على منبره لكل المحاولات التي بذلت لإثنائه عن هذا الدور وليعلن عزمه على عدم تغيير سياسته التي تعبر عن المصالح القومية للولايات المتحدة.

وعلمت من اتصالاتي بالمسئولين الأمريكيين أن كارتر كان ينوي الإقدام على خطوة تكون موجهة للجانب العربي للتمهيد لمؤتمر جنيف، ولم يكن كارتر ليخرج عن الخط الثابت للسياسة الأمريكية في التعهد باستمرار العلاقة القوية مع إسرائيل، لكنه كان يحاول أن يجعل سياسته أكثر توازنا بين العرب وإسرائيل.

ومازلت اتذكر كلمته فى المؤتمر اليهودى العالمى، التى أوضح فيها أن للولايات المتحدة تصورها للحل الشامل، وانها سوف تواصل دعم الحل من خلال مفاوضات لا مخرج منها إلا بالتسوية، كما اكد تمسكه بضرورة كفالة الحقوق المشروعة للفلسطينيين، وضرورة سماع الصوت الفلسطينى فى مؤتمر جنيف، وأعلن اعتراضه على إقامة المستوطنات لمخالفتها اتفاقية جنيف الرابعة التى تحرم تغيير الأوضاع فى الأراضى الخاضعة للاحتلال.

كنت أتصور أن يكون هناك رد فعل عربى وبالذات من منظمة التحرير الفلسطينية، يتقابل مع هذا الخطاب فى مضمونه وفى الإطار الذى ألقى فيه، ليكون فى رد الفعل هذا مزيدا من التشجيع للولايات المتحدة لمضاعفة جهودها لعقد مؤتمر جنيف بالشكل الذى يرضينا، وهو المؤتمر الذى سيتعين على إسرائيل أن تقدم فيه التزاماتها التى تهربت منها طوال السنوات الماضية.

وجاءت زيارة الرئيس السادات للقدس – كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ واجتمعت بعدها مع وزير الخارجية الأمريكى سايروس فانس يوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٧، بحضور مساعد وزير الخارجية الفريد أثرتون، والزميل، د/ محمد شاكر – وكان الرجل الثانى فى السفارة ـ وتركزت المقابلة على ضرورة قيام الولايات المتحدة بإقناع إسرائيل باتخاذ خطوة إيجابية ضخمة تكون فى صالح العرب جميعا وليس فى صالح مصر فقط. تقابل بها خطوة الرئيس السادات بزيارة القدس. وذكرت أن الخطوة التى أتصورها من جانب إسرائيل هى إعلان قبولها تمثيل منظمة التحرير فى جنيف. ورد فانس بأنهم على اتصال بالفعل بحكومة بيجين لاتخاذ هذه الخطوة، وأنه كان حاضرا مع الرئيس كارتر عند اتصاله ببيجين.

وإن كان فانس قد استبعد إمكان موافقة إسرائيل على دعوة منظمة التحرير لحضور مؤتمر جنيف، لكنه أضاف إمكان اشتراك المنظمة فى وفد عربى موحد. وقال فانس إنهم تحدثوا مع بيجين فى خطوة تتضمن أن تعلن إسرائيل استعدادها لبحث فكرة إنشاء وطن قومى فلسطينى.

وبعد أسبوع من هذا اللقاء، علمت من ويليام كوانت مساعد بريجنسكى، مستشار كارتر للأمن القومى، أن موشى ديان وسيمحا دينيتز سفير إسرائيل فى واشنطن وستيفن برايان سكرتير لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ والمعروف بميوله الصهيونية، يشيعون أن الرئيس السادات كان قد ذكر خلال اجتماعاته فى القدس مع المسئولين الإسرائيليين، أنه سئم من الأمريكيين وأسلوبهم فى تضييع الوقت، ولهذا لجأ إلى الاتصال المباشر مع إسرائيل.

لكن كوانت أوضح أنهم يعرفون غرض الإسرائيليين من ترويج هذه الشائعات، وأنهم لم يصدقوها، لكن وجد أن من المهم أن تعرف بها مصر.

كان السادات قد نجح فى إقناع كارتر بالدعوة لمؤتمر جنيف لحل القضية، وجاء ديان لمقابلة كارتر وفانس فى نيويورك وانتهوا إلى اتفاق بالدعوة للمؤتمر.

ثم فوجئت بعدها بديان يطلب مقابلة فورية مع كارتر، وعلى مدار ٨ ساعات من المناقشات خرج كارتر وفانس يعلنان عدول واشنطن عن الدعوة لمؤتمر جنيف.

التمهيد لاجتماعات كامب ديفيد

كان واضحا أن إسرائيل تضغط بشدة على أن يتم التصالح بين مصر وإسرائيل مباشرة وليس عن طريق أطراف ثالثة، بما فيها مجلس الأمن أو الدول الكبرى، وهنا بدأت بذور اجتماعات كامب ديفيد تطرح، وعندها طلبنى بريجنسكى ليسلمنى خطابا بخط اليد من كارتر، يرجو أن أسلمه يدا بيد للرئيس السادات.

كان إسماعيل فهمى وزير الخارجية موجودا فى واشنطن ونيويورك عندما وقع اعتراض إسرائيل على مؤتمر جنيف، وعاد فهمى إلى القاهرة، وكان مقررا أن يعقد مؤتمرا صحفيا قبل سفره، إلا أنه عدل عن ذلك على أساس أنه لم يعد لديه ما يقوله، وأن عليه أن ينتظر ليرى كيف ستتطور الأمور، وطلب منى أن التقى بالصحفيين بدلا منه وأتكلم معهم.

وقررت تأجيل هذا اللقاء مع الصحفيين أسبوعين عسى أن يأتى شىء جديد أتكلم فيه وحل الموعد فى صباح يوم أحد، وإذا بالمستشار الصحفى بالسفارة أحمد أبو شادى يتصل بى تليفونيا ويقول لقد أذيع توا أن السادات سيزور القدس، وأنه سيزور سوريا قبل توجهه إلى إسرائيل.

واحترت ما الذى سأقوله للصحفيين، وهم سيسألون بالتأكيد عن هذه الزيارة. وانتهيت إلى حل للخروج من المأزق، بأن أشرح لهم أن الرئيس سيذهب إلى سوريا قبل توجهه للقدس،

الأمر الذى يعطى الانطباع بأن الأسد لم يكن على خلاف مع السادات حول زيارته للقدس بدليل أن زيارته دمشق جاءت قبل الذهاب للقدس. لكن لم يكن لدى جديد أخبرهم به وإن كان قد ظهر أن هذا التغير لم يكن متماشيا مع الواقع. كانت الأمور قد تطورت بعد عدول واشنطن عن عقد مؤتمر جنيف، إلى تفكير كارتر فى اجتماع مجلس الأمن، أو الخمسة الكبار مع الأطراف العربية وإسرائيل، ثم شعر الأمريكيون بأن مثل هذا الاجتماع قد لا يؤدى إلى أى نتيجة.

وهنا – وهو ما عرف فيما بعد – قرر السادات أن يبادر من جانبه بزيارة القدس، ومخاطبة إسرائيل وجها لوجه.

وتطورت الأمور إلى لقاءات كامب ديفيد وذهب سايروس فانس بصحبة وفد صغير إلى مصر ليوجه للسادات دعوة لاجتماع فى كامب ديفيد.

وصل الرئيس السادات يوم ٣ فبراير ١٩٧٩ إلى كامب ديفيد ترافقه زوجته، وأمضى اليومين الأولين بعد وصوله والرئيس كارتر فى جلسات للتعارف، مما أدى إلى توثيق صداقة الرجلين كما كانت بمثابة خطوة مهمة نحو استراتيجية أمريكية مصرية مشتركة، هدفها إقناع بيجين بتغيير بعض مواقفه المتشددة، حول التعامل مع المشكلة الفلسطينية.

وعقد أول اجتماع للرؤساء الثلاثة السادات وكارتر وبيجين، وكان صاخبا، شهد مناقشات حادة بين السادات وبيجين. وكان السادات محبطا، وأوضح أنه سيوقف كل الاتصالات مع إسرائيل.

وعلى الفور عقد كارتر والسادات اجتماعا حضره أعضاء الوفدين المصرى والأمريكى، وتكلم كارتر ملخصا الخطوات التى أدت لزيارة السادات للقدس، وشعوره الشديد بخيبة الأمل فى ضعف استجابة بيجين. ونقل عن السادات قوله إن جزءا من أسباب مبادرته كان تقليل نفوذ جماعات اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة وإقناع الأمريكيين بأن العرب مستعدون للسلام مع إسرائيل.

وتكلم السادات فقال بوضوح إن كل شىء الآن يعتمد على الموقف الأمريكى. وإن إسرائيل تستمع فقط للولايات المتحدة. وإن الوقت قد حان لتحديد المبادئ الأساسية فلا أحد يحق له السيادة على أراضى غيره. وإنه يتساءل: ألم يحن الوقت بعد لكى يتخذ كارتر موقفا أمريكيا محددا؟

واتفق على أن تقدم الولايات المتحدة ردها بعد أن تجرى المشاورات اللازمة، وتعرض مقترحاتها لكسر الركود فى الموقف.

وتقرر ان يتم اجتماع كامب ديفيد الثانى فيما بعد، وهو الذى عقد فى شهر سبتمبر ١٩٧٨، وطوال هذه الأشهر السبعة، استمرت اتصالات الولايات المتحدة بمصر وإسرائيل، اللتين كانت علاقتهما تزداد تدهورا.

وفى ٢٠ يوليو ١٩٧٨ أعلن كارتر أنه يبحث عقد اجتماع قمة مع السادات وبيجين. وبينما يعد لهذا الاجتماع، فقد تلقى رسالة من السادات يبلغه فيها بعدم جدوى أى مباحثات مع الإسرائيليين وأنه ينوى قطع بقايا قنوات الاتصال مع إسرائيل. وأوفد كارتر الفريد أثرتون الذى اجتمع هو وهيرمان أيلتس مع السادات، ونقلا على أثره إلى كارتر شعور الغضب الذى يعترى السادات، وأنه متمسك بأن على الولايات المتحدة أن تصر على المبادئ الأساسية للمفاوضات، وأن هذه هى كلمته الأخيرة.

وفى ٣٠ يوليو عقد كارتر اجتماعا مع مستشاريه وأبلغهم أنه قرر الدعوة لقمة جديدة مع السادات وبيجين فى كامب ديفيد. وأن فانس سيسافر إلى الشرق الأوسط لتوجيه الدعوة لحضورها.

وقبل الذهاب إلى كامب ديفيد أبلغ السادات السفير هيرمان أيلتس يوم ٢٦ اغسطس ١٩٧٨ أن الهدف من ذهابه إلى كامب ديفيد ليس مجرد اتفاق على إعلان مبادئ، ولكن للاتفاق على إطار للتسوية الشاملة. وأنه ينبغى أن يكون كارتر مستعدا لمواجهة بينه (أى بين السادات) وبين بيجين. وأيضا ينبغى أن يعتمد كارتر على أن السادات لن يخذله.

١٣ يوما عصيبة
فى كامب ديفيد

فى سبتمبر ١٩٧٨ بدأت قمة كامب ديفيد التى استمرت ١٣ يوما. فى أيام وجودنا فى كامب ديفيد تصادف أن التقيت وجها لوجه مع مناحم بيجين بينما كل منا يتمشى. ووقفنا نتحدث. وسألنى: هل قرأت كتابى الأخير؟ فقلت: نعم قرأته. فوجه الكلام إلى سفيره قائلا أعطنى

نسخة من كتابى لأكتب عليه إهداء للسفير غربال. ثم قال هذا لأنك لو أصبت فى ليلة بأرق فإنه سيساعدك على النوم، وضحكنا.

وقلت له يسعدنى أن أتسلم كتابك وعليه توقيعك لأضعه مع الكتب التى تحمل إهداء مؤلفيها لى، والحقيقة أننى أخذت الكتاب ولى رغبة فى النوم، فكانت النتيجة أن كتابه أيقظنى الليل بطوله.

وذات يوم كنا نتناول الغداء فى قاعة فى كامب ديفيد مخصصة كمطعم، وكنا جميعا أعضاء الوفد المصرى، ولاحظنا أن الطبيب المرافق لمناحم بيجين كان يجلس بالقرب منا.

وقرر السيد حسن التهامى أن يلجأ إلى الدعابة فى الكلام بطريقة تثير فضول الطبيب الإسرائيلى، فبدأ يحكى عن قدرته على التحكم فى مراكز أعصابه بما فيها أعصاب القلب لدرجة أنه يستطيع أن يغير من عدد دقات القلب وظهر الاهتمام والفضول على الطبيب الإسرائيلى فنهض من مقعده وجاء إلينا يقول أتسمحون لى بأن أجلس معكم لاستمع لهذا الكلام الذى يمثل اختراقا كبيرا فى عالم الطب. لكننا أنهينا الجلسة حتى لا ندع الفرصة لدخول الطبيب فيما هو أعمق من هذا.

كان الاجتماع الأول للرئيسين وبيجين، وهو ما دعا كارتر لأن يقترح أن يعين كل منهما مندوبا عنه ليجلس مع كارتر، الذى سيقوم من جانبه بتحديد نقاط الخلاف. على أن يرجع كل مندوب بعد ذلك إلى رئيسه يراجع معه نتيجة المباحثات، ويزوده بتعليماته للخطوة المقبلة.

واختار السادات الدكتور أسامة الباز لكى يحضر هذا الاجتماع، واختارت إسرائيل المستشار القانونى باراك، الذى عين فيما بعد رئيسا للمحكمة العليا فى إسرائيل.

كان د. أسامة الباز يعرض على الرئيس كل ما يدور فى اجتماعه بكارتر، كما كان يعطينا تفصيلات كاملة لما دار، وما زوده به الرئيس من توجيهات. وكان الرئيس يلتقى بالوفد المصرى مرتين فى اليوم على الأقل، بخلاف اللقاءات الثنائية للرئيس مع أى عضو فى الوفد.

وكانت للجانب الأمريكى ملاحظة هى أن الوفد الإسرائيلى فى عمومه معتدل، بينما بيجين هو المتشدد، أما الوفد المصرى فهو فى تقديرهم المتشدد، بينما الرئيس هو المهادن، واعتقد أن هذه الصورة تقرب من الواقع.

وكان عيزرا وايزمان من أكثر أعضاء الوفد الإسرائيلى توددا للرئيس، وكان يناديه بكلمة «يا ريس» العربية. وفى أحد لقاءاتهما اقترح وايزمان على الرئيس أن يجتمع بديان، باعتبار أن وضعه قوى فى الحكومة ولدى الرأى العام الإسرائيلى. واستجاب السادات للاقتراح، ودعا ديان لمقابلته. لكن الاجتماع لم يكن موفقا. فقد علمنا أن ديان قال للرئيس إنه يشعر أن الشعب الإسرائيلى ليس مرحبا بالانسحاب الكامل من سيناء وهو ما دفع السادات للرد بقوله: ولماذا نحن جئنا إلى هنا؟ ولماذا اتخذنا كل الخطوات التى اتخذناها مادمنا سنصل إلى هذه النتيجة؟

وربما أراد ديان أن يبالغ فى تصوير مدى ضخامة ما ستقدمه إسرائيل بانسحابها الكامل من سيناء، وهو أسلوب إسرائيلى معروف فى التفاوض. لكنه لم يكن موفقا فيما فعل.

كما أننى فى نفس الوقت علمت من ويليام كوانت أحد أعضاء الوفد الأمريكى أن إسرائيل متشددة فى موقفها، وقد تصل الأمور إلى نقطة يتعذر عندها الوصول إلى اتفاق، وبذلك ينتهى الاجتماع إلى موقفين: موقف أمريكى مصرى مشترك، وموقف آخر يمثل وجهة نظر إسرائيل.

وفى الحال ذهبت إلى الرئيس ونقلت إليه ما سمعته. وأوضحت له أن هذا يعنى تقديم تنازلات إضافية فيما بعد، إذ أنه فى حالة إجراء مفاوضات جديدة وهو ما لابد أن يحدث، فسيبدأ الاجتماع من حيث وقفنا فى كامب ديفيد. أى مزيد من التنازلات.

وفى اليوم التالى دعانى الرئيس السادات للاجتماع به، وأبلغنى أنه قرر إنهاء المفاوضات، وقال – وكان فى حالة من الضيق الشديد – إنه سيتوجه إلى واشنطن ويجتمع بأعضاء الكونجرس نوابا وشيوخا، ويعقد مؤتمرا صحفيا يشرح فيه ما جرى وما انتهت إليه المفاوضات. وطلب منى أن أجهز لحملة إعلامية لشرح وجهة نظر مصر، وتعنت إسرائيل البالغ.

أبلغت زملائى فى الوفد المصرى بما سمعت وكان التعليق اللافت للنظر قد جاء من فوزى عبد الحافظ السكرتير الخاص للرئيس الذى قال: فى تقديرى أن الرئيس " يهوش " فهو يهدد، لكنه لن يصل إلى هذا المدى فيما يفعله. المهم أننى نقلت إلى فانس ما أبلغنى به الرئيس السادات. ويبدو أنه أوضح للسادات أن اتخاذه مثل هذه الخطوة سيؤدى إلى ترد فى العلاقات بين الرئيسين المصرى والأمريكى.

ويبدو أن الجهود اتجهت إلى منع الوصول إلى هذه النتيجة. ففى الساعات اللاحقة تسارعت الأحداث فى اتجاه الاتفاق الذى تم توقيعه فى كامب ديفيد

كان الاتفاق فى شكل عدة بنود ويضم ملاحق، اتفق على توقيعها فى اليوم التالى لضيق الوقت.

وبعد ١٣ يوما غادرنا كامب ديفيد وفى الطائرة التى أقلتنا إلى واشنطن سمعت باستقالة محمد إبراهيم كامل، وانتقلت لأجلس فى المقعد الخالى إلى جواره، وحاولت أن أثنيه عن الاستقالة. وقلت انتظر حتى تعود إلى مصر وأعلنها هناك، ولا داعى لإعلانها وأنت فى العاصمة الأمريكية. لكنه اعترض على رأيى، ووصلنا إلى واشنطن وذهبت إلى منزلى لتغيير ملابسى، واتصلت مرة أخرى بكامل أقنعه بالذهاب معنا إلى البيت الأبيض لحضور توقيع الاتفاق. لكنه اعتذر عن عدم الحضور.

وفى اليوم التالى ذهب هارولد سوندرز مساعد مستشار الأمن القومى، وعضو الوفد الأمريكى لمقابلة السادات وبيجين، ليوقعا الخطابات الملحقة بالاتفاق فلم يكن هناك وقت كاف لكتابتها قبل العودة وحدث ما لم يكن يتوقعه أى شخص فى الفريقين الأمريكى والمصرى، حيث رفض بيجين التوقيع وقال أنا لم أقل ذلك. فإننى وافقت على إيقاف عمليات الاستيطان لمدة ثلاثة أشهر أثناء التفاوض مع مصر، حول الانسحاب من سيناء. ورد عليه سوندرز وما علاقة مفاوضات الجلاء عن سيناء بموضوع النشاط الاستيطانى الإسرائيلى، فى الضفة وغزة وأصر سوندرز على أن الجميع سمعوا بيجين وكان كلامه واضحا، وبالتالى فالخطاب الذى أعدوه تم على هذا الأساس.

ولم يستطع كارتر أن يثنى بيجين عن موقفه. وتبين أنه فى الليلة التى سبقت توقيع الخطابات الملحقة بالاتفاق، كان كيسنجر يزور بيجين الذى سأله عن رأيه فى الاتفاق، فرد كيسنجر بأن بيجين وافق بهذا على إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة. فأنكر بيجين موافقته على هذا. وشرح له كيسنجر أن إيقاف النشاط الاستيطانى طوال مدة المفاوضات مع الفلسطينيين حول الحكم الذاتى، يعنى أن لديهم فيتو على التصرفات الإسرائيلية. وعاد بيجين ينكر ما وافق عليه، ويدعى أنه وافق على وقف نشاط المستوطنات طوال مدة المفاوضات للانسحاب من سيناء.

ولم تفلح جهود كارتر فى إثناء بيجين عن موقفه، الذى أقر به أثناء المفاوضات. وأذكر أن الرئيس كارتر كان قد جاء فى زيارة لمصر بعد أن ترك منصب الرئاسة، وفى احتفال اقامته له غرفة التجارة الأمريكية فى القاهرة، ألقى فيه كارتر كلمة، ثم بدأ الحضور فى توجيه الأسئلة إليه، فإننى سألته عن مدى التزام إسرائيل بتعهداتها، فكان رده للأسف بأن إسرائيل لم تلتزم، بدليل ما حدث من عدم التزام بيجين بما سبق أن وافق عليه من وقف النشاط الاستيطانى فى الضفة وغزة.

وكان كارتر بهذا الرد صريحا للغاية، فهو لم يعد مسئولا، وليس واقعا تحت ضغوط اللوبى اليهودى، الذى لا يدخر جهدا فى فرض رؤيته لصالح إسرائيل حتى ولو كان ذلك على حساب مصالح الولايات المتحدة.

العلاقة مع أمريكا بعد انتخاب ريجان رئيسا

بعد انتخاب رونالد ريجان رئيسا للولايات المتحدة فى عام ١٩٨١ بدأت أعرف من اتصالاتى أن الإدارة الجديدة تبحث توجيه دعوة للرئيس السادات لزيارة واشنطن دون توجيه دعوة مماثلة لمناحم بيجين، وكانت حجتهم أن دعوة بيجين فى ظروف ما قبل الانتخابات العامة فى إسرائيل سيسبب حرجا للولايات المتحدة. وبالرغم من أن المسئولين لم يفصحوا عن هذه النقطة فى أحاديثهم معى، فإنها لم تكن تخفى على العليمين ببواطن الأمور فى واشنطن، وأن إدارة ريجان تفضل التخلص من بيجين، وأن دعوته ستسهم فى تحسين مركزه فى الانتخابات هو وحزبه الليكود.

وكنت قد التقيت فى يناير ١٩٨١ مع جورج بوش نائب الرئيس الجديد ريجان، فى حفل تكريم السناتور جيمس بيكر الذى كان زعيما للأغلبية الجمهورية بمجلس الشيوخ، وأكدت أهمية عقد اجتماع مبكر للرئيس ريجان مع الرئيس السادات، واتفقنا على أن يقوم كل منا بإثارة هذه المسألة مع الكسندر هيج وزير الخارجية وهو ما حدث بالفعل. وكان رد هيج أن طبيعة الأوضاع ودور الرئيس السادات، يجعل من الطبيعى أن يكون هو أول من يرحب به فى واشنطن.

وفى يوم ١٦ فبراير ١٩٨١ التقيت مع هيج فى حفل عشاء وجرى بينى وبين هيج حديث قال فيه إنه كان يود إبلاغى بموعد دعوة الرئيس السادات لزيارة واشنطن، إلا أن الموضوع مازال مطروحا للبحث فى البيت الأبيض، ولهذا فهو يتوقع أن يخطرنى بالموعد خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر.

كان الاتجاه السائد بين فريق المسئولين فى البيت الأبيض يميل إلى تأجيل زيارة السادات وباقى زعماء المنطقة إلى ما بعد الانتخابات الإسرائيلية، تفاديا لدعوة بيجين، لكن رأيهم استقر بعد موازنة كافة الاعتبارات على إعطاء الأولوية للتخلص من بيجين من خلال التفاعل السياسى الداخلى فى إسرائيل، وكان تقديرهم أن اختفاء بيجين والليكود من الحكم سيسهل عليهم تخطيط سياستهم بما يمكن من التسوية السلمية.

فى منتصف ١٩٨١ استقبلنى فى البيت الأبيض الرئيس ريجان لمقابلة حضرها جورج شولتز وزير الخارجية، وجورج بوش نائب الرئيس، وعدد آخر من كبار المسئولين. وفى هذا اللقاء عبر الرئيس ريجان عن ترحيبه بالزيارة المقبلة للرئيس السادات، وأوضح أنه أكد أثناء استقباله أخيرا لإسحق شامير وزير خارجية إسرائيل أن الولايات المتحدة ستسعى لتدعيم علاقاتها بالدول العربية المعتدلة، وأن الولايات المتحدة لا توافق مطلقا على السياسات التى تتبعها إسرائيل فى الضفة الغربية المحتلة.

وأوضحت للرئيس ريجان أننا نعلم بالعلاقة القديمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، إلا أننا نخشى من أن يكون للتعاون الاستراتيجى الذى أعلن عنه أخيرا بينهما، آثار سلبية على عملية السلام، وعلى أوضاع المنطقة ككل.

وأرسلت إلى القاهرة بمضمون ما دار فى اللقاء مع ريجان، موضحا ما شعرت به من حرصه على تأكيد صداقة أمريكا لمصر، واستمرار العلاقة الخاصة بين البلدين. بما فى ذلك إمداد مصر بالمساعدات العسكرية فى شكل منح تتزايد فى المستقبل وفق برنامج التسليح اللازم لنا. كذلك استعداد الجانب الأمريكى لبحث كيفية رفع عبء أقساط الديون الأجنبية اعتبارا من عام ١٩٨٤، وتأكيده أن إسرائيل لن تتمتع بمزايا على حساب حل مشكلة الضفة الغربية. وأنهم لا يستبعدون إمكانية التعاون مع ياسر عرفات إذا ما اتخذ الخطوة السياسية اللازمة، ووعدوا ببحث السبل الخاصة بتشجيعه على المشاركة فى جهود التسوية.

فى أغسطس ١٩٨١، زار الرئيس السادات واشنطن لمباحثاته مع الرئيس الأمريكى وقتئذ رونالد ريجان، وكانت آخر زيارة للسادات للولايات المتحدة، وحضر جلسة المباحثات من الجانب الأمريكى وزير الخارجية، ويليام كلارك مستشار الرئيس للأمن القومى. وكانت مباحثات طيبة.

ولكن السادات ذكر بعد الاجتماع أنه غير مرتاح، وأن من الواضح أن ريجان يحتاج لكثير من المعلومات حتى تستكمل أمامه صورة الموقف فى الشرق الأوسط. وأنه شعر إن ريجان غير مهتم بالموقف بالنسبة للقضية الفلسطينية. وإن كان ريجان قد استجاب لطلبات مصر فى إطار العلاقات الثنائية.

وقمت بناء على توجيه من الرئيس السادات بدعوة الوفد الصحفى المصرى المرافق للرئيس، لمقابلته بمقر إقامته فى بلير هاوس، ليعطى لرؤساء تحرير الصحف المصرية صورة عن المباحثات ونتائجها، فى نهاية الزيارة.

وفى أثناء هذا اللقاء تلقيت اتصالا من هيج بأنه يود أن يتحدث مع الرئيس السادات، فأبلغته بالرسالة. فتحدث السادات وهيج تليفونيا، وسمعت الرئيس يقول له إنه لا مانع لديه. وأنتهى الحديث.

وبعد انتهاء المكالمة سألت الرئيس عما كان يتحدث فيه مع وزير الخارجية الأمريكى. وأجابنى بأن هيج أبلغه أنهم سوف يعيدون ابتداء من غد تسليم الطائرات إف – ١٦ لإسرائيل، وكانت الولايات المتحدة قد قررت فى يونيو ١٩٨١، وقف تسليم هذه الطائرات، لكى تظهر لإسرائيل أن هناك حدودا للمدى الذى تستطيع إسرائيل الذهاب إليه فى استخدامها أسلحة أمريكية. وكان السبب الهجوم الإسرائيلى الذى وقع قبل هذا القرار بأيام على المفاعل الذرى العراقى قرب بغداد.

وأبديت للرئيس السادات عدم موافقتى على أن تقوم الولايات المتحدة بمثل هذه الخطوة وفى اليوم التالى، أى فور مغادرته واشنطن، لأن ذلك سوف يعطى انطباعا بأن هذا القرار تم باتفاق الجانبين، الأمر الذى يعيد للأذهان ما سبق أن فعله مناحم بيجين مع الرئيس السادات، حين صرح بعد سفره عقب لقائه مع السادات فى شرم الشيخ بأنهما اتفقا على أشياء سوف تعلن فى الوقت المناسب. وبعدها ضربت إسرائيل المفاعل الذرى العراقى. مما أوحى بأن هناك اتفاقا على ذلك، وهو ما أثار غضب الرئيس السادات، من هذه الطريقة الإسرائيلية، فى الإيحاء بأشياء لم تحدث.

وكلفنى الرئيس السادات بالاتصال بهيج فى الحال وإبلاغه بأن الرئيس يطلب تأجيل التسليم إلى تاريخ لاحق ولم أتمكن من الاتصال بهيج، فاتصلت بويليام كلارك مستشار الأمن القومى، وأبلغنى أنه شخصيا يوافق الرئيس السادات على رأيه، وأنه سوف يبلغ هذا الرأى لهيج وبتوصية منه، وسوف يرد عليه.

ومن البداية وفور العدوان الإسرائيلى على المفاعل الذرى العراقى ذهبت للقاء السناتور جيمس بيكر زعيم الأغلبية الجمهورية بمجلس الشيوخ وأبلغته بموقف مصر من هذا العدوان، وأبلغنى بيكر أنه سوف يتوجه فى نفس اليوم إلى كامب ديفيد للاجتماع بالرئيس ريجان، الذى كان مجتمعا برئيس المكسيك الذى يزور الولايات المتحدة، وأنه سينقل موقفنا إلى ريجان.

ثم اتصلت بالسناتور تشارلز بيرسى رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، الذى قال لى إنه قام بالتنديد بسلوك إسرائيل. وبعدها أعلن بيرسى فى حديث مع شبكة تليفزيون سى بى إس أن هذا التصرف يسبب حرجا شديدا للرئيس السادات، وأنه يمثل خرقا للقانون الأمريكى.

وحين اتصلت بالسناتور بوشويتر رئيس اللجنة الفرعية للشرق الأوسط بمجلس الشيوخ وجدته أيضا يعرب عن استيائه من إسرائيل، وقال إنه سيتابع الموضوع مع أعضاء لجنته. كذلك أعرب لى كل من جيمس رايت زعيم الأغلبية بمجلس النواب، ولى هاملتون رئيس اللجنة الفرعية للشرق الأوسط بمجلس النواب عن مشاركتهما لموقفنا، وأنهما يبحثان إيقاف المعدات العسكرية لإسرائيل. وأنهما سيعقدان جلسات استماع بالكونجرس لمناقشة هذا الموقف الخطير.

وبدأت جلسات الاستماع تعقد بالكونجرس سرية وعلنية للاستماع إلى شهادات خبراء ومسئولين بالحكومة.

ووجه هيج رسالة رسمية إلى السناتور بيرسى بصفته رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ يقول فيها إن استخدام إسرائيل قاذفات قنابل من صنع أمريكا فى الهجوم على العراق، هو بمثابة انتهاك جوهرى للاتفاق المبرم فى عام ١٩٥٢ بين الولايات المتحدة وإسرائيل، والذى يضع قواعد وشروطا على استخدام الأسلحة الأمريكية الصنع. وأن إسرائيل كانت قد تعهدت بموجب هذا الاتفاق بأن هذه الأسلحة تستخدم فقط فى أغراض

الأمن الداخلى والدفاع الشرعى عن النفس، كما تعهدت بعدم استخدامها فى العدوان ضد أى دولة أخرى مجاورة.

وفى ظل حشد كبير من التأييد من جانب الكونجرس وراء ريجان، فإنه اتخذ قراره بوقف إرسال الطائرات مؤقتا لإسرائيل.

وبالفعل تمت الموافقة على تعطيل تسليم الطائرات إف - ١٦ لإسرائيل، وكان مقررا أيضا أن تبدأ بعدها بيومين تسليمها شحنة من طائرات إف - ١٥ الأكثر تطورا. ولكن تأجل تسليم هذين الطرازين من الطائرات لأربعة أيام.

وكان القرار الأصلى بوقف التسليم فى يونيو ١٩٨١، قد أوضح أن ريجان يريد الإسراع بعملية السلام باعتبارها الهدف الرئيسى للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط. وإن كان ليس من المستحيل الرجوع عن هذا القرار فى ظروف مناسبة.

المواجهة بين ريجان وإسرائيل ومنع تسليمها طائرات إف - ١٦

وكانت قضية هذه الطائرات قد شهدت مواجهة حاولت فيها إسرائيل أن تثبت لنفسها وللإدارة الأمريكية قدرتها على الضغط على صانع القرار الأمريكى وتوجيهه بالشكل الذى تريده. ولكن ريجان خرج من هذه المواجهة بانتصار كان يمثل أول نجاح له فى مجال السياسة الخارجية، نظرا لأن معركته فى مجلس الشيوخ كان لها أبعاد أوسع مدى لدخول إسرائيل وقوى الضغط الصهيونية طرفا رئيسيا فيها. وأثبت نجاحه قدرة الرئيس الأمريكى على أن يحشد وراءه فى الوقت المناسب التأييد اللازم فى الكونجرس، ولدى الرأى العام.

وكان الشعور السائد فى واشنطن أن ريجان أقدم على مخاطرة سياسية محسوبة، لن تغفرها له جماعات الضغط اليهودية. والسبب الذى أضعف موقفها، هو نقل ريجان مواجهته معها إلى الكونجرس ذاته الذى اعتادت أن تضغط على صانع القرار السياسى من خلاله.

وقد أظهرت نتيجة هذه المواجهة أن هناك خطا لا يستطيع الرئيس الأمريكى تجاوزه فى دعمه لإسرائيل، وهو عندما تتعارض المصالح القومية الأمريكية مع المصلحة الإسرائيلية. وأن

الرئيس الأمريكى يملك إمكانات الضغط على إسرائيل لكى تلتزم بالمصلحة الأمريكية لو أنه أراد ذلك.

فى نوفمبر ١٩٨٤، بعد ظهور نتائج انتخابات الرئاسة مباشرة والتى فاز فيها ريجان لفترة ثانية، غادرت واشنطن عائدا إلى مصر، وجاء السفير عبد الرءوف الريدى الذى عين خلفا لى، ليبدأ مهامه فى واشنطن.

الفصل السابع

حرب الموساد السرية ضدنا
فى أمريكا

كانت عيون الخابرات الإسرائيلية (الموساد) تتابعنا فى واشنطن، كما توقعنا - وقد شعرنا بذلك، وبأن ملاحقتها لنا ليس فقط بقصد التجسس، وإنما أيضا لإفساد عملنا فى الولايات المتحدة، ومحاولة الإضرار بالعلاقة المصرية الأمريكية. ولم أكن أخشى من التنصت الأمريكى على ما نقوم به من نشاط، لأنه لم يكن موجها ضد الولايات المتحدة، بل كان نابعا من حرص السفارة المصرية على إيجاد تفاهم أقوى، لكن ما كنت أخشاه هو تنصت الموساد وأهدافها من وراء ذلك. ودفعنى هذا إلى أننى طلبت من القاهرة إيفاد شخص مختص بمواجهة مثل هذا النشاط، لكشف أى عمليات تنصت على السفارة.

وقد تنوعت ألاعيب ومكائد الموساد معنا في واشنطن ففى أوائل شهر يناير ١٩٧٥، تلقيت اتصالا تليفونيا من الكسندر أورفيلا سفير الأرجنتين فى الولايات المتحدة، يبلغنى أن صحفيا أرجنتينيا يدعى كيلى حضر لمقابلته راجيا التوسط لدى السفير المصرى لإجراء حديث للنشر فى الأرجنتين.

وحددت موعدا لهذا الصحفى، لمقابلتى يوم ١٣ يناير ١٩٧٥ وفى الموعد المحدد، وصل أولا مصور، وجلس ينتظر وصول الصحفى كيلى، الذى جاء متأخرا عن موعده بنحو ساعة ونصف الساعة.

استقبلته وأشرت له أن يجلس. وجلست بجانبه. وكلمته بالكلمتين الوحيدتين اللتين أعرفهما فى اللغة الأسبانية "Bonnis Dias" يوم طيب. ورد على بالقول إنه لا يتكلم الإنجليزية. فقلت له إذن لا معنى من إجراء حديث. كان هذا يجرى بينما المصور منهمك فى التقاط صور لنا معا وتذكرت أن بالسفارة موظفا إداريا سبق أن عمل فى بوليفيا، فدعوته ليترجم ما يدور بينى وبين الصحفى كيلى، ولما حضر تبين لى أن كل ما يعرفه من الأسبانية هو ما يحتاجه من كلمات يشترى بها احتياجاته من السوق.

وبإشارة من يد الصحفى كيلى فهمت منه انه مضطر للانصراف ليلحق بطائرته التى ستغادر واشنطن ليعود إلى بلده، فكلفت الموظف الإدارى أن يرافقه إلى المطار.

مضت على هذه الواقعة ثلاثة اشهر، وبعدها كنت مع جوزيف سيسكو عقب عودته مع هنرى كيسنجر من إسرائيل لمحادثات أجرياها هناك. وروى لى سيسكو الواقعة التالية: أن الجانب الإسرائيلى بادرهما بالقول كيف يمكن أن يطمئنوا إلى نيات مصر إذا كان سفيرها فى واشنطن أشرف غربال المعروف بالاعتدال فى الرأى، يصرح بأن هتلر كان على حق فيما

فعله باليهود، وأن العرب سيكملون ما بدأه هتلر. ودلل الإسرائيليون على قولهم بمقال نشره الصحفى الأرجنتينى كيلى فى صحيفة «مارشار» الأرجنتينية متضمنا حديثا أجراه مع أشرف غربال، قال فيه السفير إن الشعوب العربية مقتنعة بأن القضاء على اليهود فى الشرق الأوسط هو نقطة الانطلاق فى أى عملية للتحرير (إلى غير ذلك من الأفكار الخيالية التى لا يعقل أن تصدر عن السفير المصرى، حسب تعبير سيسكو).

وعلق كيسنجر على ما سمعه من الإسرائيليين أنه واثق أن هذا الكلام لا يعكس تفكير أو أسلوب أشرف غربال، وأن اسحق رابين الذى كان من قبل سفيرا فى واشنطن لم يلمس شيئا من هذه الأفكار فى كلام وتصريحات غربال. بل إن رابين نفسه ذكر أنه بحكم اطلاعه على ما يصرح به غربال فى المناسبات المختلفة، يرى أن هذا الكلام المنسوب إليه غير صحيح.

وبينما كان سيسكو يروى لى هذه الواقعة، تذكرت على الفور زيارة الصحفى الأرجنتينى، والصور التى التقطت لنا معا، والكلمتين الوحيدتين اللتين نطقت بهما بالأسبانية وهما يوم طيب.

بعدها أجرى معى المعلق التليفزيونى مارتن جرونسكى حديثا، أشار فيه إلى أنه تلقى من السفير الإسرائيلى فى واشنطن نص ما نشرته الصحيفة الأرجنتينية. وأنه كان ينوى أن يسألنى عن هذا الموضوع، لكنه لن يسأل لاقتناعه بأن مثل هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عنى. لكننى آثرت أن أوضح له قصة الصحفى الأرجنتينى معى.

وفى الحال تلقيت اتصالا من سفير الأرجنتين وأبدى انزعاجه مما حدث وكان هو السبب فيه، ووعدنى بالاتصال بحكومته فى هذا الشأن، ثم بعث لى يوم ٣١ مارس ١٩٧٥ بخطاب يعتذر فيه بشدة عن هذا التصرف، الذى يهدم تماما سمعة ومصداقية هذا الصحفى. وأن حكومته ستعالج هذا الأمر، لأن مثل هذا التصرف من مواطن ارجنتينى يسىء إلى صورة الأرجنتين فى الخارج. وأوضح أن المقال نشر فى صحيفة غير معروفة إلا بين الأوساط المتطرفة والمتعصبة.

وكنت قد اتصلت بسفير مصر فى الأرجنتين ليستطلع ما وراء هذه الواقعة، وبعد فترة قصيرة اتصل بى وقال إنه معروف عن هذا الصحفى كيلى أنه يضع نفسه فى خدمة مخابرات بعض الدول اللاتينية، لتستخدمه فى التشهير بدول أخرى. وأنه يؤجر خدماته لمن يريد.

كانت إسرائيل قد بدأت فى استغلال هذا الحديث المزعوم على أوسع نطاق إعلامى. ففى أول ابريل ١٩٧٥، نشرته وكالة الأنباء اليهودية، وراحت بعض الإذاعات تنقله عنها، واتصل بى سفيرنا فى لندن يحيطنى علما بأن صحيفة الجارديان نشرته أيضا. فرجوته أن يرسل إلى الجارديان تكذيبا، وهو ما فعله، واعتذرت الجارديان عن تسرعها فى النشر، وذكرت الجارديان أن مسئولا بالسفارة الإسرائيلية فى لندن جاء وسلمه لها.

وأعددت تكذيبا أرسلته إلى وكالة الأنباء اليهودية جويش تلجراف، وإلى وكالات الأنباء عموما. ولم تنشر الوكالة اليهودية التكذيب. فاتصلت بفيليب كلوتسينك رئيس المؤتمر اليهودى العالمى الذى كانت تربطنى به صداقة أيام عملنا فى الأمم المتحدة، وهنرى سيجمان عضو مجلس العلاقات الخارجية فى نيويورك، وهما من الشخصيات اليهودية البارزة، وقام الاثنان بالاتصال بالوكالة اليهودية، التى تساءلت هل أصبحتما محاميين عن أشرف غربال. وكان ردهما عليها أنه مادامت تلك هى الحقيقة، فلن يدخرا جهدا فى إظهارها.

ونشرت الوكالة التكذيب ولكن بطريقة مشوشة، مما دفع كلوتسنيك وسيجمان إلى تزويدى بأسماء وعناوين ما يقرب من مائة جريدة ومجلة يهودية تصدر فى الولايات المتحدة، وقمت بإرسال التكذيب لكل واحدة منها، ونشرته نحو ٧٠ صحيفة ومجلة منها.

وقد أظهرت كافة الملابسات المحيطة بهذا الموضوع أن حكاية الصحفى الأرجنتينى كانت من تدبير الموساد، بغرض الإساءة إلى مصداقيتى فى الولايات المتحدة، وإضعاف تجاوب الصحافة الأمريكية معنا، حتى يختفى من تغطيتها للأحداث، أى تعاطف معنا، ويتحول إلى تعاطف مع إسرائيل.

كانت الموساد قد بدأت تشعر بأن لعبتها لم تحقق هدفها لدى الأمريكيين، وإن كانت قد أحدثت تأثيرا سلبيا لى وقتها بين بعض قطاعات اليهود الأمريكيين، إلى أن حدثت فجأة عملية احتجاز رهائن بينهم يهود قمت فيها بتخليصهم، وإنهاء هذه العملية بسلام وهو ما أحدث رد فعل هائلا بين اليهود الأمريكيين، قضى تماما على ما كانت قد دبرته الموساد من حملة تشهير وتشويه مضادة لنا.

ففى أحد الأيام دق جرس التليفون فى منزلى وقت الغداء، كان المتحدث هو مراسل وكالة أنباء الشرق الأوسط فى واشنطن، وأبلغنى أنه سمع أن حادثا وقع فى المركز الإسلامى فى واشنطن، لكنه لا يعرف تفاصيله وسوف يوالى الاتصال بى.

وعلى الفور اتصلت بمكتبى بالسفارة، وكلفت أحد الزملاء بأن يذهب إلى مبنى المركز الإسلامى ليستطلع الأمر. وأن يتجنب اختراق أى كردون أقامته الشرطة حول المبنى.

وخرجت الإذاعة الأمريكية تعلن أن ثلاثة حوادث متشابهة وقعت فى مبنى الحكومة المحلية فى واشنطن، وجمعية بناى بريث التى تؤيد إسرائيل، والمركز الإسلامى فى واشنطن، الذى يقع فى طريق ماساشوسيتس القريب من مبنى السفارة المصرية. لكن لا يعرف حتى تلك اللحظة ما إذا كانت الحوادث الثلاثة مرتبطة ببعضها.

وعاد الزميل إلى مبنى السفارة ليبلغنى بأن المركز الإسلامى محاصر بقوات الشرطة، ويقال إن هناك من اقتحم المركز وسيطر عليه، واحتجز الموظفين فى إحدى الغرف.

واتصلت بألفريد آثرتون مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط لأستفهم منه عما حصل، رد بأنه ليس لديه معلومات أكثر مما سمعته من الراديو، لكنه سيعاود الاتصال بى وأبلغته أننى أرحب بعمل أى شىء يمكن أن يساعد فى حل الأزمة.

وبعد نصف ساعة اتصل بى فيليب حبيب وكيل الخارجية للشئون السياسية، وأبلغنى أن هناك ترابطا بين الحوادث الثلاثة، وأنه بلغه أننى تطوعت للقيام بدور لإنهاء هذه الأزمة وإذا لم يكن لدى مانع فسيرسل لى مدير الشرطة فى واشنطن تنقله سيارة تابعة لهم، لتصحبنى إلى مقر الشرطة ليشرحوا لى الوضع، لأرى ما يمكننى أن أعمله.

ذكرت له أننى مع ترحيبى باتخاذ هذه الخطوة، إلا أننى أشعر على ضوء ما قاله، بأن من الأفضل أن يكون التحرك لمجموعة من السفراء الممثلين للدول الإسلامية، وفعلا اتصلت بأردشير زاهدى سفير إيران وعميد السلك الدبلوماسى الإسلامى وقتها، فعلمت أنه خارج البلاد فى فرنسا، فاتصلت بنائب العميد وكان سفير باكستان يعقوب خان، ورحب بأن يرافقنى، وتوجهنا معا إلى مقر قيادة الشرطة.

ووجدنا أن الشرطة أقامت خط اتصال بينها وبين مقر قيادة المجموعة التى قامت بهذه العملية والتى نفذها أمريكى من أصل إفريقى يدعى عبد الخليص، وقام خلالها باحتجاز رهائن فى المبانى الثلاثة: المركز الإسلامى ومبنى البناى بريث ومبنى الحكومة المحلية.

تكلم مدير الشرطة مع عبد الخليص وأبلغه أن سفيرى مصر وباكستان موجودان معه، ويريدان أن يتحدثا إليه. ورحب عبد الخليص بالتحدث معنا. وشرح سبب عمليته وقال إنه

احتجز الرهائن عن طريق أعوانه فى الأماكن الثلاثة، لأنه ضحية إهمال الدولة، التى تقاعست عن معاقبة من ذبحوا أولاده ولم يلقوا الجزاء الكافى. وكان يشرح فى ألم واضح كيف اقتحم بعض الأشخاص بيته وذبحوا إحدى بناته وأغرقوها فى البانيو. وأوضح أن سبب اختياره لهذه الأماكن الثلاثة، أن اليهود مركز قوة أمريكا، وأن الحكومة هى مركز السلطة، أما المركز الإسلامى فلكى لا يتهمه أحد بالتعصب الدينى. وأخذت أنا وسفير باكستان نشرح له أن الإسلام لا يدعو للتعصب والعنصرية، ولا يقر القتل كما أن من يتحفظ عليهم ليسوا مسئولين عما حدث لأولاده.

بدأ سفير باكستان بالكلام وبدا أن عبد الخليص يتقبل كلامه، إذ ذكر أنه سعيد لأن يتكلم مع سفير باكستان فأستاذه الذى علمه الإسلام كان باكستانيا وأنه - أى عبد الخليص - يرفع علم باكستان على منزله.

وعندما ذكره مدير الشرطة بأن سفير مصر بدوره موجود علق عبد الخليص بأنه غاضب من السادات الذى تحالف مع الشيطان (إسرائيل). اعتبرت كلمته من قبيل الانفعال المصاحب لما قام به. وكان تقديرى سليما إذ طلب بعد فترة قصيرة أن يتحدث معى مما يثبت أنه راجع نفسه.

واقترح أن نعقد اجتماعا فى مبنى بناى بريث حيث يوجد هو فى الطابق الأعلى مع المحتجزين، وأنه سينزل لنا إلى الطابق الأرضى، واشترط ألا يحمل أحد أى سلاح.

وذهبنا إلى المبنى، وتأكد ابن اخته الذى كان فى انتظارنا من أننا لا نحمل أسلحة، فنزل عبد الخليص إلينا، وكان سفير إيران قد انضم إلينا فور عودته من فرنسا فأصبحنا ثلاثة سفراء. وبعد مداولات طلب عبد الخليص أن يخرج من المبنى دون أن يتعرض له أحد، حتى يأمر أعوانه بترك الأماكن التى يسيطرون عليها وبذلك تنتهى الأزمة بسلام أما إذا خرج ويداه مقيدتان فإنه سيتعذر عليه تحمل مسئولية تصرفاتهم. وقد قلنا لمدير الشرطة أنه مادامت الحكومة الأمريكية قد لجأت إلينا نحن السفراء الثلاثة للتدخل، فلن نوافق على أى إجراء صارم ضد عبد الخليص، ومن الأفضل حل هذه المشكلة سلميا.

ووافقت إدارة الشرطة على طلبنا. وأنقذت واشنطن من مذبحة كان ممكنا أن تؤدى لخسائر فى الأرواح والممتلكات. وأنهينا المشكلة فى الساعة الثالثة صباحا.

وعند خروجنا من المبنى وجدنا وسائل الإعلام فى انتظارنا لتتعرف منا على التفاصيل. وكان احمد ابو شادى، المستشار الصحفى بالسفارة، يقف فى شارع ماساشوسيتس بجوار المركز الإسلامى مع كاميرات التليفزيون وممثلى الإعلام الأمريكى، وأبلغنى أن لدى موعدا مع التليفزيون الأمريكى فى السابعة صباحا لأتحدث عن هذا الحادث. فقلت له اتركنى كى أنام. ولكنه عاود الاتصال بى فى منزلى فى السادسة والنصف صباحا لينبهنى لموعدى مع التليفزيون. أسوة بما فعله السفيران الباكستانى والإيرانى.

بعد انتهاء هذه العملية اقامت عمودية واشنطن حفلا لتكريمى مع زميلى الباكستانى والإيرانى ألقيت فيه كلمة قلت فيها لقد فعلنا ما فعلناه لإنقاذ الرهائن ومنهم يهود لأننا لا نقبل أن يضار أحد ظلما، كما لا نقبل أن يلحق اليهود ضررا بأى شعب آخر.

وكان الرئيس كارتر فى نفس يوم إطلاق سراح الرهائن يزور معرضا لتوت عنخ أمون فى المتحف الوطنى، وكان ذلك فى العاشرة صباحا، وقد وجدت هناك لأكون فى استقباله، وبادرنى بكلمة «My hero» بطلنا. وتلقيت آلاف الخطابات من يهود كانوا بين الرهائن، يعرب مرسلوها عن شكرهم وتقديرهم لأننى خاطرت لأقوم بما قمت به.

وقد حدث فيما بعد وفى حفل توديع عام ١٩٨٤ الذى أقامه لى فيليب جيلان رئيس تحرير واشنطن بوست السابق، أن تكلم عدد من الحاضرين بصورة إيجابية للغاية. وجاء دور الكاتب اليهودى ويليام سافاير فقال كنت صهيونيا قبل أن أتعرف على أشرف غربال، وبعد صداقته مازلت صهيونيا ولكن صهيونى على خجل. وكانت معرفتى به قد نشأت أثناء دعوة على العشاء من بربارا والترز - مذيعة التليفزيون الشهيرة - لى ولسفير إسرائيل. وكتب سافاير مقالا تضمن ترحيبا حارا بى، وكنا نلتقى مرة كل شهر لنتبادل الحديث. ولا أدعى إننى غيرت تفكيره، إنما على الأقل جعلته يرى أن للعرب بعض الحق فيما يفعلونه وما يقولونه.

إحباط مؤامرة للموساد لتخريب حقول بترول الكويت

وعادت الموساد تلاحقنا من جديد.

ففى نفس العام كنت فى طريقى من واشنطن إلى القاهرة لزيارة قصيرة، وتوقفت فى جنيف، وأمضيت ليلتى فى أحد فنادقها، وخرجت لقضاء بعض المشتريات، تاركا ضمن حقائبى فى الفندق مظروفا أصفر كبيرا من النوع الذى توضع فيه المستندات، لكن المظروف الذى بدا منتفخا كانت به نحو اثنتى عشرة كرافته، حملنى إياها طبيب مصرى من ديترويت هدية إلى صديقه الفريق صدقى محمود .

وعدت إلى الفندق لأجد المظروف – داخل غرفتى المغلقة – قد قطع بمشرط حاد، ومحتوياته ليست على الشكل الذى تركتها عليه، وكان الذى قام بالتسلل إلى غرفتى يتصور أن يده وقعت على كنز من الوثائق، لكن أمله خاب.

وتتابعت مكائد الموساد، وتعددت، وكنا يقظين لها، فى جميع توجهاتها ضد مصر والدول العربية الأخرى.

ففى يناير ١٩٧٥ علمت من مصادر موثوق بدقة معلوماتها أن ثلاثة مراكب يرجح أنها إسرائيلية ترفع علم ليبيريا، مرت قبل عشرة أيام فى البحر المتوسط، فى اتجاه غرب إفريقيا، وأنها عبرت بالفعل عن طريق رأس الرجاء الصالح، وتبحر بسرعة تتراوح بين ١٠-١٢ عقدة فى الساعة، نحو الخليج العربى.

وعلمت أن دوائر أمنية أمريكية اشتبهت فى أمرها. لكن محاولات الاستطلاع التى بذلت للكشف عن مهمتها لم تفلح. وأكدت لى هذه المصادر أن الاعتقاد كبير فى أنها متجهة إلى مناطق البترول فى الكويت لتنفيذ أعمال تخريبية، يكون الهدف منها ضرب العلاقة العربية الأمريكية.

على أثر ذلك جرت اتصالات مع إيران، ونسقت أجهزة الأمن الأمريكية جهودها مع شاه إيران لمنع هذه المؤامرة الإسرائيلية، وبالفعل استعدت البحرية الإيرانية، وقضت على هذه المحاولة قبل حدوثها.

المخابرات المصرية تفجر الحفار فى إفريقيا

وكانت لنا معهم قبل ذلك حادثة الحفار فى عام ١٩٧٠. فقد أبلغنى ريتشارد باركر أن حكومته تلقت معلومات تفيد بأن إسرائيل جهزت حفارا لاستخراج البترول من تحت الماء فى خليج السويس. وأن الحفار سيمر برأس الرجاء الصالح حول إفريقيا متجها إلى خليج العقبة، وبعدها إلى خليج السويس.

وأدركت من حديثه معى أن الحكومة الأمريكية لم تكن راضية عن تكثيف إسرائيل لعملية استغلالها لبترول سيناء التى تحتلها، وأن هذا التطور من شأنه تعقيد الأمور بين مصر وإسرائيل بدلا من تحسين الأجواء وتشجيع الوصول لحل سلمى وأن باركر كان ينقل لى رأيا يعبر عن موقف حكومته.

وبدأنا نتابع يوميا، رحلة الحفار والأماكن التى وصل إليها، وأبعث إلى القاهرة أولا بأول بهذه المعلومات، وتحركه بمحازاة سواحل إفريقيا فى طريقه إلى الخليج.

كانت رحلة الحفار قد بدأت بمغادرته الموانى الكندية بطريقة غامضة، وأحيطت بسرية كاملة، تجره المقطورة الهولندية جاكوب فوه هيمز ايرو، ثم وصل إلى غرب إفريقيا، إلى أن وصل يوم ١٤ مارس إلى ميناء أبيدجان عاصمة كوت ديفوار (ساحل العاج).

وكنت قد توجهت إلى القاهرة، وحضرت اجتماعا مع وزير الخارجية محمود رياض ناقشنا فيه هذا الموضوع، فى الوقت الذى شكلت فيه لجنة ضمت مسئولى المخابرات، وممثلى وزارة الدفاع، وصلاح جوهر وكيل وزارة الخارجية، انتهت من بحثها للموضوع إلى خطة للتخلص من الحفار، قبل أن تتمكن شركة مونكريف صاحبة الحفار بالتعاون مع الإسرائيليين من الوصول به إلى خليج العقبة.

وتم تنفيذ الخطة بمشاركة المخابرات المصرية، وفريق من كوماندوز رجال القوات البحرية، الذين وصلوا إلى غرب إفريقيا، وفجروا الحفار الذى دمرت أجهزته وأصبح غير صالح للعمل.

وكانت إسرائيل قد حاولت أثناء المفاوضات الخاصة بمعاهدة السلام، أن تجعل مصر تقبل إعطاء شركة مونكريف حق امتياز استخراج البترول من آبار سيناء، إلا أن الجانب المصرى رفض فلم يكن مقبولا أن تكافئ مصر شركة عاونت العدو فى استغلال ما استولت عليه إسرائيل فى سيناء.

بينما كانت شركة أموكو التى قامت باستغلال بترول خليج السويس بعد استكشافه لحساب مصر، لها دور مهم فى معاونتى فى واشنطن فى التعرف على أعضاء الكونجرس، ودعم موقفى لديهم. بالإضافة إلى أن هذه الشركة احترمت تعهداتها مع مصر فلم تتعامل مع إسرائيل وقت احتلال سيناء. ولذلك استمرت مصر فى التعامل مع أموكو.

ولقد حدث معنا موقف قريب من هذا فيما بعد، عندما زارنى فى أكتوبر ١٩٨٠، جيمس شلزنجر وزير الدفاع السابق، وقد أصبح مستشارا لشركة «ليمن» التى يعمل بها أيضا بيتر بيترسون وزير التجارة السابق، وجورج بول وكيل الخارجية السابق.

وذكر شلزنجر أن سبب زيارته لى أن هيئة إسرائيلية طلبت منهم تمثيلها فى وضع الدراسات اللازمة لتنفيذ وتمويل مشروع لشق قناة من البحر الأبيض إلى البحر الميت لتوليد الكهرباء. وأن التفكير المبدئى كان يرمى إلى أن تبدأ القناة من شمال غزة نحو البحر المتوسط. وأنه جاء ليستوضح رأينا فى هذا الموضوع.

وكان ردى عليه أننا نعتبر هذا موضوعا يخص السلطة الفلسطينية فى المقام الأول، وأنهم أصحاب القرار، وإن كنا من ناحية الإطار العام لا نرى ما يمنع من مشروعات تخدم مختلف الأطراف، بشرط أن توافق هذه الأطراف عليها.

ووعد شلزنجر بوضع هذا الأمر فى اعتبارهم، وبموافاتى فيما بعد بأى تطور فى هذا المشروع.

ولعلى أتذكر فى هذا المقام من ملاحقة الموساد لنا، وردنا بإحباط محاولاتها التخريبية، قصة محاولات الموساد إفساد رحلة لفتاة مصرية إلى الولايات المتحدة عام ١٩٦٩، خشية أن تلقى تعاطفا يؤثر على حملات إسرائيل الدعائية الموجهة للأمريكيين بصورة مستمرة.

فبعد انتخاب نيكسون رئيسا للولايات المتحدة تلقى رسالة تهنئة من الفتاة المصرية نجلاء هدايت حلمى وكان والدها ضابطا بالسلاح الجوى، وكلف بقيادة الطائرة التى استقلها نيكسون عند زيارته لمصر عام ١٩٦٣، وكان معه فى زيارته للأقصر، وعندما قامت حرب ١٩٦٧ استشهد فيها هذا الضابط الطيار. وكان نيكسون قد وعده بأنه سيدعوه لزيارة واشنطن لو أنه انتخب رئيسا للولايات المتحدة.

ورد نيكسون على الطفلة برسالة ذكر فيها أنه يتذكر والدها ويحمل له ذكريات طيبة، وأنه يعبر لها عن أسفه ومواساته لها فى موته، ودعاها لزيارته فى البيت الأبيض، فى حالة قدومها إلى واشنطن.

وبالفعل حضرت الفتاة إلى واشنطن ترافقها والدتها، وكنت فى استقبالها فى المطار، ومعى وارين باركر نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط التى نظمت الرحلة. وتلقت الاثنتان دعوة من نيكسون لتناول الغداء معه فى البيت الأبيض يوم الاثنين ٢٣ يونيو ١٩٦٩. ونشرت الصحف الأمريكية كلمات رقيقة عن الفتاة. وفوجئت باتصالات إسرائيلية بالصحف الأمريكية وراءها الموساد تزودها بوثائق مزورة، تزعم أن والد الفتاة مات فى حادث سقوط طائرة نقل أفراد، وليس فى الحرب.

واتصل بى باركر يبلغنى أن مراسلة مجلة نيوزويك طلبت مقابلته، وقدمت له معلومات تزعم أن الفتاة كذبت على نيكسون، فوالدها لم يمت فى حرب ١٩٦٧، ولكن سقطت به طائرة نقل بعيدا عن ميدان القتال. وأن جريدة الأهرام هى التى مولت رحلة الفتاة، وأنها تنوى نشر قصة هذه الفتاة وأحداث رحلتها من بدايتها إلى نهايتها. وكانت صحيفة الأهرام قد تكفلت بالفعل بتمويل رحلة نجلاء.

وشعرنا بأن الموساد تتحرك فى كل الاتجاهات لتشويه رحلة الفتاة. فقلت لباركر لو أن هذه الصحيفة استمرت فيما ترديده ونشرت مزاعمها فسوف أعقد مؤتمرا صحفيا أشرح فيه الحقيقة، وأبين كيف أن هذه الصحيفة تقوم بعملية تحرش Harassment لفتاة لم يتجاوز عمرها الأربعة عشر عاما، إن الفتاة التى وصلت إلى هنا وهى تشعر بالفرحة لاستقبال الرئيس الأمريكى لها، هى الآن فى رحلة إلى ديزنى لاند بولاية فلوريدا، وأن إسرائيل تصب عداءها على كل ما هو مصرى حتى الأطفال.

لاحظت وأنا اتكلم فى التليفون أصواتا تبين أن هناك من يتنصت.

لكن رحلة نجلاء تمت بنجاح واستقبلها نيكسون فى الموعد المحدد يوم ٢٣ يونيو ١٩٦٩. وقضت مع الرئيس ثلاثين دقيقة فى مكتبه البيضاوى، ثم قامت – ترافقها والدتها – بجولة مع ابنته فى البيت الأبيض، وبعدها تناولت الغداء مع نيكسون وزوجته وابنتيه.

الموساد ترغم كيسنجر
على إلغاء لقاء مع سرطاوى

وكانت للموساد عيونهم التى تتابع أى شخص موضع اهتمامهم، من لحظة وصوله إلى مطار امريكى، حتى ولو كان وصوله محاطا بالسرية فقد حضر لمقابلتى عصام سرطاوى أحد القيادات المعتدلة فى منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك عقب وصوله إلى واشنطن، وطلب الاجتماع بى، فرحبت به، وكان معه عضو آخر بالمنظمة. وروى لى تفاصيل تصرفات غريبة وعدائية تعرضا لها من سلطات أمن أمريكية، رغم أنهما جاءا بجوازات سفر صالحة، وتأشيرات دخول قانونية، بل إن حضورهما تم بالاتفاق مع هنرى كيسنجر نفسه، ولهذا فهما فى حيرة من أمر هذه التصرفات.

والذى حدث أنهما فور وصولهما للفندق الذى نزلا فيه فى واشنطن سمعا طرقا شديدا على باب الغرفة، وفتحا الباب فدخلت مجموعة من رجال الأمن الأمريكيين، زعموا أنهم يبحثون عن إرهابى عربى تقول معلوماتهم إنه ينوى تنفيذ أعمال إرهابية على الأراضى الأمريكية، وطلبوا الاطلاع على أوراق سرطاوى وزميله الخاصة بدخولهما الأراضى الأمريكية، وراحوا يوجهون إليهما أسئلة عما ينويان عمله فى واشنطن، وكانوا يتكلمون بلهجة توضح رغبتهم فى التحرش بهما بأى شكل. وعند مغادرتهم الحجرة، أبلغوهما أنهم سيعودون مرة أخرى لاستكمال الاستجواب.

استمعت إلى ما رواه لى عصام سرطاوى، واتصلت تليفونيا فى الحال بكيسنجر، وأبلغته بما سمعته، فوجدته يرجونى بإلحاح واضح إقناع سرطاوى وزميله بمغادرة الولايات المتحدة. وشعرت من لهجته بأنه تورط فى ترتيب حضورهما إلى واشنطن، وقد صرح لهما بالحضور بناء على طلبهما لإجراء مناقشة قد تؤدى إلى تفاهم يفتح الباب أمام تسوية سلمية للنزاع الفلسطينى الإسرائيلى. خاصة أن سرطاوى معروف بانتمائه للجناح المعتدل فى منظمة التحرير، وهو الجناح الذى يبدى استعدادا لطرق باب المفاوضات مع الولايات المتحدة، على أمل استجابتها للمطالب الفلسطينية.

ويبدو أن كيسنجر وهو المعروف عنه ترحيبه بهذا النوع من الدبلوماسية السرية، قد أحاط خطوته هذه بالسرية التامة، بحيث لم تعرف بها إسرائيل، إلا بعد وصول سرطاوى وزميله إلى

واشنطن. وحيث يوجد لإسرائيل عملاء فى كل مكان، ومن الطبيعى أن تكون تحركات شخص مثل سرطاوى، خاضعة لمراقبة دقيقة من جانبهم.

ولابد أن تكون الحملة التى بدأت على كيسنجر بعد انكشاف أمر وصول سرطاوى، شديدة للغاية، مما دفعه للتراجع عن خطته، ومن ثم جاء تصرف أجهزة الأمن الأمريكية على هذا النحو.

ومن جانبى ذكرت لكيسنجر فى اتصالى التليفونى معه، إننى لم أكن أتوقع أن تقوم السلطات الأمريكية بمثل هذه التحرشات التى يجب أن تتوقف فورا، وأننى سأحاول إقناع سرطاوى بمغادرة واشنطن فى أول فرصة، شريطة أن يعدنى كيسنجر بأن تتوقف هذه التصرفات الاستفزازية مع سرطاوى. ووعدنى كيسنجر بأنه سيفعل.

وكان مقررا بعد ظهر نفس اليوم عقد اجتماع للسفراء العرب، وقد عرضت عليهم ما حدث.

ويبدو أن الاتصالات المباشرة وغير المباشرة عن طريق مخابرات الجانبين الأمريكى والفلسطينى قد سهلت هذه الفكرة، لكن تعذر التنفيذ، إذ لابد أن إسرائيل لم تكن مرحبة بهذا اللقاء، أو بفتح الباب للوصول إلى تسوية مع الفلسطينيين، فى الوقت الذى كانت تحصل فيه بصورة متصلة على وعود أمريكية بعدم الدخول فى مباحثات مع الفلسطينيين، مادامت إسرائيل تفرض الأمر الواقع فى الضفة وغزة. وكان يساعدها تغلغل اللوبى اليهودى فى الحزبين الجمهورى والديمقراطى وبين أعضاء الكونجرس، من الذين تسيطر على مواقفهم أسباب سياسية شخصية، لدرجة أن كثيرا من أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب فوضوا مساعديهم التوقيع نيابة عنهم على أى خطاب أو بيان يرسل إلى رئيس الجمهورية لتأييد إسرائيل، دون أن يعطوا أنفسهم فرصة قراءة ما سيحمل توقيعهم، مادام هو لصالح إسرائيل.

وهكذا كان عملاء الموساد فى الولايات المتحدة، وراء إفساد ترتيبات لشخصية مسئولة فى مستوى كيسنجر، وإجباره على التراجع عن هذه الترتيبات.

الفصل الثامن

كيف تُصنع السياسة الخارجية فى أمريكا؟

النظام السياسى الأمريكى مختلف عنه فى أية دولة أخرى، وتركيبة أمريكا الداخلية هى تركيبة غير عادية، ليس لها شبيه فى أى دولة أخرى، بما فى ذلك بريطانيا، فلا يكفى مثلا عندما يزورها رئيس مصر أن يلتقى مع الرئيس الأمريكى ويتباحث معه، بل يجد من الضرورى أن تكون أى أمور يتفقان عليها تحظى بتأييد الكونجرس، الذى يملك دعم هذا الأمر، ولديه قرارات الموافقة على الاعتمادات التى تقدم لها سواء عسكرية أو اقتصادية أو غيرها. وأنت فى الولايات المتحدة ملزم بأن تخطب ود كل الجهات المؤثرة على السياسة الخارجية بما فيها الكونجرس والإعلام والصحافة والرأى العام. ولكى يكون السفير مؤثرا وناجحا فلابد له أن يكون على صلة وثيقة بجميع هذه المراكز.

والأمريكيون مولعون بما يسمونه توازن السلطات فى السياسة الخارجية. وفى الدول الديمقراطية فى العالم الغربى سواء إنجلترا أو فرنسا أو باقى الدول الأوروبية فإن ما يتفق عليه وزير الخارجية مع دولة أخرى يكون ممثلا لسياسة الدولة. وإذا طلبت أى دولة مساعدة من إحدى هذه الدول، فإن ذلك يتقرر دون ضرورة للتحدث مع عدة مراكز أخرى فى هذه الدولة لأن ما يقوله وزير الخارجية يصبح قرارا.

أما فى الولايات المتحدة فيتعين أن تجرى اتصالات فى اتجاهات متعددة. وإذا كان الموضوع يتعلق بنواحٍ اقتصادية فعليك أن تعالج الأمور مع وزارة الخارجية ووزارة الاقتصاد ثم مع رؤساء الإدارتين فى الوزارتين، ثم مع وزارة التجارة أو المالية بمختلف درجاتها، ثم أعضاء الكونجرس، على أن تبدأ الاتصالات مع الأفراد المختصين فرادى.

وهنا تلعب دورها سياسة الضغوط على أعضاء الكونجرس مباشرة أو عن طريق مساعديهم. ويتمتع المساعدون بقوة كبيرة جدا فى التأثير على من يعاونونهم من الأعضاء.

وفى الكونجرس تعرض الأمور أمام لجان فرعية ثم لجان عامة ومن ذلك مثلا تعيين سفير أمريكى فى الخارج، إذ لا يمكن أن يسافر إلى الدولة المعين فيها ويباشر عمله إلا بعد صدور قرار بموافقة لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ. ولابد أن يصدر أى تشريع بشقيه السياسى والمالى معا حتى يصبح ملزما وإذا حدث خلاف، تعقد اجتماعات مشتركة بين اللجنتين العامة والفرعية المختصتين بالموضوع المطروح وهذا أسلوب معقد لكنه يسير بكفاءة.

وكما ذكرت فإن رأى كل عضو سواء من النواب أو الشيوخ له وزنه واعتباره عند اتخاذ أى قرار. ولابد أن يكون الاتفاق محققا فى مجلس الشيوخ والنواب قبل أن يصدر التشريع وبعد أن يوقعه الرئيس فى النهاية يصبح قانونا ملزما.

هذا فى الوقت الذى يتحدث فيه الدستور الأمريكى عن أن السياسة الخارجية من صميم اختصاص رئيس الجمهورية تبعا لمبدأ توازن السلطات، وإذا اعترض رئيس الجمهورية على تشريع أقره الكونجرس عندئذ يسقط قرار الكونجرس. ما لم يؤكد الكونجرس بمجلسيه فى تصويت جديد وبأغلبية الأصوات نفس القرار. وهو ما يسمونه Sense of Congress رأى الكونجرس. والتشريع فى هذه الحالة أى رأى الكونجرس يعتبر قرارا مخففا غير ملزم للرئيس بوجوب تنفيذه، وذلك تبعا لمبدأ توازن السلطات وهذا ينطبق على القرار الذى صدر فى عام ١٩٩٦ بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، والذى لم ينفذه الرئيس، وعلق تنفيذه.

وكان هذا الموضوع قد أخذ منا مجهودا ضخما لتعطيله حتى لا يكون ملزما ولو من الناحية النظرية لخطوات الحكومة مستقبلا إلى أن تحل مشكلة الشرق الأوسط.

وكنت أبذل جهدا كبيرا بين أعضاء الكونجرس للحيلولة دون تحويل هذا الرأى Sense of Congress إلى قرار واجب التنفيذ. وأذكر أنه فى الأسبوع الأخير لعملى سفيرا فى أمريكا قبل مغادرة واشنطن عام ١٩٨٤، حدث أن توم لانتوس عضو مجلس النواب عن كاليفورنيا، وهو يهودى هارب من ألمانيا النازية بعد أن رأى أفراد عائلته يقادون إلى المعتقلات النازية، وهو شخص شديد التعصب لإسرائيل هو وزوجته ومعارض دائما لأى رأى أو خطوة لا تخدم إسرائيل، قد أثار حملة لإصدار تشريع بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس. وبادرنا سفير المغرب وأنا بدعوة لانتوس على عشاء، لكى نهدئ من تحفزه لإصدار هذا التشريع، ونهيىء جوا يساعد على اتفاق بين العرب وإسرائيل، فى فترة حكم الوزارة الائتلافية بين الليكود وحزب العمل عام ١٩٨٤.

وقد استطعنا فعلا تهدئة اندفاعه فى حملته لإصدار هذا التشريع، والذى عاودت القوى اليهودية حملتها لإصداره ونجحت فى ذلك عام ١٩٩٦. هذا هو حال العلاقة الرسمية بين أجهزة الدولة. أما من الناحية العملية فالمؤثرون فى قرار السياسة الخارجية عديدون، من أهمهم مراكز البحوث think tanks التى زادت أعدادها بدرجة ملحوظة على مدى السنوات الماضية. فالمسئولون فى الحكومة منتقون فى كثير من الأحيان من الشخصيات البارزة فى هذه المراكز، مثل بروكنجز، ومجلس العلاقات الخارجية، ومركز جورج تاون للدراسات الاستراتيجية، ومؤسسة هيريتاج، ومعهد الشرق الأوسط، ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى وغيرها كثير. وهذه الشخصيات تتبادل المواقع فى انتقالها بين هذه المراكز وبين مواقع

المسئولية. وكان هذا يدعم واقع استمرارية السياسة الخارجية أكثر من تغييرها، ويكشف عن دور هذه المراكز فى وضع السياسة الخارجية فى كثير من الأحيان، وعلى سبيل المثال فإن اتفاق كامب ديفيد الذى وضع أسس السلام بين مصر وإسرائيل، كان فى الأصل خلاصة دراسة وضعها معهد بروكنجز وشارك فيها بدور رئيسى زبجنيو بريجنسكى مستشار الأمن القومى للرئيس كارتر، وذلك وقت أن كان من خبراء معهد بروكنجز.

كذلك كان مارتن اندريك الذى عين مساعدا لوزير الخارجية للشرق الأوسط، ثم سفيرا فى إسرائيل. وكان قبل ذلك مديرا لمعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى وهو فى الأصل يهودى استرالى تجنس بالجنسية الأمريكية ليصبح فى اليوم التالى سفير أمريكا لدى إسرائيل ثم مساعدا لوزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط فسفيرا فى إسرائيل مرة أخرى إلى الخارجية.

ويأتى تمويل هذه المراكز فى غالبيته مما تسهم به الشركات وهى بالطبع أموال غير خاضعة للضرائب، فهى مؤسسات ليست للربح إنما لتدعيم جهاز الدولة، بلفت نظر المسئولين لما يجب اتخاذه من سياسات أو تحديث أى تشريع.

والحقيقة الملموسة أن إسرائيل نجحت فى التغلغل فى هذه المراكز بحيث وضعت عددا كبيرا من المؤيدين لها فى مختلف هذه المراكز وكانوا من النشاط بحيث نجحوا فى توجيه التفكير الأمريكى نحو كل ما يخدم إسرائيل، وأن قوتهم الإعلامية ضخمة لتغلغلهم فى ميدان الصحافة والإعلام بشقيه المرئى والمكتوب. كل هؤلاء مجتمعين يمثلون فى أمريكا اللوبى – بمن فيهم من أشخاص – وصحافة – وتليفزيون – ومراكز بحث – وجماعات ضغط، وأفلام السينما.

وفى رأيى أن إسرائيل وعت منذ عام ١٩٥٦ إلى أين تذهب لتحقيق أطماعها وكيف تعمل لتحقيق خطتها فى التحكم فى السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط.

فبعد أن قامت فرنسا وإنجلترا وانضمت إليهما إسرائيل بالعدوان الثلاثى على مصر، وفرض الرئيس ايزنهاور على هذه الدول الثلاث الانسحاب الكامل من مصر، فقد تأكد من يومها أن قيادة العالم الغربى أصبحت فى يد الولايات المتحدة التى ورثت الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية. يومها استوعبت إسرائيل هذا التحول فى ميزان القوى العالمى وقررت من يومها التركيز على الولايات المتحدة.

ووضعت الحركة الصهيونية المنظمة والدقيقة خططها طويلة المدى، للنفاذ بكل الملايين المنتمين للحركة الصهيونية لاحتلال كل المراكز المؤثرة فى الولايات المتحدة.

قبل ذلك كان العالم كله قد تغير بانتهاء الحرب الثانية عام ١٩٤٥. وكان لدور الولايات المتحدة أثناء الحرب وإنقاذها لأوروبا الغربية وإعادة تعميرها وإنعاشها بكل إمكاناتها الإنتاجية والعسكرية والمالية أثره الحاسم فى انتصار الديمقراطيات الغربية على النازية والفاشية. ومع أن الاتحاد السوفيتى شارك فى هذا النجاح بكل قوته وإمكانياته، فقد كان لابد أن يبدأ نزاع بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، لأن كلا منهما بدأ يسعى لأن تكون له الهيمنة العالمية على حساب الآخر.

وانتهى القرن العشرون بتغلب الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتى فى صراع البقاء بين نظامين سياسيين متنافرين، ودون أن يتطور النزاع إلى صدام عسكرى بينهما، وظل محصورا فى مواجهات الحرب الباردة ولعب اليهود دورا كبيرا فى استغلال الحرب الباردة لمصلحتهم، وركزوا على الغرب - أوروبا فى البداية - ثم أمريكا بعد ذلك خاصة بعد عام ١٩٥٦، وإدراكهم مغزى إرغام ايزنهاور كلا من إسرائيل وفرنسا وإنجلترا بالانسحاب من الأراضى المصرية، وقد تبين لإسرائيل أنه من الأصلح لها أن تركز كل اهتمامها على الولايات المتحدة والوصول إلى التحكم فى أماكن صنع القرار.

ونتيجة الحملة المنظمة التى تحركت بها إسرائيل للسيطرة على مراكز اتخاذ القرار. فإنها أصبحت داخلة ضمن المصلحة الاستراتيجية للولايات المتحدة، وكأنها امتداد لها، وإن لم يكن امتدادا جغرافيا ونجحت خطة إسرائيل فى إقناع واشنطن بأنها هى التى تستطيع أن تحمى مصالح الولايات المتحدة فى المنطقة، وعلى رأسها البترول الذى اعتبر حيويا للعالم الغربى.

إلى أن جاءت حرب ١٩٧٣، وانهزمت إسرائيل فى المعارك القتالية باعتراف مسئوليها واعتراف المسئولين الأمريكيين بأنه لولا الجسر الجوى بين أمريكا وإسرائيل الذى نقل الدبابات على طائرات النقل التابعة للقوات الجوية الأمريكية، حيث وصلت الدبابات والمعدات العسكرية الأخرى للجيش الإسرائيلى فى العريش أمام أعين الجميع، لولا هذه المساعدات ما كان يتوافر لإسرائيل أى إمكانية للتفاوض على أرض صلبة فيما بعد.

وأذكر أننى طالما نبهت فى فترة عملى فى أمريكا من ١٩٦٨ - ١٩٧٢، إلى أن المساعدات العسكرية الأمريكية لإسرائيل، تشكل خطرا شديدا، ليس على منطقة الشرق الأوسط فقط،

إنما بالنسبة لأمريكا ذاتها، إذ ستجد أمريكا أنها فى وقت معين غير قادرة على كبح جماح الأطماع الإسرائيلية، وسوف تجد أمريكا نفسها منغمسة فى نزاع مع دول لم يكن من أهدافها من البداية أن تدخل معها فى نزاعات.

وكنت أجد تعاطفا معنا فى مختلف القطاعات بما فيها بعض الصحف، وبعض مراكز البحث، وإدارات الحكومة الفيدرالية وبينما أجد فى مختلف التجمعات آذانا صاغية فإننى للأسف لم أجد قرارات تعكس ذلك.

وإننى لا أنسى واقعة سجلتها فى واحدة من رسائلى إلى وزير الخارجية ترسم من زاوية نظر أمريكية، هذا الوضع المؤثر لليهود الأمريكيين على سياسة أمريكا فى الشرق الأوسط، وفى تلك الرسالة التى أرسلتها فى ٣١ يوليو ١٩٦٨ سجلت ما يلى:

١- حضر لزيارتى بعد ظهر اليوم جون ماكلوى وتحدثنا حول محاضراته التى ألقاها وذكرنى بأننا تقابلنا فى Council of Foreign Relation مجلس العلاقات الخارجية فى محاضرة حضرها عدد كبير من المهتمين بالشئون الدولية وشخصيات يهودية أمريكية بارزة.

٢- كان محور كلامه فى المحاضرة أن من حكمة السياسة توقع الأحداث وإعداد العدة لمواجهتها والاستفادة من فرصها. وأنه للأسف مضطر لأن يصرح بأن الإدارة الأمريكية تركت أزمة الشرق الأوسط تتسرب من يدها - وبذا أضاعت فرصا مواتيه لحل المشكلة حلا سلميا .

٣- كان لخطابه أثره الكبير فى اليهود وتعاقبوا على الاتصال به والتعليق عليه لعدة أيام بعدها وحتى الآن.

٤- من بين من زاره فى منزله بعدها سفير إسرائيل فى واشنطن إسحق رابين - وبالطبع كان غرضه أن يغير ماكلوى اتجاهه وإقناعه بالرأى العكسى.

٥- وشرح لى ماكلوى أن ماكجورج بندى كان بين الحاضرين وقد توجه لماكلوى بعد المحاضرة معاتبا على هجومه عليه - رغم أن ماكلوى لم يذكر اسم بندى فى المحاضرة - واستند بندى على أن الكونجرس كلفه بمعالجة موضوع الشرق الأوسط وقضيته ووضع حلول لها، وهو تكليف قائم وأن معنى كلام ماكلوى فى نظر بندى - أن بندى أهمل فى واجبه.

٦- يعتقد ماكلوى أن خطابه وكلامه كان من بين الأسباب التى دفعت بندى لاتخاذ قرار القيام بزيارة للمنطقة.

٧- ذهب بندى لتناول العشاء مع ماكلوى مساء الثلاثاء ٣٠ يوليو ١٩٦٨ (أى الأمس) مبديا الرغبة فى المقارنة بين اتصالات كل منهما أثناء رحلتيهما فى المنطقة ورد الفعل الذى خرجا به.

٨- ذكر بندى أنه خرج من زيارته بأنه غير متفائل، وأن السيد الرئيس عبد الناصر – على غير ما سمعه عنه – كان متحفظا معه ولم يفتح له قلبه على حد تعبيره – وبالتالى فلم يشعر بندى بأن هناك رغبة قوية فى دفع الأمور نحو حل سلمى، أو أن الأمور فى الجمهورية العربية المتحدة مازالت غير مهيأة للوصول إلى مثل هذه التسوية.

٩- ذكر ماكلوى أنه شرح لبندى أنه ربما يرجع ذلك إلى أنها أول مقابلة له مع عبد الناصر، بينما ماكلوى على علاقة طيبة ووثيقة بالرئيس عبد الناصر منذ سنوات طويلة، وأكد اتجاهنا ورغبتنا التى لمسها ماكلوى من حديثه مع السيد الرئيس للوصول إلى حل سلمى وأنه لا يرغب فى أى مغامرات عسكرية.

١٠- ذكرت أننى ألمس من معلوماتى أن بندى ركز قبل وصوله وأثناء الترتيبات التى كلف بها جيمس ليسكوم مندوب مؤسسة فورد بالقاهرة، ثم أثناء زيارة بندى نفسه بصفته كرئيس للمؤسسة المذكورة – كما أعلم - على أن جزءا كبيرا من حديثه مع السيد الرئيس كان عن مشروعات المؤسسة.

١١- أعطى بندى لماكلوى انطباعه عن زيارة لإسرائيل مبينا:

أ- أن إسرائيل تجتاحها موجة من العجرفة وأن الصقور لهم الغلبة حاليا وأن المعتدلين متحفظون.

ب- أن الكل استعمل معه نفس الأسلوب عند الكلام عن
الحدود الآمنة لإسرائيل Maximum Security
Minimum Arabs
بمعنى توفير أقصى درجات الأمن لإسرائيل، وأقل التنازلات للعرب.

ج- أن القدس – كما يشعر بندى – لا تعتبر، رغم ما يظن الكثيرون، مشكلة مستعصية. وهناك تفكير فى إسرائيل فى إقامة ممرات للأماكن المقدسة بحيث يمكن للعرب زيارتها دون مرور بإدارات إسرائيل.

أما الإدارة فيمكن أن تكون عن طريق التمثيل المشترك by representation.

د- يشعر بندى بأن إسرائيل تصمم على المفاوضات وعقد معاهدة صلح بغرض تكتيكى وأنها فى النهاية ستتقبل بحث الأمور الموضوعية والوصول إلى تسويات عبر هذا الطريق.

١٢- استفهم بندى من ماكلوى عن رأيه فى موضوع الأراضى العربية المحتلة والحدود الآمنة لإسرائيل - وبين ماكلوى أنه يتصور نزع سلاح سيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان - وذلك ضمن التسوية النهائية التى يجب أن تتضمن انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضى العربية ولا مانع - حسب ما ذكره الملك حسين لماكلوى - من تصحيحات متبادلة فى الحدود.

١٣- علق بندى بأنه لاحظ وجود اتجاهات قوية فى إسرائيل تنادى بضرورة الحصول على مكاسب إقليمية بحيث تعطى إسرائيل بعض الحركة والمرونة، وأكد ماكلوى أن تأمين حدود إسرائيل ومستقبلها يتطلب عدم توسع حالى أو مستقبلى.

١٤- ذكر بندى لماكلوى أنه بعد هذا الحديث يشعر بتفاؤل أكبر وبإمكان وجود حلول عملية.

١٥- أما بالنسبة لموقف أمريكا فقد ذكر ماكلوى أن بندى لا يشعر بأن الوقت الحالى مناسب لأن يتخذ جونسون أى إجراء بسبب الانتخابات وآثارها وردود فعلها.

١٦- كما أنه معروف أن بندى يعمل مستشارا لهيوبرت همفرى نائب جونسون فى المعركة الانتخابية، ويعتقد ماكلوى أن بندى هو الذى أشار على همفرى - لأغراض المعركة - إصدار تصريحه بمنح إسرائيل طائرات نفاثة، مع تحديد نوعها.

١٧- ذكر ماكلوى أنه يعرف أن جونسون كان يريد - بعد قراره بالخروج من المعركة الانتخابية - اتخاذ إجراءات فاعله لحل القضية - وأنه كان مدفوعا برغبة قوية لترك الحكم بإنجازات براقة. إلا أنه - أى ماكلوى - لاحظ أن جونسون تراخى فى موقفه ويعتقد أن كلارك كليفورد الذى يعتبره جونسون مستشاره العام بجانب وزيره للدفاع نصحه بالتروى فى أى تحرك فى الشرق الأوسط.

١٨- يرى ماكلوى أن دين رسك وزير الخارجية وقد أجهدته متاعب المعارضة القوية للسياسة الأمريكية فى فيتنام - وبالتالى فهو على غير استعداد للدخول فى معركة بالنسبة للشرق الأوسط وفى هذا الوقت بالذات.

١٩- وعليه فيستبعد ماكلوى أن تتخذ الولايات المتحدة أى إجراء فعال أو حاسم فى الموضوع قبل انتهاء الانتخابات.

٢٠- تناول الحديث موضوع العلاقات السوفيتية الأمريكية وذكر ماكلوى أن هناك مجموعة كبيرة فى الخارجية والإدارة عامة - بخلاف البنتاجون - وكذا فى الجامعات وما توفره من مستشارين للإدارة والمرشحين للرئاسة، تعلق أهمية كبرى على سياسة التهادن مع روسيا، والغريب أن أغلبها من اليهود ذوى النفوذ والحيثية - رغم سياسة السوفيت ضد إسرائيل - كما لا ترى ضررا من وجود السوفيت فى البحر الأبيض مبررين ذلك بوجود الولايات المتحدة فى الكاريبى. ويركزون على أهمية توافق الدولتين فى المصالح والخطوط العريضة.

٢١- ذكرت أننى لاحظ بدورى أن البعض هنا يبدو كأنه يتقبل، بل يدفع إلى سياسة الاستقطاب Polarization، وأننى أحذر من خطورة مثل هذا الاتجاه عامة، وعلى العلاقات العربية الأمريكية خاصة؛ إذ يعنى ذلك أن أمريكا تدير ظهرها كلية للعرب.

٢٢- وافقنى على مغبة هذه السياسة - وأنه يعارضها - وأن هناك فريقا ينادى بها ويقلل من خطورة نتائجها لأغراض معروفة، إلا أنه يرى أنهم أقلية ليس لها تأثير كبير فى رسم السياسة.

٢٣- ذكر أنه فكر فى أن يكتب لجونسون ليذكره بحديثه معه إلا أنه يشعر أن الوقت غير موات، وأن جونسون السياسى الذى لابد أن يراعى الأوضاع السياسية الداخلية وفرص حزبه ورغبته فى انتخاب همفرى للرئاسة من بعده، لا يمكنه طرح هذه الأوضاع جانبا.

٢٤- ومع ذلك فهو يحاول الاتصال بأكبر مجموعة ممكنة من المرشحين والقريبين منهم لإبلاغهم بوجهة نظره. ويعتقد أن فرص التأثير أكبر بعد معركة اختيار مرشحى الحزبين.

٢٥- ذكر أنه أخبر بندى بأنه سيقابلنى فى اليوم التالى وأن بندى أوضح أنه يهمه الوقوف على أفكارى.

٢٦- ذكرت أننى أشاطره شعوره بالأسف لضياع الوقت. وأننى طالما طلبت ممن اتصلت بهم فى الخارجية والبيت الأبيض اتباع سياسة التحرك النشيط.

٢٧- حذرت من مغبة ترك الأمور تتراخى حتى نوفمبر، فإسرائيل لن تترك الأمور تسير على غير هواها خاصة أن الغلبة حاليا - كما رأى بندى - للصقور فى إسرائيل. وستسعى

إسرائيل باستمرار لوضع العالم أمام الأمر الواقع، كما يجب الا نتوقع أن الأمور فى العالم ستقف ساكنة حتى تتم الانتخابات. وهناك خطورة كامنة فى مثل هذه الأحوال من عدم توافر العناصر الحالية المواتية للتسوية، بعد انتهاء المعركة فى نوفمبر.

٢٨- حدثته عن طائرات الفانتوم وسعى إسرائيل للحصول عليها، وخطورة موافقة واشنطن على ذلك. وأنه يجب السعى لدى البيت الأبيض للحيلولة دون ذلك، وكذا لدى المرشحين فى عدم المغالاة فى الوعود لاستمالة الأصوات اليهودية.

٢٩- وقد ذكر أنه تحدث طويلا مع بندى فى هذا الشأن مبينا أنه من اتصالاته مع كثير من زعماء اليهود هنا - وهؤلاء يعرفون تماما الدور الذى لعبه ماكلوى لاستخلاص التعويضات الألمانية من أديناور لليهود - يعرف أن اليهود الذين كانوا وراء التأييد فى أمريكا لإسرائيل ليسوا جميعا سعداء بتصرفات إسرائيل الأخيرة. وأن كثيرا منهم يرى فى سياستها المتشددة خطورة على أمن ومستقبل إسرائيل.

٣٠- أخبرنى أن مؤسسة وايزمان بإسرائيل دعته لإلقاء محاضرة فى ربيع ١٩٦٩، ويلحون عليه للقبول خاصة أنه لم يزر إسرائيل منذ سنوات. واستفهم عن رد فعلنا لو قبل هذه الدعوة، وهو الحريص على أطيب وأوثق العلاقات معنا.

أوضحت أننا كمبدأ عام لا نطالب أحدا بالامتناع عن الذهاب لإسرائيل، وإننى أرجو أن تكون الأمور قد سويت واستتبت الأوضاع قبل الربيع. ووافقنى على أنه يمكنه زيارة الجمهورية العربية المتحدة فى نفس الوقت فنحن نرحب به فى أى وقت يشاء.

كانت هذه فحوى ما دار فى محاضرة ماكلوى أمام مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية، وما جرى من حوار تفصيلى بيننا بعد ذلك جمعتهما معا. وكان ما ذكره، فى تقديره، يعطى صورة لها أهميتها ودلالتها عن النفوذ اليهودى، وأسبابه، والذى ازداد قوة فى السنوات اللاحقة.

وكنت فى نفس العام - ١٩٦٨ - قد اجملت ملاحظاتى لهذا الوضع فى مذكرة بعثت بها إلى القاهرة قلت فيها:

إن أمريكا مدفوعة بما أبدته من وجهة نظرها بتأييدها لإسرائيل بقوة النفوذ الصهيونى وما يمارسه من ضغط مستمر على الحكومة الأمريكية لتحقيق أهداف إسرائيل وأطماعها.

ومع كل ما نراه من تحليل لمشكلة الشرق الأوسط وما يرتبط بها من عناصر أو مشاكل دولية أخرى، فإنه يجب الا يغيب عن البال ناحية مهمة وهى أن عددا من واضعى الاستراتيجية الأمريكية والمشتركين مع الرئيس الأمريكى الحالى فى إقرارها فى النهاية إما يهود وصهاينة، أو ممن على صلة وثيقة بإسرائيل. وبالتالى فهم عناصر ومراكز قوى لإسرائيل فى هذا المجال ولابد أنهم على صلة وثيقة بإسرائيل بحيث لا نكون متجنين على الحقيقة لو قلنا إن إسرائيل تشترك فى وضع هذا التخطيط السياسى الأمريكى.

وفى الجانب الآخر دللت معلوماتى على أن المخابرات الأمريكية والعسكريين فى البنتاجون على المستوى الأقل من واضعى السياسة عادة ما ينظرون بعين القلق الكبير إلى تزايد الارتباط الأمريكى بإسرائيل، موضحين بصفة مستمرة أهمية العمق العربى وضرورة التعاون أو الترابط معه. كما أن مسئولين بالخارجية الأمريكية لهم نفس المنطق لكنهم مغلوبون على أمرهم لدرجة أننى سمعت من بعض المصادر الموثوق بها أن عددا من الشباب المتخصص فى الشئون العربية بدأ يتجه إلى تخصصات أخرى لما يراه من غيوم تتكاثر على الصلات العربية الأمريكية المقبلة.

كما علمت أن شركات البترول الأمريكية أعربت للحكومة الأمريكية، وبخاصة البيت الأبيض وبصورة متلاحقة فى الفترة الأخيرة، عن قلقها من الانتشار الروسى فى المنطقة وضرورة إيجاد تفاهم أكبر مع العرب فالاستثمارات والأرباح الأمريكية من البترول العربى لا يمكن تركها فى مهب الريح أو تعويضها.

من كل ذلك أشعر بأن موضوع الشرق الأوسط سيحكمه فى الأشهر القادمة – من الناحية الأمريكية – مبدأ «لا حل ولا تدهور». ولكن لا مانع من الإبقاء على الجسور، أو زيادة التلاقى، وبالدرجة اللازمة ضمن هذا الإطار لحين الوصول إلى تسوية كجزء من ترتيبات للوضع الدولى، خاصة وأن الوضع الداخلى لأمريكا فى ١٩٦٨، وظروف الانتخابات الرئاسية وما يصحبها من أجواء تصريحات، لا تجعل من الأشهر القادمة ميدانا لاستراتيجية أو تخطيط سليم بعيد عن الانفعالات أو المزايدات.

ويلاحظ أن الولايات المتحدة سعت خلال الأشهر الماضية الأخيرة لإقناعنا باستئناف العلاقات معها، وقد كان هذا مجمل حديث أغلب أعضاء وزارة الخارجية، متذرعين بما فى

تلك الخطوة من أهمية؛ حيث سيتوفر للدول العربية عدد أكبر من السفراء العرب الفاعلين فى واشنطن بحيث لا يترك المجال خاليا لترتع فيه إسرائيل دون منافس.

لكن الولايات المتحدة لم تتخذ من جانبها أى إجراء يساعد على تهيئة الجو لعودة العلاقات. وبقى الأمر مجرد رغبة دون عمل. ورغم ما أوضحناه لكل من اتصلنا به من ضرورة قيام أمريكا بتوضيح موقفها علانية وصراحة، وبأن يكون لها موقف أكثر اعتدالا مع الحق وأقل تحيزا لإسرائيل، رغم ذلك فلم نخرج إلا بما صدر عن الرئيس جونسون وقت زيارة الحبيب بورقيبة لواشنطن حيث أعاد قراءة نقاطه الخمس دون تفسير أو توسع.

واعتقادى أن الولايات المتحدة يئست أخيرا من أننا سنقبل استئناف العلاقات فى ظل هذه الظروف. وبالتالى لم يعد أى ممن أتصل بهم فى الخارجية يشير إلى ذلك، بل إن عددا منهم أشار فى معرض الأحاديث إلى تعذر تحرك البيت الأبيض فى مدى أوسع فى هذا المجال، وبالتالى فهم لا يأملون فى أكثر من استمرار الوضع الحالى للعلاقات بين البلدين كما هو.

إزاء هذه الصورة المحتملة أعتقد أنه يجب أن نفكر فى الآتى:

مادامت رغبة أمريكا هى الإبقاء على الحوار وعلى الخيوط لا تتقطع فلا مانع من أن نتجاوب معها بما يفيدنا، وأن نستغلها لصالحنا. وعليه فلا أرى ما يمنع من استمرار المراسلات المباشرة الرسمية بين الرئيسين.

كما أرى أن تجرى الاتصالات على مستوى وزارة الخارجية، وفى هذا المجال أرى من المستحسن أن نبدأ نحن هذا الاتصال - تعقيبا منا على رد الرئيس جونسون للسيد الرئيس - بحيث نقوم بشرح وجهة نظرنا التى أبلغناها لسفير فرنسا فى ٥ مايو ١٩٦٨، ردا على استفسارات حكومته. فكل ذلك له ميزاته فى توضيح موقفنا وفضح تعنت إسرائيل. وبجانب هذه الاتصالات المباشرة على هذه المستويات مع أمريكا أشعر بضرورة القيام بحملة دبلوماسية واسعة للضغط على الولايات المتحدة وبالتالى إسرائيل.

وإننى أذكر واقعة تدل على قوة تغلغل اليهود داخل مراكز صناعة القرار بعد تعيين روبرت برانجر مساعدا لوزير الدفاع (البنتاجون) فى عام ١٩٦٨، فقد كان حاضرا اجتماعا للجنة سرية للمسئولين فى البنتاجون، فلفت نظره وجود شخصين لا يوحى مظهرهما بأنهما امريكيان، وعندما استفهم عن هويتهما كان الرد أنهما مندوبان عن حكومة إسرائيل. فتساءل وكيف يسمح لهما بحضور اجتماع عسكرى أمريكى سرى فى البنتاجون. وفى الحال تلقى

ردا ممن هم فى مستوى أعلى منه، بأن حضورهما صدر بقرار من الجهات المختصة فأبدى اعتراضه على وجودهما لكن المسئولين فى البنتاجون لم يستجيبوا لاعتراضه. وبعدها لم تطل مدة عمله فى وزارة الدفاع. وتعرض لحرب نفسية وحصار من قوى الضغط اليهودية لدرجة أنه لم يعد بعد ذلك قادرا على أن يجد لنفسه وظيفة فى بلده. والمعروف أن منظمة إيباك ـ اللوبى الرسمى لإسرائيل فى الولايات المتحدة ـ تمارس دور الضغط على صانع القرار، وعلى اى امريكى يجرؤ على مجرد انتقاد إسرائيل، حتى ولو كان انتقاده بدافع حماية مصالح الولايات المتحدة.

ولقد كانت إيباك تهاجمنا باستمرار، وبعد توقيع معاهدة السلام رضيت إيباك عنا رضا مؤقت، وبدأت تخفف حملاتها علنا. وحدث أن تلقيت منها دعوة على العشاء، فأوفدت الدبلوماسيين محمود فرغل وحسين حسونة لحضور العشاء. وفوجئ الاثنان باستقبال حافل لهما. وفى العام التالى ذهبت إلى مؤتمر الإيباك وجلست مع المتحدثين على المنصة الرئيسية، وجاء دورى للتحدث فحيانى الحاضرون تحية كبيرة، وجلست لكن استمر التصفيق، فقام السناتور بايدن ليقول إن هذه التحية لك دليل على ما أتى نتيجة السلام. وكنت عندما أذهب للتحدث أمام أى مجتمع يهودى خاصة فى المعابد فإننى لا ألقى كلمة مكتوبة بل كلمة ارتجالية، وأحرص على أن انظر فى عيونهم فإذا وجدت استعدادا للسماع أزيد فى الكلام وإذا شعرت بأنهم بدأو فى التململ فإننى أختصر الحديث.

وكنت قد زرت أريزونا لإلقاء محاضرة بإحدى جامعاتها، ثم تلقيت دعوة أخرى من إحدى الجمعيات فى أريزونا لإلقاء كلمة على الغداء وبدأت أتكلم. ولاحظت أن شخصا يجلس فى أول الصف أخذ يمصمص شفتيه إعرابا عن عدم رضاه فتوقفت عن الكلام وقلت للحاضرين لقد جئت اليوم من أجل صداقتكم، فإذا كنت قلت شيئا خطأ فاعتذر عنه ولكى أحتفظ بصداقتكم فإننى لن اتكلم ثم سكت، وساد صمت رهيب؛ فتجمد الرجل الذى كان معترضا.

وقام أحد الحاضرين معتذرا قائلا: أنا يهودى وإنك لم تقل يادكتور غربال شيئا خطأ. ونرجو منك مواصلة الكلام. وضجت القاعة بتصفيق حاد ومتصل.

وقد حدث قبيل زيارة الرئيس السادات إلى الولايات المتحدة، أن اتفقت أنا وأسامة الباز، على أن نرتب اجتماعا للرئيس مع قيادات اليهود فى امريكا ليتحدث معهم ويرد على أسئلتهم بكل صراحة، واتصلت بفيليب كلوتسنيك رئيس المؤتمر اليهودى العالمى وقتها، وقد كان زميلا

لى فى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٦٢، عندما كان يمثل أمريكا فى اللجان الاقتصادية، وأنا أمثل مصر وظل الاتصال قائم بيننا. وطلبت منه اختيار عشرة أشخاص من القيادات اليهودية ليجتمعوا بالرئيس وبالفعل جهز كلوتسنيك القائمة وأبلغهم بالدعوة لمقابلة السادات.

وكان اجتماعا جيدا، والرئيس بطبعه لديه قدرة على التحاور مع الآخرين وجذب انتباههم. واعتدت بعدها أن أتلقى اتصالات من قيادات يهودية على معرفة بى، يطلبون منى أن أترك لهم اختيار القائمة التى تقابل السادات. وكنت أشكرهم مفضلا أن ندع هذا لكلوتسنيك لمركزه فى المجتمع اليهودى.

وهذا اللقاء ظل عادة تتكرر فى كل مرة يزور فيها الرئيس السادات أمريكا. وكانت جاذبية السادات وأسلوبه فى التحدث مع من يجتمع بهم تشدهم إليه، وتعطى الانطباع بتقبلهم للأفكار التى يقولها أمامهم. إلى أن جاءت فترة حدث فيها شد وجذب بين مصر والولايات المتحدة، وكان التوتر شديدا بين مصر وإسرائيل وتعكسه نبرة عالية فى صحافة البلدين فى هذا الجو كان الرئيس فى زيارة لواشنطن، وعند اجتماعه بمجموعة القيادات اليهودية سمعهم يتهمون مصر بأنها تسعى للتفريق بين إسرائيل والقيادات اليهودية الأمريكية ودللوا على ذلك بما نشرته صحيفة أمريكية فى فلوريدا لحديث مع الرئيس السادات يفهم منه أنه يسعى لإحداث فرقة بين اليهود الأمريكيين وإسرائيل.

واستأذنت الرئيس لأرد على هذه النقطة، وتكلمت موضحا حقيقة الأمر، وهو أن هذه الجريدة فى فلوريدا سبق أن طلبت من الرئيس إجراء حديث معه ثلاث مرات قبل تركه القاهرة وكنا نعتذر لضيق وقت الرئيس فى تلك الآونة. وحينما تمكن الرئيس من ترتيب وقت مناسب قبيل مغادرته القاهرة إلى واشنطن، رأينا أن يدلى للجريدة بالحديث ولم يكن بهذا الحديث ما يمكن اعتباره محاولة للإيقاع بين اليهود وإسرائيل.

وكنا نلاحظ أن بعض الهيئات اليهودية فى الولايات المتحدة تتابع بتخطيط دقيق كل تصرف فى مصر مهما كان لتحدد على أساسه أى نقطة تستخدمها فيما يتعلق بتطبيق مصر معاهدة السلام مع إسرائيل. وذات يوم اتصل بى أحد قيادات اليهود وقال لى إنكم تقولون إنكم ملتزمون بنصوص معاهدة السلام، ولديكم إعلان منشور، لمحافظة الإسكندرية لتوسيع محطة تكرير المياه بالإسكندرية. وورد فى الإعلان الصيغة المعهودة بأن هذا العرض لا يسرى على الشركات التى تتعامل مع إسرائيل، وسألنى هل انتم تعودون بذلك إلى المقاطعة؟ قلت لابد أن يكون ذلك نتيجة خطأ من جهة ما. وبالفعل اتصلت بمحافظ الإسكندرية تليفونيا وأبلغته بما

جرى، ورددت على هذه الشخصية بما سمعته من المحافظ وهو أنهم نقلوا صيغة إعلانية قديمة من مناقصات سابقة، واستخدموها دون أن ينتبهوا إلى أنها لم تعد صالحة وأنهم تداركوا الأمر وأجروا تعديلات فى صيغة الإعلان.

وهذا يبين حرص يهود الولايات المتحدة على مساعدة إسرائيل فى كل شىء، حتى ولو كان يجرى على بعد عشرات الألوف من الأميال. فى نحو عام ١٩٨٠، عندما كان بنيامين نتنياهو هو الرجل الثانى فى السفارة الإسرائيلية فى واشنطن أبلغنى أحد الزملاء فى سفارتنا أنه علم أن نتنياهو كان يقوم بزيارة لعدد من أعضاء مجلسى النواب والشيوخ، وكان يحثهم على تقليل المعونة الأمريكية العسكرية والاقتصادية لمصر، وذلك بالمخالفة لما كانت تسير عليه الأمور، من عدم تعرض أى جانب للمساعدات الأمريكية للجانب الآخر.

واتصلت على الفور بسفير إسرائيل فى واشنطن مستفهما عما إذا كانت إسرائيل قد عادت إلى سياسة الحرب معنا؟ قال: لماذا تقول هذا الكلام؟ أبلغته أن زملائى عرفوا من الكونجرس أن نتنياهو ذهب يحرضهم على تخفيض الكونجرس للمعونة لمصر.

وأنهيت المكالمة، وعاود السفير الاتصال بى ليقول إن نتنياهو لم يفعل شيئا من هذا.

قلت له يمكننى أن أرسل لك قائمة بأعضاء الشيوخ الذين كلمهم نتنياهو فى هذا الشأن. فرد بأن نتنياهو أبلغه أنه يبدو أن بعض أعضاء الكونجرس لم يفهموا كلامه.

وكنت شاهدا على حادثة مهمة مع الكونجرس فى أول مارس ١٩٨٥، بعد أن كنت قد تركت الولايات المتحدة فى نوفمبر ١٩٨٤ بعد ظهور نتائج الانتخابات مباشرة التى فاز فيها ريجان لفترة ثانية وعين السفير عبد الرءوف الريدى خلفا لى.

ووجهنى الرئيس حسنى مبارك لأسبقه ببضعة أيام للتمهيد لدى أعضاء الكونجرس، بما تحتاج إليه مصر من معونات، خاصة وأن السفير الريدى كان قد تولى مهام منصبه قبل شهرين فقط، ولم تتح له الفرصة بعد لاستكمال جميع الاتصالات فى هذا التاريخ.

ووصلت إلى واشنطن، وقمت بزيارة أعضاء الكونجرس الذين أعرفهم وصادقتهم، وتحدثت معهم، عما وافقوا عليه من طلبات لإسرائيل. حيث حصلت إسرائيل على ما يقرب من بليون دولار إضافية بجانب المعونة السنوية المخصصة لها وقد تمت بعد هذه المناقشة الموافقة على

أن تحصل مصر على معونة إضافية قدرها ٦٠٠ مليون دولار، وكان السفير الريدى مشاركا لى فى مقابلاتى، وبعضها قمت به بمفردى.

وتصادف أنى كنت فى واشنطن قبل وصول الرئيس مبارك بشهر، وكان المشير عبد الحليم أبو غزالة وزير الدفاع وقتها يزور واشنطن، ودعانى لمرافقته فى لقاء مع أعضاء لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ، وكان ذلك عقب قرار مصر تأجيل عودة سفيرها لإسرائيل، نتيجة احتلال إسرائيل للبنان، وما كان الرئيس مبارك قد وعد به من عودة السفير المصرى فى حالة اتفاق إسرائيل ولبنان، وهو الاتفاق الذى لم يستمر أثناء حكم الرئيس أمين الجميل، وكان أعوان إسرائيل ومؤيدوها يتوقعون عودة السفير.

فى هذا الجو جاءت زيارة الرئيس مبارك لواشنطن التى سبقتها زيارة المشير أبو غزالة، وذهبنا إلى الكونجرس لنواجه بجلسة صاخبة، وانتقاد من الأعضاء اليهود فى لجنة العلاقات الخارجية معربين عن تألمهم لعدم عودة سفير مصر إلى تل أبيب. فى وقت تزود فيه الولايات المتحدة مصر بمعونات ضخمة تزيد على بليونى دولار سنويا. وأن الشعب الأمريكى أولى بهذه الأموال، إذا ما كانت العلاقات المصرية الإسرائيلية ستسير على هذا النحو.

كان واضحا حرج المشير وحرج السفير الريدى: وتعذر علىَّ أن أقبل أن ينتهى الاجتماع بهذه الطريقة فاستأذنت من المشير أن يسمح لى بكلمة أوجهها للجنة وبدأت الكلام. وقلت أرجو أن تسمح لى اللجنة بأن أعرب عن استغرابى وتألمى لما سمعته، خاصة من السناتور الان سبكتر والسناتور ويليام كوهن. فإننى معروف عنى أننى صديق حميم لأمريكا، ولا منازع فى ذلك. كما أننى أعرف أن الرئيس مبارك ينوى عند وصوله أن يلتقى بالسناتور سبكتر، الذى كان آخر من تحدث مع الرئيس فى موضوع عودة السفير.

وأود أن أسجل أن مصر لم تعقد معاهدتها مع إسرائيل إرضاء وتوددا لأعضاء مجلس الشيوخ الأمريكيين لكنها اتخذت هذه الخطوة تنفيذا للمصلحة القومية المصرية. وكنت أتصور أننا سنلقى اليوم شكر أعضاء الكونجرس لمصر، لما اتخذته من سياسات، لو لم تكن قد اتخذتها لكان أبناء ولايتى بنسلفانيا ومين، وغيرهما من الولايات، هم الذين يدفعون الثمن.

وكنت أتصور أن أمريكا ستزيد المعونة بدلا من الكلام عن نقصانها. وكررت ما بدأت به من أننى أعرف أن الرئيس ينوى عند وصوله أن يلتقى مع السناتور سبكتر.

وفور انتهائى من كلمتى وجدت أعضاء اللجنة بما فيهم الذين هاجمونا، يلتفون حولى ويحيونى على كلمتى. والكثير منهم يردد كلمة «You said it well» أى أحسنت.

وتبددت سحابة التهديدات التى قيلت فى هذه الجلسة، ثم وافق الكونجرس بعد ذلك على ما طلبته الإدارة الأمريكية لكل من مصر وإسرائيل. لكن التأثير اليهودى على مراكز صناعة القرار ظل محسوسا دائما، ففى عام ١٩٨٢، وكان ريجان رئيسا للولايات المتحدة، ذهب شارون إلى واشنطن ليتلقى الضوء الأخضر لمهاجمة لبنان والتخلص من الوجود الفلسطينى هناك. واجتمع مع الكسندر هيج، وكان وزيرا للخارجية، ومع معاونيه وأبلغه بنية التدخل بالقوات الإسرائيلية فى لبنان. واستمع هيج إليه ولم يعلق.

وبمجرد خروج شارون من مكتب هيج علق أحد مساعديه بأنه يخشى أن يكون شارون قد خرج بانطباع بأن الولايات المتحدة توافق على هجومه المزمع على لبنان. واقترح المساعد أن يسرع بنفسه وراء شارون ويبلغه أن هيج لا يريد أن يكون لديه انطباع بموافقة الولايات المتحدة على غزو عسكرى إسرائيلى للبنان. ووافق هيج على الاقتراح.

وأسرع المساعد إلى شارون بالرسالة فرد عليه شارون بأنه هو الذى سمع بأذنيه ما قاله هيج ولم يزد على ذلك متجاهلا كلام مساعد وزير الخارجية. وكان النص لما قاله شارون:
I was there and heard what Haig said.

وفى اليوم التالى كان شارون قد دفع بالقوات الإسرائيلية لاجتياح جنوب لبنان حتى وصلت إلى ضواحى بيروت.

وقد استضافتنى شبكة تليفزيون ABC فى يوم أحد فى برنامج يتحدث فيه شارون من ناحية، وأتحدث أنا من ناحية أخرى. وكلانا يجيب عن أسئلة المذيع ديفيد برنيكلى. وقد سألنى ما رأيك فى دخول شارون بيروت. أجبت إنه يعرف يقينا أنه ضيف غير مرغوب فيه، دخل بيروت دون أن يدعوه أحد، ويتعين عليه أن يخرج منها. ثم ظهر شارون فى نصف الوقت المتبقى من البرنامج وسئل ما رأيك فى كلام أشرف غربال. وكانت إجابته نحن فى إسرائيل نعرف أشرف غربال. ولم يزد على ذلك بكلمة وكانت لى واقعة أخرى كان شارون طرفا فيها، فلقد أبلغنى المسئول عن قسم مصر بالخارجية الأمريكية فى عام ١٩٨٢ أن الأمريكيين لاحظوا

أن الإسرائيليين يبنون مبنى ضخما فى طابا، وأنهم لفتوا نظر إسرائيل إلى أنها تقوم بمثل هذه الأعمال فى أرض مصرية، يتعين على إسرائيل أن تنسحب منها.

وردت إسرائيل عليهم نحن سنفعل ما نفعله، وعليكم أنتم أن تكونوا خارج هذا الموضوع. وكانت تلك بداية أزمة طابا الشهيرة التى انتهت بالتحكيم وحكم لصالحنا وتم التنفيذ وعادت طابا لمصر.

وكانت تلك إحدى المشاكل التى عكر بها شارون الموقف الهادئ وقتئذ فى العلاقات المصرية الإسرائيلية، فهو صاحب فكرة بناء هذا الفندق.

ووجه كمال حسن على الدعوة لشارون ليلتقيا فى طابا، وذهبا إلى هناك، ووجدا حجرا مكسورا إلى جزءين، أحدهما فوق الهضبة والثانى فى منتصفها، وتبين أنه كسر عمدا ونقل من مكانه الطبيعى، للتعمية على نقطة الحدود.

وأشار كمال حسن إلى خط الحدود الحقيقى كما هو ظاهر، واعترف شارون بهذه الحقيقة، ثم عاد فى اليوم التالى لينكر ما اعترف به.

ورغم النفوذ اليهودى الذى لا ننكره على السياسة الأمريكية فإننى كنت متفائلا بانتخاب ريتشارد نيكسون، بعد انتهاء فترة حكم جونسون ودوره المعروف معنا أثناء حرب ١٩٦٧، وتوقعت أن يحدث تغيير فى السياسة الخارجية، لما هو معروف عن نيكسون من إلمام بالأوضاع الدولية، وعدم مغالاته فى استجداء أصوات اليهود.

وكثيرا ما تكلمت مع ريتشارد باركر عن توقعاتى وآمالى هذه. وكان باركر يشرح لى أن الولايات المتحدة تتمتع بانتخابات حرة، لكن يخطئ من يتصور أن هناك انقلابات تحدث فى السياسة الخارجية الأمريكية التى يغلب عليها طابع الاستمرارية أكثر مما يغلب عليها طابع التغيير، خاصة التغيير الجذرى.

كان باركر يضع يدى على الأبواب المفتوحة أمام التأثير على قرار السياسة الخارجية. وهو ما بدأت أتتبعه وأضع يدى عليه باحثا عن مفاتيح هذه السياسة. وكان تقديرى بعد انتخاب نيكسون أن موقف أمريكا سيتوقف فى النهاية على قرار من نيكسون شخصيا، مبنيا على ما هو معروف عن فكره الشخصى بأن له قراره النهائى، بصرف النظر عن رأى باقى الإدارة أو مؤسسات الحكم فى الدولة.

لكن اتضح لى أن نقطة قوة نيكسون هذه، هى فى حد ذاتها هدف لإسرائيل، بالوصول إلى التأثير عليه من خلال النفاذ إلى الدائرة المحيطة به والتأثير عليه عن طريقها. ورافق ذلك حملة تضخيم كيسنجر وإبرازه كقوة ضاغطة يعتمد عليه نيكسون فى إدارة سياسته الخارجية. وهو اليهودى المهاجر من ألمانيا هاربا من النازية، وإن كان يوصف فى الأشهر الأولى لتوليه منصبه مستشارا للأمن القومى عام ١٩٦٩، باعتداله وكونه غير صهيونى. لكن الحملة اليهودية لتضخيمه كان مقصودا بها إقناعه بمدى ما تستطيعه الصهيونية ومراكزها من وضع كل الإمكانات فى خدمة طموحاته الشخصية. وكان هدف الحملة أيضا أن يتحقق طغيان كيسنجر على وزير الخارجية ويليام روجرز، الذى أضاع وقته فى الشهرين الأولين لتوليه منصبه، فى تنظيم وزارته، بل إنه لم يوفق فى اختيار بعض معاونيه، ثم إن روجرز، كما ظهر عليه من حرص وهدوء فى خطواته، لم يكن يتماشى مع ما تحتاج إليه مشكلة الشرق الأوسط من رأى قوى وحسم كبير، وإلا جرفته الأحداث والتيارات الأكثر حماسا واندفاعا.

ولم يتغير هذا التوجه للقوى اليهودية فى الولايات المتحدة، على طول عهود الرؤساء الأمريكيين بعد ذلك، من حرص على النفاذ للدائرة المحيطة بهم مباشرة فى صنع القرار، حتى فى المراحل التى نضجت فيها العلاقة المصرية الأمريكية، ووصلت إلى مرحلة من التحسن والتفاهم والتقارب.

كان للعلاقة المصرية الأمريكية شقان، الأول يتعلق بمطالب مصر من الإدارة الأمريكية على المستويين الاقتصادى والعسكرى، والثانى خاص بقضية الشرق الأوسط.

وبالنسبة للشق الأول فقد كان فى ذهن الأمريكيين فى لجان الكونجرس، اهتمام بضرورة إحداث تغيير هيكلى فى الاقتصاد المصرى، وتحرير الاقتصاد، وزيادة دور القطاع الخاص. أما بالنسبة للجانب العسكرى فكان هناك دائما تساؤل بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر، هو لماذا تدعم مصر ميزانيتها العسكرية. ولقد ركزت فى الرد على هذا السؤال على أن مصر وقعت معاهدة سلام مع إسرائيل وهذا صحيح، لكن المنطقة كلها تمر بحالة عدم استقرار، وينبغى أن تكون مصر قوة استقرار فى المنطقة وهذا يتطلب أن تملك قوة عسكرية قادرة.

أما بالنسبة للجانب الاقتصادى فكنت أعكس لهم تفكير السياسة المصرية، التى تؤمن بالإصلاح الاقتصادى، لكنها تنظر إليه كعملية تدريجية، لأن أى إصلاح جذرى قد يؤثر على الاستقرار الاجتماعى، وهى أدرى باحتياجاتها الداخلية.

وبالنسبة للشرق الأوسط، فقد كان تحريك هذا الموضوع يمثل جدلا يوميا بينى وبين المسئولين سواء هيج، أو مع جورج شولتز الذى صار وزيرا للخارجية. وشهدت هذه الفترة من حكم ريجان صدور ما سمى بمبادرة ريجان للسلام فى أول سبتمبر ١٩٨٢. لكن انشغالهم الأكبر كان بالصراع العالمى مع الاتحاد السوفيتى، وكان شولتز يقول لى لابد من تحرك يأتى من جانبكم، فأنت ترى أن المنطقة ليست جاهزة بما يحرك موقفنا. وإن أى شخص يذهب إلى الولايات المتحدة ممثلا لبلاده، عليه مسئولية ضخمة وغير عادية فى هذا الشأن، وليس فى هذا شىء من المبالغة.

وسيجد ذهنه متجها إلى ناحيتين تشغلان تفكيره وهو يبحث عما يمكن أن يفعله العرب لحل قضية الشر ق الأوسط، والانتهاء من النزاع العربى الإسرائيلى. الأولى أنه فى الوقت الذى انفردت فيه الولايات المتحدة بالزعامة باعتبارها القوة الوحيدة فى العالم فإن هذه الزعامة الأمريكية لن تأتى بالخير لمنطقة الشرق الأوسط، إذا ما استمرت الولايات المتحدة على تأييد إسرائيل فى مخططها للهيمنة على هذه المنطقة.

والناحية الثانية أنه يجد نفسه مطالبا ببذل أقصى جهد حتى تفهم الولايات المتحدة أن زعامة هذه المنطقة تنبع من نفس المنطقة - من مصر الدولة العربية الكبرى التى لها كل المقومات لحفظ استقرار المنطقة. وأن الذى يجعل العرب يلتفون حول أمريكا بمعدل متزايد، يعتمد على مبدأ المشاركة - أى مشاركة أمريكا فى تطوير المنطقة بالتعاون مع أصحاب البيت.

ولقد نجحت مصر المسالمة فى جذب العرب نحو صداقة أوسع مع الولايات المتحدة، وبدأت عملية التطبيع حتى قبل التزام إسرائيل بإقامة سلام مع الفلسطينيين فى مدريد. وأن الأوان ليسرى بالنسبة للجولان ما سرى على مصر من انسحاب كامل من سيناء.

وهنا أذكر عند سفرى فى يوليو ١٩٧٢ من واشنطن عائدا للقاهرة بعد أن أمضيت أربع سنوات ونصف سنة مشرفا على رعاية المصالح المصرية فى الولايات المتحدة، أننى ألقيت كلمة فى مجلس العلاقات العربية الأمريكية قلت فيها: إن مصر على استعداد لأن تعقد سلاما مع إسرائيل - مسالمة، وليس إسرائيل معتدية.

الفصـــل التاســـع

ملامح عن قرب
من شخصية السادات

عندما عدت من واشنطن فى يوليو ١٩٧٢، كان هناك اتفاق على أن أعمل كنائب مستشار للأمن القومى مع السيد حافظ إسماعيل، وأن أتفرغ لوضع تصورى عن كيفية التحرك نحو تسوية تتضمن الانسحاب الكامل من سيناء، ومن باقى الأراضى العربية المحتلة، واسترجاع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى.

ثم تطور الوضع حسب ما سبق أن أوضحت، بقرار الرئيس السادات تعيينى مستشارا صحفيا له. وأثناء هذه الفترة التى عملت فيها عن قرب مع السادات، كنت أشعر بأن محمد حسنين هيكل يعتبر أقرب الأشخاص عنده، هذا طبعا بالنسبة للصحفيين وأيضا بالإضافة إلى ذلك بالنسبة لوجهة النظر السياسية، والرؤية الدولية.

فهيكل هو صاحب أقوى قلم فى العالم العربى، بل ومن أقوى الأقلام فى العالم، وكان أيضا قريبا من تفكير السادات وهو ما شعرت به - وكان من اليسير أن أشعر بما بين الرجلين من انسجام. فى تلك الفترة قمنا محمد حسنين هيكل وأنا، بترتيب عقد لقاء كبير للسادات مع ممثلى الصحافة العالمية، وكانت أول مرة يلتقى فيها مع الصحافة العالمية، وتضمن الترتيب أن يتقدم الصحفيون بأسئلتهم فى الليلة السابقة، ليطلع عليها الرئيس، ويلقى إجاباته عنها فى هذا المؤتمر الصحفى.

وعقد المؤتمر. وسارت الأمور على خير. لكن كان من السهل ملاحظة أن الرئيس غير مستريح فى هذا اللقاء، الذى لم يطل وقته، فلم يزد على نصف الساعة.

وكان وقتئذ يختلف كلية عما أصبح عليه السادات فيما بعد، عندما كان يلتقى بممثلى الصحافة العالمية بعد حرب أكتوبر، وهو فى غاية الارتياح، فلقد صار من أكثر الرؤساء الذين يلقون إقبالا إعلاميا كبيرا. وتحولت صورته من الرجل الذى كانت الصحافة لا تأخذ أى تصريح له بجدية، إلى الرئيس الذى يتهافت عليه الصحفيون من العالم، للاستماع إليه والإعجاب بردوده على أسئلتهم، ونشرها فى أبرز مكان فى صحفهم وصار يحتل مكان الصدارة بين زعماء العالم فى شعبيته وجاذبيته الشخصية.

ثم دب خلاف كبير بين السادات وهيكل، الذى لم أعرف له سببا، ولم يحدثنى أى منهما عن الأسباب. وربما يكون الخلاف قد بدأ بعد الاختلاف بين كيسنجر وهيكل، وبعد أن بدأ يتضح أن السادات مستعد أن يمشى فى شوط الحل مع كيسنجر، وإن كنت أشعر بأن الهوة

بينهما اتسعت نتيجة مساعى المغرضين الذين لم يكن يريحهم أن يكون لهيكل عند السادات وضع مشابه لما كان عليه وضعه أيام عبد الناصر.

قبيل أول زيارة يقوم بها الرئيس السادات إلى واشنطن فى فترة حكم الرئيس جيرالد فورد، وصل هيكل فى زيارة استجابة لدعوة من اتحاد الطلبة العرب فى الولايات المتحدة، لإلقاء محاضرة فى مؤتمر عام للاتحاد.

وحضر هيكل المؤتمر وألقى كلمة مرتجلة، وعندما وصل هيكل للمنصة صاح بعض الطلبة قائلين هيكل .. هيكل .. بصراحة ... النفاق يا هيكل. ولم يكن هيكل قد تعرض فى خطابه للسادات بأى كلمة.

وقبل أن تتم هذه الزيارة كنت فى القاهرة فى مهمة، وذهبت لمقابلة السادات لأتلقى منه التوجيهات بخصوص زيارته لواشنطن ثم عرجت بالحديث إلى زيارة هيكل وسألته عن الترتيبات التى أقوم بها للمقابلات التى يجريها هيكل، فوجدته يقول لى باقتضاب: يعامل معاملة أى صحفى آخر. قلت له: فليأذن لى سيادة الرئيس أن أضع أمام سيادتكم ما الذى أفعله فى مثل هذه الحالة، فعندما يأتى صحفى كبير، فإننى أدعوه على لقاء على الغداء مع عدد من الصحفيين المهمين، ثم إن بينى وبين هيكل صداقة قديمة منذ الخمسينيات كما تعلمون سيادتكم، وتجمع بين زوجتينا أيضا الصداقة، وبالتالى فسوف أدعو مجموعة من الأشخاص على عشاء تكريما لهيكل.

أعاد الرئيس على سمعى نفس جملته السابقة وقال: يعامل معاملة باقى الصحفيين. ولم يزد على هذا حرفا.

وعدت إلى واشنطن، وبعدها وصل هيكل. ثم ذهب لمقابلة كليفتون دانيال مدير مكتب صحيفة نيويورك تايمز فى واشنطن، وكانت تربطهما علاقة صداقة قديمة. ودار بينهما حديث حول أوضاع المنطقة.

وعرض دانيال على هيكل أن يجلس معهما برنارد جويرتسمان المحرر المختص بالشرق الأوسط، ورحب هيكل بذلك.

وفى اليوم التالى صدرت نيويورك تايمز وبها مقال كتبه جويرتسمان نسب فيه إلى هيكل كلاما يفهم منه أن زيارة هيكل جاءت لإفشال زيارة السادات.

وقد عرفت بأمر المقال فى الليلة السابقة لنشره، قبيل العشاء الذى دعوت هيكل إليه، وبعد انتهاء العشاء رد هيكل على كلمة ترحيب منى، بكلمة قال فيها إنه يتمنى للسيد الرئيس كل التوفيق فى زيارته الأولى للولايات المتحدة، وإنه يكن له كل التقدير والاحترام. وإنه عمل الكثير لصالح البلد.

فى اليوم التالى اطلع هيكل على ما نشره جويرتسمان، وزارنى فى مكتبى بالسفارة، وطلب منى أن أرسل برقية للرئيس تبلغه أنه لم يقل الكلام الذى نسبه إليه جويرتسمان، وأنه أبلغ استياءه لدانيال الذى أعرب عن أسفه، ووعد بنشر رده فى اليوم التالى. وقد طلبت من هيكل أن تكون البرقية التى سترسل للرئيس، بخط يده هو ليوضح فيها ما يريده، وهو ما فعله، ثم أرسلت من جانبى هذا الإيضاح إلى إسماعيل فهمى وزير الخارجية، الذى سلمه للرئيس.

بعد ذلك وصل الرئيس إلى واشنطن، ورتبت له اجتماعا مع بعض أعضاء الجالية المصرية، وللأسف وقف أحد الحاضرين ليدعى أن هيكل تفوه بكلام رخيص ضد السيد الرئيس، لا يصح أن أكرره فى هذه الجلسة. ولم يعلق الرئيس بشىء.

وكان واضحا أن هذا الشخص مدفوع إلى الإساءة لهيكل، لأن ما ذكره كان عبارة عن أكاذيب، لأن شيئا من هذا لم يحدث، ولا يتفق كلامه مع التقارير التى نقلتها لى الدكتورة عفاف محفوظ المستشارة الثقافية، وأحمد أبو شادى المستشار الإعلامى، اللذان حضرا لقاء هيكل باتحاد الطلاب.

وكان الرئيس يقوم بجولة فى بعض الولايات، فبعد زيارته لشيكاغو وتكساس، وصلنا إلى جاكسونفيل بولاية فلوريدا – وكان يوم راحة يسترخى فيه الرئيس فى حديقة البيت الذى استضافته فيه الحكومة الأمريكية. وبينما كنت أتحدث مع الرئيس، طلب منى أن أرسل له إلى القاهرة، تقريرا عن الزيارة التى قام بها هيكل لأمريكا قبل مجئ الرئيس لبدء زيارته.

ووجدتنى أشرح مبدئيا ما تم فى زيارة هيكل، موضحا أنه لم يتعرض للرئيس بأى كلمة وقلت ليأذن لى السيد الرئيس أن أساله لماذا تهاجم هيكل؟.. إن هيكل بريما دونا انطفأت عنها الأضواء وهى واقفة على خشبة المسرح. فلم لا تترك الأنوار مطفأة عنها وهى واقفة على خشبة المسرح. فأنت إذا هاجمته فمعناه انك تضىء الأنوار من جديد.

ونظر إلى قائلا: والله رأيك سليم. وبعد سفر الرئيس عائدا إلى مصر، أرسلت له فى يوم ١٣ نوفمبر ١٩٧٥، التقرير الذى طلبه منى عن زيارة هيكل وما جرى فيها.

بعد ذلك كان بول سايمون وزير الخزانة الأمريكية يزور القاهرة، وتحدد له موعد لمقابلة الرئيس فى استراحته بالمعمورة. وقبل الموعد ذهبت لأقدم للرئيس صورة عن حالة العلاقات الاقتصادية بين البلدين، وما نتوقعه من مساعدات.

وبعد أن أنهيت عرضى للرئيس، وجدت أنه مازالت لدى بضع دقائق قبل وصول سايمون ففكرت فى أن أعيد فتح موضوع هيكل. فقلت إننى جلست مع هيكل، وأشعر بأنه ينقصه كثير من المعلومات بخلاف ما كان عليه الوضع فى الماضى.

ولأول مرة وجدت السادات يصرخ فى وجهى ويقول: لماذا تضيع وقتى فى الكلام عن ناس أكل الحقد قلبهم؟ وجدت نفسى فى موقف لا أعرف فيه كيف أتصرف. وما الذى أقوله، فإننى على قلة ما نطقت به من كلمات قد أثرت ثائرته إلى هذا الحد. أشفقت على نفسى فلربما يصل سايمون فى نفس اللحظة، ويرى رئيس الدولة وهو يؤدب سفيره - لكن سايمون وصل بعد أن خفت الزوبعة.

وبعد انتهاء مقابلته لسايمون استأذنت الرئيس أن أمر عليه لخمس دقائق فى اليوم التالى، وكان رده على قاطعا: ولا ثانية. وهو ما كان.

والحقيقة أن هكيل كان شخصية معروفة لدى الأمريكيين، أذكر أننى فى الفترة الأولى لعملى فى واشنطن رئيسا لبعثة رعاية المصالح المصرية عام ١٩٦٨، أننى ذهبت لولاية كونيتيكت القريبة من نيويورك، والتى أقيمت بها أفخر القصور - بدعوة من جوزيف ريد مساعد يوجين بلاك الرئيس السابق للبنك الدولى، وبعد الغداء توجهنا لزيارة دونال كيندول رئيس مجلس إدارة شركة بيبسى كولا، وتناول الحديث الوضع فى الشرق الأوسط، وكلا الرجلان ريد وكيندول من الأصدقاء المؤيدين لموقف مصر، وأعرب كيندول عن شعوره بالأسف لاستمرار القطيعة بين مصر والولايات المتحدة، وتكلم عما يمكنه عمله إزاء استمرار هذا الوضع، ثم اقترح أن يتم ترتيب اجتماع لهنرى كيسنجر مع محمد حسنين هيكل، وأن يتم فى الخفاء لأن هذا الأسلوب المفضل لكيسنجر، اقتناعا بأنه الأقرب للوصول إلى شىء. وطلب منى كيندول جس نبض هيكل، على أن يتم اللقاء فى عطلة آخر الأسبوع الأول من شهر أكتوبر وذكر كيندول أنه يعتقد بوجود تشابه بين كيسنجر وهيكل فى الروح والأسلوب.

وكتبت بالفعل إلى هيكل ونقلت إليه اقتراح كيندول، وأوضحت أن لقاءهما سيكون مختلفا بالكامل عما يقوم به محمود رياض من ناحيته، وأننى انتظر رده حتى يتم إبلاغ كيسنجر الذى وافق على تخصيص يومى ٢ و٣ أكتوبر لمقابلة هيكل.

وعلمت فيما بعد أن كيندول التقى مع الدكتور محمد حسن الزيات مندوب مصر فى الأمم المتحدة، ونقل إليه نفس الاقتراح فبادر الزيات بإرسال الرسالة إلى الدكتور محمود فوزى موضحا أنه لا يعرف كيف يتصرف فيها، تاركا الأمر لتصرف الدكتور محمود فوزى.

وكنت قد بعثت فى حينه إلى هيكل بهذا الاقتراح كما تلقيته. وبعد فترة وصلنى الرد من هيكل يبلغنى أنه كان يود الاجتماع بكيسنجر، لكنه للأسف وجد أن ارتباطاته لا تتيح له الوقت لتحقيق ذلك.

ونشر هيكل القصة كاملة متضمنة صورا لرسالتى ورسالة الزيات - التى كانت قد أرسلت إليه أيضا - وقد أغضب النشر حافظ إسماعيل لأنه جاء قبيل سفره إلى الولايات المتحدة لمقابلة الرئيس نيكسون، ضمن برنامج زيارة كل ممثلى الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن. وقد آلمنى أن يشوب الخلاف علاقة رجلين تربطنى بهما علاقة ود وإعزاز كبيرين. وكان قد حدث قبل هذه الواقعة أن لاحظت أثناء عملى مع حافظ إسماعيل فى الرئاسة، أنه وهيكل ليسا على وفاق. ولم يفاتحنى أى منهما بشىء من هذا، إلى أن علمت أن هيكل يعد لزيارة الصين، فسألته هل سيجتمع قبلها مع حافظ إسماعيل. رد بسرعة: ولماذا؟

قلت أن هذا ما يحدث فى الدول الكبرى. فالمسافر إلى بلد كالصين، وعلى قدر شخصية هيكل يذهب للقاء المسئول المختص مستفهما عما إذا كان هناك ما تريد دولته أن يتكشفه أو يستوضحه. ووافقنى هيكل.

وذهبت لحافظ إسماعيل وأبلغته أن هيكل يود لقاءه، فرد متسائلا باستغراب عن السبب. قلت إنه سيسافر إلى الصين ويود أن يتبادل الرأى معك. ورحب إسماعيل وتحدد موعد للقاء، واصطحبت هيكل إلى هناك. وتركتهما لحديثهما وحدهما. وبعد انتهاء اللقاء زارنى هيكل وكان تعليقه الذى سمعته منه: الرجل ليس سيئا كما كان الانطباع عنه.

كان السادات يحب أن يلتقى بالصحفيين ليكون حديثه معهم مباشرا، وأذكر أنه نصحنى ذات مرة بألا انغمس فى مشاكلهم، وقال لى: أشرف، ماتخشش فى أمور الصحفيين. وما تشغلش بالك. فمنهم ناس كتير متعبين. وكان واضحا أن السادات يضيق بالنقد، خصوصا

بالمعارضة وأسلوبها، وذات مرة قال لى: المعارضة دى أنا اللى أوجدتها، فهى لم تكن موجودة.

وقلت له: سيادتكم قبل أن تكون رجلا عسكريا، كنت تعمل بالسياسة، وكنت معارضا، ومن طبائع الأمور أن تكون هناك الآن معارضة. فكان رده: بلاش فلسفة.

ولقد كنت أشعر بأن السادات يريد أن يكون قريبا من الصحفيين وأن يقتنعوا بأن ما يفعله هو لخير البلد وصالحه. لكن فى الوقت ذاته كان النقد يضايقه، فتتنازعه مشاعر حبه للإعلام والصحافة، ومشاعر ضيق بالكتابات التى تعارضه.

قصة حضور الشاه إلى مصر

وأتاح لى عملى بالقرب من السادات مستشارا صحفيا له فى فترة من أدق فترات تاريخنا الحديث أن أشهد بعض جوانب شخصيته. ولعل من أبرزها قصة استضافته لشاه إيران فى وقت رفضت دول العالم جميعها استضافته حتى وهو على شفا الموت، بما فى ذلك الولايات المتحدة، أقرب حلفائه إليه.

بدأت القصة يوم الأربعاء ١٩ مارس ١٩٨٠، عندما اتصل بى زبجنيو بريجنسكى مستشار الرئيس كارتر للأمن القومى، وأبلغنى أن شاه إيران يشعر بالأسى لعدم إمكانيته إجراء العملية الجراحية فى القلب على المستوى الذى يوفر لها فرص السلامة، وأن معلوماتهم تفيد أنه قد يلجأ إلى الاتصال بالقاهرة لطلب الذهاب إليها تنفيذا لعرض من السيد الرئيس السادات سبق أن أعلن فيه الترحيب به فى مصر وتوفير العلاج له. وبين بريجنسكى أنه مع تقديرهم للدوافع الإنسانية للسيد الرئيس فإنهم يرجوننا فى حالة اتصال الشاه بنا أن نجد الوسيلة المناسبة لتأجيل اتخاذ قرار بشأن طلب الشاه. دون أن يترتب على هذا التأجيل أى إحراج أو مساس بشعور الشاه، وذلك حتى تتاح الفرصة لجهودهم الحالية لإقناع جراح القلب الأمريكى الدكتور مايكل الدبيكى بالذهاب إلى بنما لإجراء الجراحة هناك وإقناع بنما بتوفير كل السبل لضمان حسن إجرائها وسلامتها، وإقناع الشاه بذلك فى نفس الوقت. ولهذا

الغرض فقد كلف الرئيس كارتر هاملتون جوردن للسفر إلى بنما لمقابلة الدبيكى والشاه والمسئولين فى بنما.

وقمت بإبلاغ القاهرة بالرسالة، وتلقيت ردا بأن أبلغ بريجنسكى أن يقوم بطمأنة كارتر بموافقتنا وبالفعل اتصلت ببريجنسكى وأبلغته برد القاهرة. وبعد ذلك بنصف ساعة تلقيت مكالمة ثانية من القاهرة تفيد أنه بناء على توجيهات الرئيس أنور السادات يتعين إبلاغ بريجنسكى أنه لو طلب منا الشاه السفر إلى مصر وإجراء الجراحة فإننا سوف نستجيب لطلبه نظرا لحالته الصحية المتدهورة وما يستدعيه ذلك من معاملة إنسانية جبلت عليها مصر خاصة أن الرجل في أواخر أيامه. وقد قمت على الفور بمعاودة الاتصال ببريجنسكى وأبلغته بما تقدم. وذكر لى أن هاملتون جوردن سافر بالفعل إلى بنما، ومن المنتظر أن يعلن نتائج جهوده.

وفى اليوم التالى ٢٠ مارس طلبنى جوزيف ريد مساعد ديفيد روكفلر وأبلغنى أن حالة الشاه الصحية تسوء وأنه لا يجد معاونة من الإدارة الأمريكية لتوفير وسيلة علاج سليمة فى بنما وأنه يتوقع أن يتصل بى محامى الشاه ليبلغنى برغبة الشاه فى السماح له بالذهاب للقاهرة تلبية لدعوة السيد الرئيس بالإضافة إلى تدبير الدكتور الدبيكى والدكتور كيث من أجل التنسيق ومن أجل الوقوف على نوعية الأجهزة الطبية المتوافرة فى مصر، وما يمكن إحضاره من أمريكا من أجهزة متعلقة بنظم الدم.

أوضحت لريد أنه كان قد سبق لنا أن تحدثنا فى موضوع سفر الشاه إلى القاهرة، والآثار التى قد تترتب عليه فى مصر، وأنه من المهم أخذ هذه المسائل بعين الاعتبار وبصورة كاملة.

رد قائلا إن روكفلر سبق أن تحدث مع الرئيس السادات فى هذا الموضوع أثناء زيارته لمصر وأن السيد الرئيس أبدى استعداده لإيواء الشاه لو استدعى الأمر، وهو ما أصبح ضروريا حاليا. وبعد مرور ساعة تلقيت من المستشار القانونى للشاه المحامى ويليام جاكسون اتصالا يفيد بأنه مكلف من الشاه بأن يطلب منا وبصفة ملحة الآتى:

١- السماح له ولعائلته وأطبائه ومساعديه دخول مصر بغرض إجراء الجراحة اللازمة فى القلب، والبقاء فيها لفترة النقاهة المطلوبة. ومن ثم فهو يحتاج إلى التسهيلات والأماكن اللازمة فى المستشفى له ولزوجته واثنين من معاونيه، وكذا إسكان لثمانية من معاونيه فى مكان قريب من المستشفى.

٢- أن يجرى اتصال بين الأطباء المعالجين فى القاهرة وجراح القلب الأمريكى الشهير الدكتور مايكل الدبيكى فى هيوستون بتكساس والدكتور كيث فى نيويورك على أن يوضح للأول بالذات نوع الأجهزة المتوافرة لدينا فيما يتعلق بنظم الدم.

٣- تدبير وسيلة نقل من مكانه الحالى إلى القاهرة وذكر المحامى جاكسون أن الأطباء يرون ضرورة نقل الشاه بسرعة على أن يتم ذلك خلال عطلة الأسبوع.

وقد ابلغته اننى سانقل رسالته هذه إلى القاهرة.

ومن ناحية اخرى جددت الاتصال ببريجنسكى الذى اكد ما كان قد أبلغنى به بالأمس من أن هاملتون جوردن قد سافر بالفعل للتباحث مع الدكتور الدبيكى والسلطات البنمية بغرض توفير كل الإمكانيات للشاه لإجراء الجراحة له فى بنما - وسوف يقومون بضغط إضافى على الشاه لعدم التسرع بمغادرة بنما. ومع تقديره الكامل للاعتبارات الإنسانية وراء موقفنا فإنه يرجو قبل ردنا على طلب جاكسون أن نتيح الفرصة أمام جهودهم الحالية. حتى يوفروا بديلا عن القاهرة إذ يهمهم الا تواجه مصر اى متاعب، وحينما طلب منى بريجنسكى أن نفسخ لجهودهم بعض الوقت وبالتالى لا نتعجل فى إرسال الطائرة - حملت محامى الشاه ويليام جاكسون مسئولية الحصول على موافقة من بنما على مغادرة الشاه أراضيها إلى مصر على متن طائرتنا، وأن تسمح بنما فى ضوء ذلك بهبوط الطائرة فى مطارها الدولى - الأمر الذى ادى فى النهاية إلى تأجيرهم الطائرة التى قامت بنقل الشاه إلى القاهرة حيث كان سيتعذر على طائرتنا الوصول إلى بنما فى الموعد المطلوب.

واعتقد أن الشاه فضل فى النهاية أن يتوجه لمصر لأسباب عديدة وهى:

- الاطمئنان إلى أنه سيلقى بها مأواه اللازم لجراحة دقيقة فى وقت لم يعد يشعر فيه بالاطمئنان إلى دقة الجراحة أو حتى الاطمئنان إلى مأواه فى بنما التى بدأت تواجه مشكلة مطالبة حكومة الثورة فى إيران لها بأن تسلمها الشاه، وكان الدكتور الدبيكى (وهو من أصل لبنانى) قد ذكر لجوردن أنه لو سأله الشاه عن احتمالات نجاح الجراحة فى بنما، فسوف يبلغه بأن الأفضل للنجاح إجراؤها فى القاهرة.

- أنه لو ذهب إلى القاعدة الأمريكية فى بنما أو لهيوستون فلن يتمكن من العودة إلى بنما التى رفضت بالفعل عودته، وحيث أصبح يخشى من أن تسلمه إلى حكومة الثورة كما أسلفت.

- كما أنه في ضوء ما تواجهه أمريكا من مشاكل مع إيران واستمرار احتجاز الرهائن فإنه لا يريد أن يزيد من مشاكلها، أو أن يزيد الأمر تعقيدا بالنسبة لنفسه.

وأن السيد الرئيس انطلاقا من الدوافع الإنسانية قد وافق على أن الإجراءات تتخذ بالفعل لتنفيذ ذلك واتفقنا على أن أتابع تنفيذ التوجيهات ثم اتصلت ببريجنسكى وأبلغته بتوجيهات القاهرة، وأننا نعطيهم مهلة ٢٤ ساعة حيث إنهم يبذلون جهودا إضافية منها:

أ- أن تجرى الجراحة للشاه فى القاعدة الأمريكية فى بنما وأنهم سيضغطون على حكومة بنما للموافقة على ذلك.

ب- فى حالة عدم نجاحهم فى ذلك فإنهم على استعداد لنقل الشاه إلى هيوستون لإجراء الجراحة هناك على أيدى الدبيكى أيضا.

وقمت بإبلاغ القاهرة بذلك، وتلقيت ردا بأنه يجرى حاليا إعداد الطائرة وأنها ستغادر القاهرة فجر اليوم التالى السبت متجهة إلى بنما لتنقل الشاه إلى القاهرة وأن على الجانب الأمريكى أن يأخذ هذه التوقيتات فى عين الاعتبار.

وقد نصح المسئولون فى بنما بأن تصل الطائرة إلى بنما فى أول فرصة لنقل الشاه قبل يوم الاثنين (٢٤ مارس) لأنه من المتوقع أن تتقدم إيران إلى بنما صباح الاثنين بطلب تسليم الشاه رسميا.

وتلقيت إخطارا من القاهرة بأن الطائرة ستغادر القاهرة صباح الأحد، وتمضى الليلة فى جزر الأزور وتغادرها فجر الاثنين فى طريقها إلى بنما لتصلها الساعة الثامنة لنقل الشاه ومجموعته وتعود إلى القاهرة فورا فى طريق الأزور لأن من المستحيل أن تسافر الطائرة إلى بنما وتعود دون المبيت فى الأزور.

وتم كل شىء حسبما جرت به المقادير، وسافر الشاه إلى مصر وأجريت الجراحة العاجلة، وتبدأ صحته بعدها فى التدهور، إلى آخر القصة المعروفة.

شعبية السادات لدى الأمريكيين

كان السادات يتمتع بشخصية جذابة وخفة ظل، واكتسب إعجابا واسعا لدى الشعب الأمريكى، بعد أن تغيرت صورته فى نظرهم بعد حرب ١٩٧٣، والتى لم تمنع العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، من أن ينظروا بعين التقدير والإعجاب لقيادته لهذه الحرب، والإنجازات العسكرية الرائعة للقوات المسلحة المصرية التى شهد بها المسئولون والخبراء العسكريون الأمريكيون، وزادت شعبيته لديهم بعد ذلك عندما وقع اتفاقيات كامب ديفيد.

واذكر واقعة حدثت مع إحدى الشخصيات الأمريكية المهمة قبل وبعد كامب ديفيد، وهو جورج مينى رئيس اتحاد نقابات العمال فى الولايات المتحدة. فقبل زيارة الرئيس السادات الأولى لواشنطن عام ١٩٧٧، وكنت أحاول وضع برنامج يتضمن مقابلة الرئيس لأكبر عدد من الشخصيات البارزة التى يحسب لها حساب فى المجتمع الأمريكى، ومن بينهم جورج مينى الذى تستحوذ نقاباته على ٩٠٪ من العمال الأمريكيين فى مختلف الصناعات.

وعندما يقوم جزء منهم بإضراب مثل إضراب مصانع السيارات يكون لهم تأثير ضخم على الاقتصاد الأمريكى بصفة عامة. وكلفت سكرتيرتى مسز فيش زوجة الجنرال هوارد فيش رئيس إدارة التسليح بالاتصال بمينى وإبلاغه أن الرئيس سيزور الولايات المتحدة، وإذا كان يريد مقابلته فإننى متأكد أن الرئيس سيرحب باستقباله.

وبعد يومين تلقت السفارة اتصالا يقول إن مينى سيقابل الرئيس ثم عاود مكتبه الاتصال بعد أيام وقال إن مينى يفضل أن يزوره الرئيس السادات فى مكتبه.

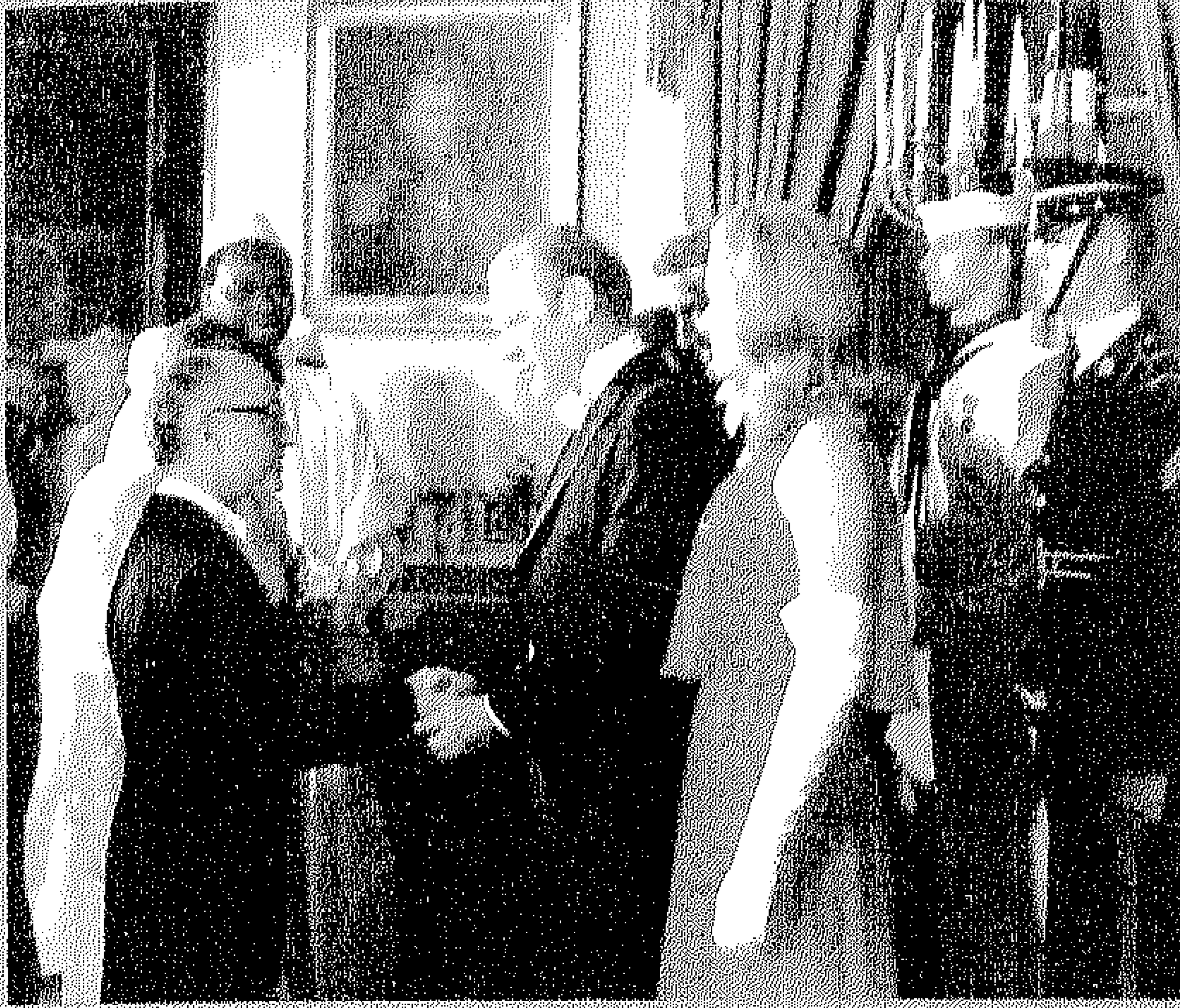
وكلفت سكرتيرتى بالا ترد عليهم وأعطيت تعليمات لسكرتارية مكتبى بانه إذا اتصل أحد يطلب مقابلة الرئيس فلتبلغوه أن الرئيس لا يذهب إلى أحد وأن من يريد أن يقابله فليحضر إلى مقر إقامته. وعندما وقع السادات اتفاق كامب ديفيد، تكلمت سكرتيرة مينى ترجو تحديد موعد لمقابلة الرئيس السادات فى زيارة لاحقة. وتعمدت الا أبلغه بالموافقة إلا فى آخر يوم لزيارة الرئيس.

وكان السادات قد أصبح يواجه بطلبات لا حصر لها من الصحفيين ورجال الأعمال للقائه وإجراء أحاديث معه، بالإضافة إلى المسئولين والشخصيات الأمريكية التى لها وزنها واحترامها. وظل حتى بعد رحيله يلقى تقدير الشعب الأمريكى وإعجابه واحترامه.

رقم الإيداع ٨٨٥٣ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 320 - 110 - 4

مطابع التجارية - قليوب - مصر







تتضمن مذكرات السفير أشرف غربال تسجيلا لأحداث كان مشاركا فيها وشاهدا عليها، فى عهود ثلاثة رؤساء مصريين هم جمال عبد الناصر وأنور السادات وحسنى مبارك، وخمسة رؤساء أمريكيين هم جونسون ونيكسون وفورد وكارتر وريجان.

تركز المذكرات على العلاقة بين مصر وأمريكا، منذ فترة عمل أشرف غربال رئيسا لبعثة رعاية المصالح المصرية فى واشنطن عام ١٩٦٧، ثم عودته إلى القاهرة عام ١٩٧٢ وتعيينه مستشارا صحفيا للرئيس السادات، ودوره فى فترة الإعداد لحرب أكتوبر ١٩٧٣، وبعد ذلك سفره إلى الولايات المتحدة فى نوفمبر ١٩٧٣ سفيرا لمصر فى واشنطن.

وترد فى المذكرات الوثائق السرية للبيت الأبيض بعد رفع الحظر عنها والتى تنشر لأول مرة، عن اتصالات عبد الناصر غير المعلنة بأمريكا بعد حرب ١٩٦٧، وتجربة عمل أشرف غربال مع السادات مستشارا صحفيا، وشهادته للتاريخ عن حقيقة خطة السادات العسكرية لحرب ١٩٧٣، ورأى المسئولين الأمريكيين بعد الحرب، وما قاله له شلزنجر وزير الدفاع الأمريكى عن تقدير واحترام الأداء العسكرى للعرب فى حرب ١٩٧٣.

وتتضمن المذكرات فصلا عن حرب الموساد ضد العرب فى أمريكا ونماذج من مؤامرات المخابرات الإسرائيلية التى تهدف إلى الإساءة للعلاقة المصرية الأمريكية. ويقدم المؤلف تفصيلات عن صناعة السياسة الخارجية الأمريكية، وفصلا عن ملامح شخصية السادات.

الناشر



مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام
التوزيع فى الداخل والخارج - وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء - القاهرة
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

مركز الأهرام
للترجمة والنشر

